أكثر من مليون نسخة مباعة

من المؤلف الذي حقق أفضل مبيعات على مستوى العالم





روبين شارما

إكتشف مصيرك

مع الراهب الذي باع سيارته الفيراري





أيقظ أفضل ما في ذاتك



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون



التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

ثناء على كتاب "الراهب الذي باع سيارته الفيراري"

"أكثر من مثير. هذا الكتاب سيبارك حياتك". مارك فيكتور هانسن، مؤلف مشارك في شوربة دجاج *من أجل الروح*

"كتاب عظيم، من وجهة نظر إلهامية". كارلوس دلجادو، نجم بيسبول

"مغامرة مرحة، وساحرة، وخيالية في مجالات التطور الشخصي والكفاءة الشخصية والسعادة الفردية. يحتوي على كنوز من الحكمة تثري وتعزز حياة كل فرد". برايان تريسي، مؤلف Maximum Achievement

"لدى روبين شارما رسالة مهمة لنا جميعًا - رسالة يمكنها أن تغير حياتنا. لقد كتب دليلًا متفردًا للإنجاز الشخصي في عصر محموم". سكوت ديجارمو، الناشر السابق لمجلة Success

"هذا الكتاب يتحدث عن اكتشاف ما هو مهم بالفعل لطبيعتك الروحانية الحقيقية، بدلًا من أن تظل مغمورًا بالممتلكات المادية". ميتشيل يوه، بطلة فيلم Crouching Tiger, Hidden Dragon، في مجلة *التايم*

"لقد صنع روبن شارما قصة ساحرة تدمج الأساليب الكلاسيكية للتحول في فلسفة بسيطة للحياة. إنه كتاب مبهج سوف يغير حياتك". إلين سانت جيمس، مؤلف Simplify Your Life و Inner Simplicity

"يسلط الضوء على الأسئلة الكبيرة للحياة". Edmonton Journal

"بالتأكيد يستحق القراءة... يمكنهبالفعل أن يساعد القرّاء على التكيف مع الإيقاع السريع للحياة". The Kingston Whig-Standard

"كتاب رائع. روبن شارما هو أوج ماندينو التالي". دوتي وولترز، مؤلف كتاب Speak & Grow Rich

"حكمة بسيطة يمكن لأي شخص أن يستفيد منها". Calgary Herald

"يمكن تصنيف هذا الكتاب كـ (الحلاق الثري Wealthy Barber) للتطور الشخصي.... إنه يحتوي على رسائل ملهمة عن المفاهيم الأساسية التي تساعد على جلب توازن وتحكم وفعالية أكبر في حياتنا اليومية". Investment Executive

"كنز – معادلة رائعة وقوية من أجل نجاح وسعادة حقيقيين. لقد حصل روبن شارما على حكمة العصور وجعلها وثيقة الصلة بالأوقات المضطربة. لم أستطع أن أضعه من يدي". جو تاي، مؤلف Never Fear, Never Quit

"قواعد بسيطة للوصول لإمكانيات المرء". The Daily News (Halifax)

"يرشد شارما القراء نحو التنوير". The Chronicle Herald (Halifax)

"قصة رمزية مصنوعة بمهارة لتظهر مجموعة من الأفكار البسيطة ومع ذلك فعالة بشكل لا يصدق، من أجل تطوير جودة حياة أي شخص. أنصح بهذا الكتاب الثمين لكل عملائي".
جورج ويليامز، رئيس شركة Karat Consulting International

"يقدم روبن شارما الإشباع الشخصي على الطريق الروحاني". Ottawa Citizen

ثناء على حكمة القيادة من "الراهب الذي باع سيارته الفيراري"

"إنه أحد أفضل كتب الأعمال هذا العام". PROFIT Magazine

"شديد التثقيف، وسهل القراءة، ومساعد للغاية... لقد قمنا بتوزيع نسخ لفريقنا الإداري بأكمله، إلى جانب عمّال المتاجر. وقد كان الناتج إيجابيًا للغاية". ديفيد بلوم، الرئيس التنفيذي، Shoppers Drug Mart

"لروبين شارما أسلوب أنيق عمليّ لتوضيح حلوله الفعالة لمواضيع القيادة الأكثر إلحاحًا اليوم. يعدّ ذلك منعشًا للغاية في وقت يواجه فيه رجال الأعمال الكثير من الرطانة". إيان ترنر، مدير Celestica Learning Centre

"هذا الكتاب منجم ذهب من الحكمة والحس السليم". العميد لاري تاب، مدرسة ريتشارد إيفي للأعمال، جامعة Western Ontario

"كتاب رائع سوف يساعد أي رجل أعمال على القيادة والحياة بشكل أكثر فعالية". جيم أونيل، مدير العمليات، قسم مبيعات المقاطعة، London Life

"يشير الراهب إلى الطريق لتحقيق التوازن في العمل... هذا هو ما يقوم به الكتاب". Toronto Star

"مهمة شارما أن يزود القارئ بالبصيرة لكي يصبح قائدًا ذا رؤية، مساعدًا إياه على تحويل عمله إلى منظمة تزدهر في هذا العصر من التغير". مجلة Sales Promotion

"يدمج شارما بين حكمة الفلاسفة العظام من الغرب والشرق ويقوم بتطبيقها في عالم الأعمال". The Liberal

اكتشف مصيرك

مع الراهب الذي باع سيارته الفيراري

· كتب أخرى لروبين شارما

الراهب الذي باع سيارته الفيراري

دليل العظمة

دليل العظمة، كتاب ٢

اكتشف مصيرك

مع الراهب الذي باع
سيارته الفيراري

اكتشف مصيرك

مع الراهب الذي باع سيارته الفيراري

المراحل السبع لإيقاظ الذات

روبن شارما





للتعرف على فروعنا في
المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان
هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

إعادة طبع الطبعة الثانية ٢٠١٤

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ -تليفون: ٤٦٢٦٠٠٠ ١١ ٩٦٦+ -فاكس: ٤٦٥٦٣٦٣ ١١ ٩٦٦+

Discover Your Destiny with The Monk Who Sold His Ferrari

The 7 Stages of Self-Awakening

Robin Sharma, LL.B., LL.M.



أهدي هذا الكتاب لرفقائي الباحثين، هذه الأرواح الشجاعة التي تمارس الجرأة اللازمة لترك الزحام والبحث عن طريق العودة إلى مكان يُسمى الأصالة.

أتمنى أن تظل عزيمتكم للاستيقاظ وعيش القوة الحقيقية متأججة. أتمنى أن تصلكم الدروس التي عليكم أن تتعلموها برفق. وأتمنى أن تصبح ليالي الروح المظلمة لديكم قليلة ومتباعدة. وأتمنى أن تتألقوا بشكل ساطع بحيث مع نهاية أيامكم يتوقف كل شيء ليقول: "آه، كان هنا شخص عاش حياته تامة وكاملة".

شكر وتقدير

أنا محظوظ لأني محاط بالكثير من الشخصيات الاستثنائية في حياتي. فبدونهم لم يكن باستطاعتي أن أقوم بما أقوم به، وأن أحسّن من مهمتي في مساعدة الناس ليعيشوا أفضل حياة لهم. لكل هؤلاء الذين ساعدوا في تشكيل أفكاري، وتشجيعي على الحلم بأحلام كبيرة وساعدوني في نشر رسالتي، إنني شديد الامتنان لهم.

عليَّ أن أقدم شكرًا خاصًا لفريقي في شارما الدولية للقيادة. وبشكل خاص، أشكر ماري ويتين، مساعدتي التنفيذية الرائعة، وآل موسكارديلي، الذي أعتمد عليه بطرق كثيرة جدًا ومارني بالين الذي دائمًا ما يلهمني تفاؤله.

من المهم كذلك أن أعبّر عن امتناني لفريق هاربر كولينز بأكمله، الذي كان شديد المساندة لعملي. شكرًا لآيريس توفولم، وديفيد كينت، وآكا جانسن، وكيفين هانسن، ونويل زيتزر، وليزا زاريتزكي، ومارثا واتسون، ولويد كيلي، وديفيد ميلر، وكريستين كوكرين، وميتشيلا كورنيل، ونيل إريكسون، وآلان جونز، وإيان موري، إلى جانب المندوبين الذين ساعدوا في توصيل كل من الكتب في سلسلة "الراهب الذي باع سيارته الفيراري" لكل واحد من قرائي الذين أعتز بهم بشدة.

أود كذلك أن أشكر العمل الرائع لمحرري، نيكول لانجلويس، والذي لا يزال معي منذ فترة مبكرة جدًا. لقد كان سرورًا حقيقيًا أن أعمل معك في كل مناسبة. وبالطبع، عليَّ كذلك أن أشكر الشركات العميلة لدينا في شارما الدولية للقيادة، الذين يسمحون لي بميزة مشاركة أفكاري عن القيادة، والأداء المميز، والسيادة الذاتية مع موظفيهم كمستشار إداري، ومدرب تنفيذي، ومتحدث رئيسي. كذلك، علي أن أقول إنني شديد الحظ لكون القارئ يدعم ما أقوم به. وكل ما أقوم به، أقوم به من أجل قراء كتبي، وأنا أقدم شكري المخلص لكل شخص بينكم لثقته فيّ. شكرًا لكم لإعطائي الفرصة لأعيش قَدَري.

لقد شجعتني أسرتي منذ اليوم الأول. حين لم يكن لدي سوى كتاب نشرته بنفسي وواجهتُ الكثير من الأبواب المغلقة، قدّموا لي أساسًا من الإلهام والدعم الذي لا ينسى. إنني محظوظ بأبويّ، فهما شكّلاني بحكمتهما وطيبتهما أكثر مما يمكن للكلمات أن تشرح. شكرًا أيضًا لأخي سانجاي -إنسان موهوب بحق- ولزوجته سوزان، شخصية رائعة أخرى. لا أستطيع أن أغفل ذِكر الهدايا التي منحني إياها ابناهما الرائعان، نيل وإيفان. وشكر خاص لحبيبتي، نينا، من أجل حبك كله والنعم التي جلبتها لي. وأخيرًا، عليّ أن أشكر ابنيّ المذهلين، كولبي وبيانكا، حيث علّماني معنى الحب غير المشروط، والابتكار بلا حدود والسعادة الحقيقية. أنتما الاثنان جلبتما لحياتي الكثير من التعجب، وأنا أحبكما أكثر من أن تعبّر الكلمات.

يجب أن يرتفع النبع الخفيّ لروحك ويهمس للبحر

سوف ينكشف كنز أعماقك المطلقة لعينيك.

لكن لا تجعل لوزن كنزك الخفي مقاييس،

ولا تبحث عن أعماق معرفتك بأدوات أو ثاقول.

فالنفس بحرٌ لا حدود له ولا يمكن قياسه.

خليل جبران، النبيّ

يا حفار القبور، حين تحفر قبري، هل بإمكانك
أن تجعله ضحلا لكي أشعر بالمطر.

ديف ماثيوز، Some Devil

مقدمة بقلم
روبين شارما

أنت أعظم بكثير مما حلمتَ بأن تكونه أبدًا. وبغض النظر عما تمر به في حياتك الآن، ثق أن كل شيء جيد،.ويكشف عن أفضل ما تحتاج إليه. قد لا يبدو الأمر رائعًا، لكنه بالضبط ما تحتاج لتعلمه لتكون الشخص الذي قُدِّر لك أن تكونه. كل شيء يحدث في حياتك تم تنسيقه بشكل تام لكي يخلق أفضل تطور لك كإنسان ويأخذك نحو قوتك الحقيقية. تعلم من الحياة واسمح لها أن تأخذك للمكان الذي عليك أن تذهب إليه - فالحياة تهتم بأفضل اهتماماتك.

داخل صفحات هذا الكتاب، سوف تكتشف الكثير من الإجابات لأشد أسئلة الحياة أهمية. وأنا أتمنى أن تجد الكثير من الحقائق وأن تكتسب الكثير من الإدراك عن الكيفية التي يعمل بها العالم وكيف يمكنك أن تنجح خلاله. لكن في النهاية، فإن الإجابات التي تبحث عنها بالفعل تقع في أعماق قلبك. ليس هناك مكان آخر لتنظر خلاله. نعم،

قد تؤدي كلماتي إلى فتح الأبواب أمامك وتساعدك على تذكر ما تعرفه بالفعل داخلك. ومع ذلك، لا تشك أن هناك كنزًا مخبأ من الحكمة والقوة والحب نائمًا بداخلك - ينتظر أن يوقظه الجزء الشجاع منك. أليس من المثير معرفة ذلك؟ *أنت بالفعل كل شيء أردت دائمًا أن تكونه*. إنك ببساطة تحتاج للقيام بمجهود داخلي لإزالة العوائق التي تغطي وتنكر طبيعتك الأصلية.

إن غاية حياة الإنسان، كما أؤمن، أن يسير في طريق تلك الصحوة العظيمة للنفس وأن تعود لمن كُنتَهُ يومًا (وللمكان الذي عرفته ذات مرة). إن أقرب ما أؤمن به هو أن الأطفال حديثي الولادة يمثلون الكمال والكينونة التي على كل منّا أن يعود إليها. في اللحظة التي تلي ولادتك، كنتَ شجاعًا، وحبًا نقيًا، وبريئًا، وحكيمًا بلا حد، وذا قدرات لا نهائية، ومرتبطًا بشكل جميل باليد الخفية التي خلقت العالم. وكطفل صغير جدًا، كنت ممتلئًا بالتساؤل والحياة. في الواقع، في ذلك الوقت كنتَ مستنيرًا تقريبًا (أن تكون مستنيرًا يعني أن تكون في كامل النور: هذا الذي هو في كامل النور ليس لديه ظلال، ولا جانب مظلم، ولا مخاوف، ولا غضب، ولا استياء ولا حدود).

فقد معظمنا اليوم على الأرض هذا الرابط لأنفسنا الحقيقية: هذه الحالة الأصلية للكينونة حيث لم نكن نخشى السير تجاه الاحتمال لنصل إلى النجوم. *إننا لا* نعرف من نكون. لقد تحولنا إلى أناس يتصرفون بأنانية وخوف وألم. وهذا السلوك ليس انعكاسًا لطبيعتنا الأصيلة. بل إنه على الجانب الآخر انعكاس للجروح التي عانينا منها بينما تركنا براءتنا التي ولدنا بها ورحلنا على مدار عمرنا. فالأشخاص المتألمون فقط يستطيعون القيام بأشياء مؤلمة. الأشخاص الذين جُرحوا فقط

يمكنهم جرح آخرين. وذوو القلوب المغلقة فقط يمكنهم التعامل بأساليب غير مُحِبّة.

والسبب الأساسي لكوننا أحياء، كما أعتقد، هو أن ننمو لنصبح أفضل ما يمكنُ أن نكونه ونتذكر حقيقة من نحن في الأساس. والحياة سوف تساندك في ذلك المطلب بشكل تام. سوف يُبعث إليك أشخاص وأحداث ومحاولات من شأنها أن تدعوك إلى كشف المزيد عن ذكائك واستكشاف المزيد من إمكانياتك. وغالبًا لن تأتي دروسك بشكل يسير. فالمعاناة دائمًا ما كانت وسيلة للنمو الروحاني العميق. هؤلاء الذين تحمّلوا معاناة عظيمة هم أولئك الذين يرتقون ليصبحوا أشخاصًا عظماء. هؤلاء الذين جرحتهم الحياة بعمق هم عامة من يستطيعون الشعور بألم الآخرين بدقات قلوبهم. وهؤلاء الذين تحمّلوا المحن، يصبحون متواضعين، وكنتيجة لذلك، هم أكثر انفتاحًا ورحمة وواقعية. ربما لا نحب المعاناة حين تأتينا، غير أنها تخدمنا بشكل جيد جدًا، فهي تكسر القشرة التي تغطي قلوبنا وتفرغنا من الكذب الذي تمسكنا به عمَن نكون، ولماذا نحن هنا، وكيف يعمل عالمنا الرائع بالفعل. وبمجرد أن يتم إفراغنا، يمكن إعادة ملؤنا بكل ما هو جيد ونبيل وحقيقي. يمكن للمشكلات أن تحولنا، إذا نحن سمحنا لها أن تفعل ذلك. وكما كتب جوزيف كامبل: "أينما تعثرت، فهناك يكمن كنزك".

"*اكتشف مصيرك*" كتاب عن استعادتك للحياة الأفضل لك. لقد حاولت أن أسكب قلبي في هذه الصفحات وأشارك بكل ما أعرفه عن القيادة الذاتية واكتشاف الذات والحياة من منطلق الأصالة. عليكَ أن تعرف أنني إنسان عادي جدًا. يوميًا أصارع عجزي ومخاوفي وما أطلق عليه "أنماطي القديمة"، أساليب السلوك القديمة تلك التي تعلمتُها على

امتداد الطريق. إنني أرى نفسي عملًا في تقدم وأتحدى نفسي باستمرار كي أستغل كل يوم كمحطة للارتقاء نحو الإنجـازات الأعلى لحياتي الداخلية. هناك أسطورة عن أن الأشخاص الذين يكتبون مثل هذه الكتب هم كائنات متنورة يقضون أيامهم في نعيم وسمو، مقدّمين كلمات الحقيقة من قمة الجبل. في الواقع، لقد تعلمتُ أن كل فرد منا لديه عمل ليقوم به، ولا يهم كمّ العمل الذي نفذناه على أنفسنا، ولا يهم إلى أي مدى تطورنا. كل شخص منا لديه جانب مضيء إضافة إلى جانب مظلم. كل منا لديه نقاط ضعف لإصلاحها وجروح داخلنا تصرخ لتعالجها. كل فرد منا لديه روح ممزقة (بينما نحاول أن نوفّق بين كوننا روحانيين وكوننا آدميين). إن شرط النقص هو في حقيقة الأمر ما يجعلنا آدميين. وكلما تعمقت داخل نفسي، أدركتُ ضآلة ما أعرفه. وكما كتبت في كتاب The Saint, The Surfer and The CEO: "قمة أحد الجبال هي قاع الجبل التالي". وحين نصل لقمة الجبل الذي نتسلقه حاليًا، خمّن ماذا نرى؟ قمم أخرى كبيرة. هذا هو كل ما تتحدث عنه مدرسة الحياة: نمو وتعلّم لا ينتهي من أجل هدف وحيد (أم يجب أن يكون ذلك "هدف الروح"؟) ليساعدنا على تذكر واسترجاع عظمة -وكمال- ما فقدناه، للأسف.

ورغم أن لدي حدودي البشرية، فإنني أعترف لك كذلك أنني قد مررت بطريق طويل في مدة قصيرة من الوقت فيما يتعلق بإزالة العوائق التي أبقتني صغيرًا (وكذلك تستطيع أنت إذا اتبعتَ العملية الاستثنائية المشروحة في الصفحات التالية). فمنذ عدد قليل من السنوات فقط، كنتُ محاميًا أمضي على الطريق السريع للنجاح الدنيوي، باحثًا عن المال والإطراء والمادية. كنتُ أعيش الحياة من الخارج بدلًا من الداخل

(ولا عجب أنها لم تكن تقلع). تحملتُ طلاقًا عسيرًا والآن أربي طفليّ الرائعين كأب وحيد. وعلى امتداد الطريق، عانيتُ من هزائم كبيرة، وفي بعض الأوقات، محن شخصية تبدو لا نهائية. *لكن التحديات العظيمة تجعلنا ننمو أكثر.* لقد أدركتُ أن هذه الخبرات قد أرسلت إلي كي تساعدني على تنظيم أفعالي وعلى التحرك رغم ضعفي. إن أكبر جراح الحياة في الواقع هي فرص رائعة للنمو الشخصي والتحول الإيجابي وجلب القوة الحقيقية التي فقدتها بينما تركتَ كمال مرحلة الطفولة وسرتَ داخل العالم. فاحتضِنها لأنها هدايا في الواقع.

خلال كل الارتفاعات والانخفاضات التي ترسلها لعبة الحياة العجيبة (والقصيرة) إلى طريقي، لم يحدث أن تخليتُ عن التزامي بقبول مسئوليتي عن نصيبي في كل ما لم ينكشف، لكي أصل إلى أعظم ما بداخلي خلال العملية. إنني أؤمن أن كثيرًا مما نمر به في الحياة مكتوب علينا. غير أنني أؤمن كذلك أننا، كبشر، لدينا كم ضخم من الاختيارات لصنع حياة جميلة من أحلامنا. يعمل القدر إلى جانب اختياراتنا في تناغم لنحت شكل حياتنا. وإنه بينما نتخذ خياراتنا الواعية تلك، ندرك أقدارنا بشكل تام. وفي نسيانك ذلك، تقوم بلعب دور الضحية. وإهمال تلك الحقيقة هو إنكار للقوة التي مُنحتها لخلق كل ما تريد.

إن الطريق الذي وصفته في هذا الكتاب -المراحل السبع لإيقاظ الذات- يعكس الرحلة الداخلية النموذجية للقائد أو البطل. وكتقاليد الكتب السابقة لسلسلة الراهب الذي باع سيارته الفيراري، تتكشف رسائل هذا الكتاب خلال المغامرات الخيالية لجوليان مانتل. غير أنه من المهم أن نتذكر أنها شديدة الواقعية وقوية بشكل غير عادي. والعملية المتضَمَنة خلال المراحل السبع يمكن أن توجد، بأشكال مختلفة،

في العديد من النصوص القديمة لكل من أدب الحكمة الشرقي والغربي. أنت بطل أو بطلة حياتك. إذا اخترت أن تلعب أكبر لعبة لك كإنسان (وأنا أعلم أنك ستفعل)، فهذا هو الطريق الذي عليك أيضًا أن تسير فيه. فالسفر خلاله يضمن لك النجاح الحقيقي.

إن أفضل طريق للتعلم هو أن تُعلِّم. إذا كنت بالفعل تريد أن تكتسب هذه المادة وتدمجها في حياتك، فمن الضروري أن تعلِّمها لشخص خلال أربع وعشرين ساعة من إكمال هذا الكتاب. وسوف يقدم لك ذلك فائدتين: أولًا، سوف يساعدك على دمج المعرفة، ثانيًا، سوف يساعد من حولك على تذكُّر من هم حقيقة. وبينما تقرأ هذا الكتاب. شارك من تحب في حوارات حول ما تتعلم. شارك بأفكارك. ارفع صوتك بالتغيرات التي تلتزم القيام بها في تحركك تجاه حياتك الأفضل. بقيامك بذلك ستقوم بتعميق اقتناعك وتصنع نتائج تدوم.

شكرًا لاختياركم هذا الكتاب. أتمنى أن يصل بكم لكل ما تبحثون عنه خلاله (وأكثر بكثير). إنني ممتن لإعطائكم إياي ساعات من حياتكم تتطلبها القراءة والتفكير في هذا العمل. وأنا في الواقع أحييكم على اتخاذ هذه الخطوة الهائلة نحو اكتشاف مصيركم. وبينما تقرءون هذا الكتاب والكتب الأخرى في سلسلة الراهب الذي باع سيارته الفيراري، سوف تنضمون لنساء ورجال آخرين حول العالم أصبحوا جزءًا من جماعة. المحادثات غير العادية تكون في مكان تجمّعنا، robinsharma.com، وهو موقع ستجد فيه ثروة من الأدوات والدعم بينما تسير على طريق مصيرك.

نـحـن جـمـيـعًـا متصلون على مستوى غير مرئي. وبينما تقوم بعلاج نفسك، فإنك تساعد في معالجة العالم. وبينما تترك براعتك تسطع، فإنك تدعو من حولك للقيام بالمثل بلا صوت. وبينما تقوم بالعمل المطلوب منك لتجعل حياتك



تتجاوب مع الأعلى والأفضل، فإنك تقوم بدور القدوة لآخرين ليلعبوا لعبتهم الأفضل. وكما يخبرني غالبًا أحد عملائي المدربين، "هذا شيء جميل".

أتمنى لكم بركات هائلة طوال هذه الرحلة المسمّاة "الحياة".

مع حبي،

روبين شارما

الفصل الأول

طوارئ روحانية

الحياة لا تنصت لمنطقك، إنها تسير في طريقها الخاص، بلا انقطاع. عليك أن تنصت أنت للحياة، فالحياة لن تنصت لمنطقك، إنها لا تهتم بمنطقك.

- أوشو

كان بإمكاني الشعور ببرودة المعدن على رأسي. كيف وصل الأمر إلى هذا الحد؟ كنتُ في الواقع أجلس في حجرة في نزل صغير، وهناك مسدس جاهز لضغط الزناد ملتصق بصدغي. كان العرق ينهمر على جبهتي وقلبي ينبض بوحشية. وكانت يداي ترتجفان دون تحكم. لم يكن أحد يعلم أين كنتُ. ولم يبدُ أن أحدًا يهتم بعد الآن. لم يكن لديّ ما أعيش لأجله: لذا كنت أستعد للموت.

كنت أستطيع تخيل عنوان النعي الخاص بي الآن: "دار ساندرسن، صاحب فندق دولي، وأب مطلق عن ثلاثة أطفال، توفي في الرابعة والأربعين - بيديه؟"

لكن عندما أغلقت عينيّ وقلت دعاءً أخيرًا بصوت عالٍ، حدث شيء غير متوقع؛ لا، ليس شيئًا خارقًا. بدأت بالشعور بالغثيان وسقطتُ على الأرض، وسقط المسدس من يدي. وبينما كنت منطرحًا هناك، دون حركة، بدأ نور أبيض مبهر في ملء جسدي. لكن، قبل أن تصرف

النظر عن قصتي. من فضلك كن على علم أنني كنتُ دائمًا شخصًا ثابتًا وعاقلًا. لا شيء مثل هذا حدث لي من قبل. كنتُ دائمًا ما أضحك عند سماع مثل هذه القصص، معتبرًا إياها عجيبة وغير مسئولة. لم يحدث لي في الماضي -وحتى الآن- أن تحدثت مع كائنات غيبية. كما أنني لا أدير حياتي طبقًا للمواقع اليومية للنجوم. ومع ذلك، لا يمكنني تجاهل أو إنكار ما حدث لي في حجرة الفندق تلك منذ اثني عشر شهرًا فقط. هل كانت تلك تجربة دينية؟ هل كانت صحوة روحانية؟ هل كانت ببساطة رد فعل للضغط الشديد الذي كنت أمر به؟ في الواقع، لا أعلم. ما أعرفه أن ما حدث هناك قد حرك سلسلة من الأحداث التي حولت كل جزء من الحياة التي عرفتها من قبل.

أصبح الضوء أكثر وأكثر سطوعًا. بعدها مباشرة بدأ جسمي في الارتعاش، كما لو أنني كنت أمر بنوبة مرضية هائلة. أخذ العرق يتدفق مني سيولًا، بينما ارتعش ذراعاي وساقاي وجذعي من الأرض الباردة القذرة. واستمر ذلك كأنه إلى الأبد. ثم، وكأنما من لا مكان، انطلقت هذه الكلمات التي مزقت الجزء الأعمق داخلي: *"إن حياتك كنز، وأنت أكبر بكثير جدًا مما تعرف"*.

هذا ما حدث. وبمجرد أن اندفعت هذه الكلمات عبر عقلي، توقفتُ عن الاهتزاز. فقط استلقيتُ هناك، في بحر من العرق، محدقًا في السقف. لم يحدث أن شعرت بمثل هذا السلام الداخلي طوال حياتي. كنت بجسدي بأكمله داخل قلبي. *الحياة كنز وأنت أكبر بكثير جدًا مما تعرف*.

بعد فترة، وقفت على قدمي وجمعتُ أمتعتي. شيء عميق داخلي قد تغير، رغم أنني لا أستطيع شرحه - فقد شعرت به فحسب. لم يعد لديّ اهتمام بإنهاء حياتي. ربما كان ذلك الصوت صحيحًا - ربما كان داخلي أكبر بكثير مما كنت على وعي به حاليًا.

بشكل عام، حين نواجه أوقاتًا عصيبة، نعتقد أن الطريقة التي نرى بها العالم تعكس حقيقته. وهذا افتراض خاطئ. إننا ببساطة نشاهد العالم خلال إطارنا المرجعي اليائس. إننا نرى الأشياء خلال أعين حزينة ويائسة. وحقيقة الأمر أننا حين نبدأ في الشعور بتحسن، سيبدو العالم أفضل. وحين نعود لحالة من السعادة الداخلية، سوف يعكس عالمنا الخارجي ذلك الشعور لنا. لقد تعلمت أن العالم مرآة: نحن *نستقبل من الحياة ما نكون وليس ما نريد*. وقد تعلمت كذلك أن هناك مواسم لحياتنا وأن الأوقات الأليمة لا تستمر. *ثق أن شتاء حزنك سوف يمنحك ربيع سعادتك، مثلما دائمًا ما تتبع أشعة الصباح الرائعة أشد جزء مظلم من الليل*.

لم أعد في حالة يائسة، ولم أعد أشعر بالأسف على نفسي. لم أعد أرى أنه لا توجد طرق للحل. شيء من القوة عاد إليّ في ذلك اليوم. ورغم أن حياتي كانت لا تزال فوضوية، فالحق يقال، لقد بدأتُ أعرف أنني امتلكتُ القوة لتطويرها. ولسبب ما، فقد وثقتُ أن العون في الطريق إليّ وأن الأيام الأكثر سعادة قادمة. كنت أعرف القليل عن كم سيكون هذا العون رائعًا وكم ستصبح حياتي جميلة. لكن قبل أن أتطرق لهذه التفاصيل، ربما تتساءل عن الظروف التي أدت لسقوط روحي لمثل هذه الحالة من التهالك التي ربما كانت ستودي بحياتي.

فقط منذ سنوات قليلة مضت، كنت أظن أنني أعيش الحياة التي يحلم بها كل شخص. كانت لديّ زوجة جميلة وذكية أحبتني بعمق. كان لديّ ثلاثة أطفال أصحاء وسعداء برعوا في كل ما اختاروا أن يقوموا به. كنت أجني مالًا أكثر مما كنت أتخيل من قبل، كمالك لسلسلة من الفنادق في أروع المناطق المهمة حول العالم. كان نجوم السينما والأثرياء والمشاهير ضمن زبائني. لقد سافرت إلى أماكن غريبة، وجمعتُ عددًا

كبيرًا من الألعاب وأصبحت مشهورًا بشكل واضح، على الأقل في مساحة السوق التي عملتُ فيها.

ثم، يومًا ما، سقط عالمي بأكمله. وصلت المنزل متأخرًا بعد عشاء عمل مع بائع عقار كنتُ مهتمًا بشرائه. دائمًا ما كانت ريتشيل تترك بعض الأضواء مقادة لي، لكن في هذه الليلة، كان البيت مظلمًا تمامًا. لم يكن للأمر مبرر؛ كانت الساعة العاشرة مساءً فقط. أين كانت ريتشيل؟ أين كان الصغار؟

سرتُ للداخل وأضأتُ الأنوار في ردهة الدخول والمطبخ. الصمت وحده هو من ألقى عليّ التحية. غير أنه على منضدة المطبخ كان هناك خطاب بخط يد ريتشيل الذي أعرفه. كان فيه:

دار، لقد أخذت الأطفال إلى منزل أمي. لم أعد أحبك بعد الآن. أنا آسفة. سيحادثك محاميّ في الصباح.

لا شيء يمكنه إعدادك لمثل هذا الخطاب - لا شيء. رغم أنني كنت أتظاهر أن زيجتي ناجحة، فقد كنتُ أعلم أننا ابتعدنا عن بعضنا. كل الوقت الذي قضيته بعيدًا عن البيت ومسافرًا وقائمًا بالتجارة، كان وقتًا مسروقًا من زواجي وأسرتي، والحب الذي عرفناه يومًا قد ذهب. تظاهرت كذلك أنني أب جيد، وربما كنت من الخارج أبدو كذلك. غير أن أرواح أطفالي العاقلة كانت تعرف الحقيقة. حتى حين كنت أقف بجانبهم، لم أكن حقًا هناك. لم يترك عقلي العمل أبدًا، ولم أكن متاحًا عاطفيًا. أعتقد أن الحقيقة أنني كنت رجلًا أنانيًا بشكل غير معقول حينذاك. صدقتُ أن العالم يدور من حولي. لم تكن تعنيني احتياجات أي شخص آخر أو مشاعر أي شخص آخر بقدر نفسي. لقد أردت أن أكون ثريًا. أردت أن أكون مشهورًا. أردتُ أن أربح. وخلال الطريق، فقدت أهم شيء.

مزّق الخطاب ودعوى الطلاق التي رفعتها زوجتي قلبي. تعرضت للطرد من بيتي وبدأت العيش في أحد فنادقي. كنت أستطيع رؤية أطفالي مرة واحدة فقط في الأسبوع وفي بعض عطلات نهاية الأسبوع. بدأت في الشرب بغزارة واكتسبت وزنًا زائدًا بشكل مخجل. دائمًا ما كنتُ شديد الوسامة وذا جسد رياضي، لكن ذلك كله لم يعد قائمًا. ربما أستيقظ من النوم بصداع نصفي رهيب لا يتركني إلا حين أطمسه في الكحول. لحسن الحظ لم أفقد أعمالي. كنت من الذكاء بحيث أضع فريقًا إداريًا ممتازًا، والذي بدافع الولاء أكمل العرض حين كنت مشغولًا بلعق جروحي. بالطبع كنتُ أحضر الاجتماع الغريب وأنهي الصفقة الغريبة. لكنني غالبًا ما كنت أبقى في المنزل وحدي، جالسًا في حجرة مظلمة أستمع لأغاني بيلي هوليداي وأتحدث طويلًا مع جاك دانيالز. هذه هي المأساة التي قادتني في النهاية إلى ذلك الفندق الصغير الذي أخبرتكم عنه في بداية القصة. لكن، عليكم أن تعرفوا أن هذه المأساة هي ما أدى لنجاتي أيضًا.

لقد اكتشفتُ أن الألم والمحنة وسائل فعالة لتعزيز النمو الذاتي. لا شيء يساعدك على التعلم والنمو والتطور بشكل أسرع. لا شيء يقدم لك فرصة كبيرة للحصول على قوتك الحقيقية كشخص. عيوننا الآدمية تبصرها كخبرة سلبية. وهذا مجرد حكم، وخلف هذا التصديق الخاطئ خوف خالص: فكما تعلم، تظهر المعاناة حين يحدث شيء لم نكن نريده. إنها تظهر حين تمنحنا الحياة شيئًا غير متوقع، حالة جديدة. وظهور حالة جديدة في حياتنا، سواء كان ذلك يعني مرضًا أو فقدان حبيب أو أزمة مادية، يعني أن علينا أن نتغير ونترك القديم، تلك الأشياء التي تمسكنا بها فيما مضى. مطلوب منا أن نترك ما كنا نتوقعه. وبالنسبة للإنسان، فإن ترك شيء ربما يكون أمرًا مخيفًا. إننا نخاف من ترك

الملاذ الآمن للمعتاد والمعروف. نقاوم السفر للأماكن غير المعروفة التي قد تقودنا حياتنا تجاهها أحيانًا. مجرد التفكير في فعل ذلك يخيفنا. وخلف كل المقاومة للجديد يكمن الخوف.

غير أنه لا يوجد *ما* يخيف. إن عالمنا هذا مكان أكثر ودًا مما ندرك. إن السفينة التي لا تغامر خلف مراسيها لن تتحطم. لكن السفن لم تصنع لأجل ذلك: وبالمثل. فالإنسان الذي لا يجرؤ أبدًا على السير في المساحات المجهولة من حياته لن يجرح أبدًا: لكن. ليس هذا ما خلق الإنسان لأجله. لقد خُلقنا لكي نشهد النمو الذي ينتج عن زيارة أماكن غريبة كمسافرين عبر الحياة. عيوننا الحكيمة تعرف هذه الحقيقة وترى التغير والمعاناة كما هي حقيقة: طبيب قلق يأتي لمداواة الجزء المريض من أنفسنا. تساعد المعاناة في جعلنا أعمق. تأتي المعاناة لتساعدنا وتجعلنا نعرف من نحن بالفعل. نشقّنا المعاناة فننفتح. تدفعنا لترك وتسليم كل ما عرفناه والتصقنا به. كطفل صغير في أول يوم له في المدرسة. خائف من ترك يد أمه والسير وحده داخل الفصل المدرسي المليء بالأصدقاء الجدد. حيث سيتعلم الكثير من الأشياء الجديدة والجميلة. إن المجهول هو حيث يوجد "الجديد" والجديد هو المكان الوحيد الذي يمكنك فيه أن تجد المحتمل. وكل إنسان مصمم بحيث يركض نحو الاحتمال والإمكانية في حياته. كلنا تم تصميمنا لنكون عظماء. فكيف يمكنك القول إن المعاناة سيئة حين تكون أكثر شيء يجعلك أفضل؟ نعم. الجزء البشري داخلنا يشعر بالألم حين نمر به. هذا طبيعي. لكن هذا الألم في النهاية سوف يتلاشى. وسينبثق منك شخص أغنى وأقوى وأكثر حكمة.

"لا تخف من المجهول، فهناك تكمن عظمتك". هكذا قال معلّم متميز لي. شخص أنت على وشك معرفة الكثير عنه. معظم الناس

يقضون أفضل سنوات حياتهم في نطاق ما يعرفونه. يفتقدون شجاعة المغامرة للخارج نحو المساحات الغريبة وخائفون من ترك الحشد. يريدون أن يتوافقوا ويخشون أن يتميزوا. يرتدون ما يرتديه الجميع، يفكرون كما يفكر الجميع، ويتصرفون كما يفعل الجميع، حتى إذا كان القيام بذلك لا يبدو صائبًا بالنسبة لهم. يعارضون حس قلوبهم وتجربة أشياء جديدة، رافضين أن يتركوا شاطئ الأمان. وهكذا، يقومون بما يقوم به كل شخص سواهم. ربفعلهم ذلك تبدأ أرواحهم التي كانت ذات مرة مضيئة في الإظلام والانكماش. "الموت هو مجرد طريقة واحدة من طرق عديدة لفقدان حياتك"، هكذا قال المغامر ألفاه سيمون.

إن التمسك بشواطئ الأمـان في حياتك ليس أكثر من اختيارك البقاء مسجونًا في مخاوفك. ربمـا هو توهم أنـك حر حين تستمر في الحياة داخل الصندوق الذي ربما تحولت إليه حياتك، لكن صدقني، إنه مجرد: وهم - كذبة تقولها لنفسك. حين تترك الصندوق نحو آفاق جديدة وتتوقف عن السير وراء الزحام، بالطبع ستطفو مخاوفك فأنت بشر. لكن الشجاعة تتطلب أن تشعر بهذه المخاوف ثم تكمل سيرك على كل حال. *إن الشجاعة ليست غياب الخوف وإنما الرغبة في تجاوز خوفك سعيًا وراء هدف مهم لك*. وحين تعيش في الملجأ الآمن وتتمسك بما تعرفه، تصبح ضمن الأحياء الأموات. أما حين تغامر في المجهول وتستكشف أماكن غريبة في حياتك، فإنك تعود للحياة ويبدأ قلبك في الخفقان مرة أخرى. تعود المغامرة والإثـارة. تذكر *أنك على الجانب الآخر من مخاوفك ستكتشف حظك*.

دعني أقـدم لك تشبيهًا قويًا آخـر: إذا قضيت حياتك بأكملها في السجن، فستطفو الكثير من المخاوف في اليوم الذي يتم تسريحك فيه. بينما كنتَ داخل السجن، ورغم أنك لم تكن حرًا، عشت داخل

مملكة المعلوم لأن نظامًا صارمًا كان موجودًا: كنت تعرف متى عليك الاستيقاظ، كنت تعلم متى يمكنك التمرن، وكنت تعلم بشكل دقيق متى وماذا يمكنك أن تأكل. والآن، رغم أنك لم تعد مسجونًا، فإنك تشعر بالخوف. ليس هناك نظام، فقط المجهول. وقد تجد نفسك تميل إلى العودة للمعلوم أكثر من أن تواجه المجهول الذي يبدو غير آمن وغير مريح. ربما تختار أن تكون سجينًا على أن تستعيد حريتك. لا يبدو ذلك معقولًا، لكن معظمنا يديرون حياتهم هكذا.

لقد تعلمت كل هذه الفلسفة من المعلم الذي ذكرته باختصار. لقد كان لهذا المعلم أعظم تأثير على حياتي حتى الآن. الحكمة وعملية المراحل السبع التي شاركني إياها فقط منذ اثني عشر شهرًا قد قلبت حياتي تمامًا. لم أكن أبدًا بهذه السعادة. لم أشعر قط أنني حي لهذه الدرجة. ولم يحدث أن شعرت بهذا القدر من احترام الذات. لقد وجدت حب حياتي. وصحتي جيدة. وعملي يحلق. لم أتخيل أبدًا أن تكون حياتي جيدة لهذه الدرجة. ومثل ذلك قد يكون صحيحًا لك. الهبات التي وصلتني هي هبات متاحة لك كذلك. بالطبع سيكون عليك أن تتخذ بعض الاختيارات الجديدة وتمر ببعض الاحتمالات. بالطبع سيكون عليك أن تستثمر بعض الوقت والجهد لتعيد الاتصال بالأجزاء العظيمة والرائعة من نفسك والتي قد تكون فقدتها. بالطبع قد يكون عليك أن تواجه بعض المخاوف التي كانت تبقيك ضئيلًا، سواء تعرفت عليها أم لا. لكنك بفعل ذلك سوف توقظ أعظم وأروع ما بنفسك. وماذا يمكن أن يكون أهم من ذلك؟

إن المعلم الذي ذكرته هو الأكثر حكمة والأكبر تأثيرًا ونبلاً من بين جميع الناس الذين عرفتهم. إنه شخص غير عادي -أصيل بحق-

وأساليبه غير تقليدية، وهذا وصف معتدل له. في الواقع، قد يكون خشنًا في بعض الأحيان. لم يحدث أن قابلت أحدًا مثله ولن يحدث ذلك. غير أنه موهوب للغاية في قدرته على نقل معرفة الحياة المتغيرة بطريقة تتحدث إلى روحك وتجعلك تختبر التغيرات التي ستفتح لك حياة جميلة. ستكون دروسه مفيدة للغاية بينما تسعى لأن تكتشف مصيرك وتعيش الحياة الرائعة التي هي حق أصيل لك.

أعتقد أنه لا توجد صدف في هذه الحياة. لقد قابلت معلمي في اليوم التالي لواقعتي الروحانية في حجرة الفندق. ذهبت إلى العمل في ذلك اليوم للاجتماع بفريقي، وعندها دخل مدير الموارد البشرية في شركتنا، إيفان جانسن، إلى مكتبي ومعه تذكرتين لمؤتمر عن التحفيز في وقت متأخر ذلك المساء. كان إيفان يحب هذا النوع من الأحداث وكان معجبًا كبيرًا بحركة النمو الشخصي بأكملها. وعلى الجانب الآخر كنت أنا متشككًا. ولكي أكون صادقًا معكم، أنا لا أحب المتحدثين التحفيزيين على الإطلاق. دائمًا ما كنت أجدهم يشبهون قليلًا حلوى غزل البنات؛ حلوة للحظات قليلة، لكنك تكتشف سريعًا أنها تختفي بسرعة.

كانت حفلة البيانو الأولى لابن إيفان في تلك الليلة، لذا لم يستطع إيفان أن يحضر المؤتمر، وأرادني أن أذهب. لقد اعتقد أن الحدث قد يرفع معنوياتي وربما يلهمني القيام بتغييرات في حياتي كان يعلم أنني أحتاجها لأعود إلى الطريق، ليس فقط مهنيًا، بل وشخصيًا أيضًا. أخبرته أنني لا أريد الذهاب ولا أقدر على احتمال الحِكَم شديدة التكرار والمواعظ المبتذلة التي يسردها المتحدثون التحفيزيون بشكل عام. وذكرت أنني ما زلت أصارع العديد من الأشياء وأشعر أنه من الأفضل لي أن أبقى وحدي هذا المساء. ثم حدث شيء مثير. زميلي، وهو رجل عالي الحدس، نظر بعمق في عينيّ وقال: "دار، ثق فيّ هذه المرة. أشعر أن

هناك سببًا عليك أن تذهب لهذا المؤتمر لأجله. إنه مجرد شعور أحس به داخلي. أرجوك أن تذهب".

دائمًا ما كنت الرجل الذي يعيش في الغالب داخل رأسه. العقل هو ما كان يحركني وليس العاطفة. وإذا لم يكن شيء ما منطقيًا على المستوى العقلاني، فعادة ما كنت أتجاهله. لكنني عشتُ بهذه الطريقة حياتي بأكملها وما زالت حياتي غير ناجحة. أحب تعريف أينشتاين للجنون: "القيام بنفس الأشياء وتوقع نتائج مختلفة". إذا كنت أريد نتائج جديدة في حياتي، فأنا أعرف أن عليّ التصرف بطرق جديدة. وإلا فستبدو حياتي كما هي حتى أموت.

شيء عميق داخلي أوحى لي أنه ربما تكون هناك طريقة أخرى للتعامل كإنسان. كنت قد قرأت مؤخرًا أول كتاب لي في الفلسفة، رغم أنني لم يحدث أبدًا أن لمست هذا النوع من الأشياء من قبل. لا أعرف ما الذي أجبرني على اختيار ذلك لكنني فعلت. ربما لكوني في حالة ألم شديد كنت مستعدًا للبحث في أي مكان عن الخلاص. *إنها حقيقة أننا في أحلك أوقاتنا نكون مستعدين للدخول للأعمق.* حين تكون الحياة جيدة، نعيش بشكل سطحي، ولا نكون شديدي التأمل. أما حين تغدو البحار مضطربة، نخطو خارج أنفسنا ونفكّر لمَ أصبحت الأشياء هكذا. إن المحنة تجعلنا أكثر ميلًا للفلسفة. وخلال أوقات التحدي نبدأ في سؤال أنفسنا عن الأسئلة الأكبر في الحياة، مثل لماذا تحدث المعاناة، لمَ لا تفلح أفضل الخطط التي وضعناها كما نتوقع، وهل الحياة محكومة باليد الصامتة للحظ أم بالقبضة القوية للاختيار.

في هذا الكتاب الذي اخترته، كتب المؤلف أن العقل محدود بينما القلب لا حد له. ربما يكون العقل قاسيًا، بحيث يجعلك تقضي أفضل سنوات حياتك تعيش في الماضي أو تبدد الحاضر قلقًا على الأشياء التي

لن تحدث أبدًا. يحتاج العقل إلى قوة خارجية، النوع الذي يعتمد على الأشياء الدنيوية -فضلًا عن الروحانية- مثل المال والوظيفة والممتلكات. إن مشكلة القوة الخارجية هي كونها زائلة: حين تفقد المال والوظيفة والممتلكات، فإنك تفقد القوة. إذا كنت قد ربطت هويتك بهذه الأشياء، فسوف تفقد كذلك إحساسك بمن تكون حين تتهالك هذه الأشياء. القوة الوحيدة التي هي أقيم من أي شيء آخر هي القوة الحقيقية؛ تلك التي تأتي من الداخل.

طبقًا لذلك الكتاب، فالقلب ليست لديه رغبة في تلك المساعي الضئيلة. يعيش القلب في اللحظة الحالية، عارفًا أنه ها هنا يجب أن نعيش الحياة. فالقلب مهتم بالتعافي لنعود إلى الاكتمال والحب والشفقة وخدمة الآخرين. والقلب يدرك أن كلًا منا مرتبط، على مستوى غير مرئي، بكوننا جميعًا إخوة وأخوات لنفس الأسرة وأن السعادة تأتي من عطاء ودعم نمو الآخرين ليكونوا أعظم ما يمكنهم. "اترك النقطة، كُن المحيط"، هكذا قال الشاعر الرائع جلال الدين الرومي. القلب يعرف هذه الحقيقة. نعم، العقل، بكامل قدرته على الإدراك والتفكير، أداة عظيمة يجب أن يستخدمها القلب لدعم عمله، أداة يمكن استخدامها لأشياء مثل التخطيط والتعلم والتفكير. غير أن هذه الوظائف يجب القيام بها في توافق مع القلب، وتحت إرشاده. يجب أن يصوغ الرأس والقلب شراكة في الحياة إذا أراد المرء أن يعيش حياة جميلة، هكذا أخبرني الكتاب. يجب أن يعملوا في انسجام. عِش بالكامل داخل رأسك ولن تشعر بهمس وإيقاع الحياة. عِش بالكامل داخل قلبك وقد تجد نفسك تتصرف وكأنك متيمٌ أحمق، غير ناضج الحكم وبلا نظام. إنه التوازن الصافي، ذلك الذي يستغرق وقتًا وجهدًا وفهمًا لتصل للحق.

واقفًا هناك، وإيفان ينتظر بصبر، شعرتُ أنني أنجذب لاستكشاف شيء جديد. استغرقت لحظة لأنتبه لما كان يحدث تحت السطح، قررتُ

أن أتخلى عن حدود العقل لبرهة وأثق بأحاسيسي الأعمق. وافقت على الذهاب وأخذت التذاكر.

جاءني إيفان ومنحني حضنًا. "نحن نحبك، كما تعلم".

كنت هادئًا عندما امتلأتُ بالعاطفة عند سماعي هذه الجملة عميقة الحنان من صديقي القديم. بدأت الدموع في الانهمار، جزئيًا بسبب التعاسة التي شعرت بها من الطريقة التي أصبحت عليها حياتي مؤخرًا وجزئيًا بسبب الحب غير المشروط الذي شعرت به من شخص آخر.

أجبتُ: "شكرًا إيفان، أنت رجل طيب، وأنا أقدر ما تفعله".

"ثق بي يا دار، هذا المؤتمر سوف يكون مهمًا للغاية لك. من يعرف من ستقابل هناك؟"

وما عرفته لم يكن سوى القليل، فقد كنت على وشك ملاقاة الرجل الذي سيقودني لحياتي الأروع.

الفصل الثاني

الباحث يلتقي الأستاذ

يجب ألا نتوقف عن الاستكشاف. ستكون نهاية كل استكشافنا أن نصل إلى حيث بدأنا لنعرف المكان لأول مرة.

- تي. إس. إليوت

وجدت نفسي هذه الليلة أجلس في حجرة مع خمسة آلاف شخص آخر يبحثون عن إجابات لأكبر أسئلة الحياة. دوت موسيقى الروك من السماعات وأنار عرض ضوئي باهر الغرفة المظلمة التي تشبه الكهف. كانت هناك طاقة واضحة في الغرفة. ثم ظهر المتحدث. كان وسيمًا وطلِقًا وساحرًا. تحدَّثَ بفصاحة وأبقى انتباه الجمهور المستغرق لحوالي ساعتين، بينما أخذنا على مزلاج عاطفي يعلو وينخفض جعلنا نضحك ونبكي ونفكر في لماذا عشنا هكذا وكيف يستطيع كل فرد منا أن يجعل الأشياء أفضل. تحدث عن طفولته ونشأته دون أب. ناقش احتكاكه بمرض السرطان وكيف ساعده في الارتباط بالأشياء الأكثر بساطة، ومع ذلك يتم تجاهلها بشكل عام في الحياة. وجعلنا نضحك في بعض ملاحظاته، مثل "الشيء الوحيد الذي يمكنك توقعه في الحياة هو اللامتوقَع" و"إذا أردتَ أن تُضحِك أحدًا، فأخبره عن خططِك". لقد قدّرت تواضعه كذلك. لقد قال إنه ليس معلمًا روحيًا وإنما تلميذ

في الحياة ومازحنا قائلًا إن دعاءه الصباحي يتضمن الرجاء: "يا رب، ساعدني أن أكون الشخص الذي يظن كلبي أنني هو".

"يجب أن تتحول جروحك إلى حكمتك"، كرر ذلك خلال عرضه. "إن العوائق التي تجعلك تتعثر يمكن أن تصبح نواة خطواتك إذا أردت ذلك. لا تضيع الفرصة الواضحة التي تقدمها لك المحنة أو المأساة حتى. يمكن *أن تصبح حياتك أفضل بالأشياء التي تكسر قلبك"*.

ومع نهاية حديثه، كان كل من مستمعي هذا المتحدِّث مسحورين. كان هناك صمتٌ مطبق كما تعلّقنا بكل كلمة من كلماته. أنهى هو عرضه بالجملة التالية: "معظم الناس لا يكتشفون كيف يعيشون إلا عند الموت؛ وهذا عار. معظم الناس يقضون أفضل سنوات عمرهم يشاهدون التلفاز في غرفة صغيرة. معظم الناس يموتون في العشرين من عمرهم ويُدفنون في الثمانين. أرجوكم، لا تدعوا ذلك يحدثُ لكم".

وبعد استقبال احتفاء مدو، غادر المتحدث المسرح. وأنا جلستُ فقط صامتًا هناك، بينما انطلقت الأسئلة واحدًا بعد الآخر إلى السطح في رأسي. "لمَ كنتُ أشعر بشدة الخواء في الحياة؟" لا يهم كم من المال صنعت وكم من النجاح أصبحتُ، ما زلت لا أشعر بأي اختلاف. تساءلتُ كذلك إذا ما كانت مهنتي التي اخترتها هي ما كان يجب أن أقوم به أو إذا ما كان هناك شيء آخر كان من المفترض أن يكون هو "عمل حياتي". كذلك، تساءلتُ إذا كنت سأجد حبًا حقيقيًا في حياتي وما إذا كان رفقاء الروح موجودون بالفعل. كان من الممتع بالنسبة لي أن الكثير من الأسئلة قد بدأت في الظهور بمجرد أن استغرقت وقتًا قليلًا في صمت وسكون.

وكلما حفرتُ أعمق، ظهرت إلى السطح المزيد من الأسئلة: هل كان لديّ الخيار فيما أصبحت عليه حياتي أم أن كل شيء قد تم تحديده مسبقًا طبقًا لخطة كبرى؟ إذا كان لديّ خيار بالفعل، فما الذي كان

يبقيني بعيدًا عن أن أخطو لجعل الأشياء أفضل؟ هل كانت هناك بالفعل حياة أفضل تنتظرني هناك أم أن ذلك مجرد تفكير تخيلي؟ تساءلتُ كذلك ما إذا كان كل شيء حدث بين ريتشيل وبيني قد تم تنسيقه عن طريق قوة ما من الطبيعة أو إذا كان ما أضحت عليه الأشياء ليس أكثر من انعكاس لاختياراتي الشخصية: أن أضع عملي فوق أسرتي، أن أهتم باحتياجاتي أولًا، أن أفعل كل شيء أردت فعله بدلًا من أن أكون ذا قلب كبير، ورحيم، ومهتم. أغلقتُ عينيّ وفكرتُ في هذه الأسئلة المهمة. ثم قمت بشيء لم أقم به من قبل أبدًا: بدأت أدعو طالبًا الإجابات.

وبعد دقائق قليلة فقط، سمعتُ أحدهم ينادي باسمي. نظرت حولي، لكنني ويا للغرابة لم أبصر أي شخص أعرفه. وباعتبار خبرة الليلة الماضية المؤلمة، تساءلتُ ما إذا كنتُ على وشك الجنون. منذ أربع وعشرين ساعة فقط مررتُ بطوفان من الضوء الأبيض يغمر جسدي واستلمتُ رسالة: *"إن الحياة كنز وأنت أكبر بكثير مما تعرف عن نفسك"*، والآن أسمع اسمي يُنادى به في قاعة شبه خالية، بعد محاضرة تحفيزية لا يمكن أن تُنسى. أغلقتُ عينيّ مرة أخرى؛ فقط لأسمع اسمي ينادى عليه مرة أخرى! فتحتُ عينيّ بسرعة ونظرت حولي، لكنني مرة أخرى لم أرَ أي شخص أعرفه. هذه المرة، رغم ذلك، رأيت مفتاحًا غريبًا غير أنه واضح على المقعد القريب من مقعدي: مظروف أبيض، واسمي مكتوب عليه بخط أحمر أنيق. كان محكم الإغلاق. شققتُه بسرعة وقرأت الكلمات التي على الورقة: "دار، توقف عن عيش حياتك ككذبة. كن صريحًا مع نفسك وسوف يأتي قدرك يدق عليك الباب. سألاقيك وراء الكواليس. قميصك لطيف بالمناسبة؛ أحب الخطوط المرسومة عليه، أنيق للغاية".

ما الذي كان يجري؟ أخبرني إيفان أن شيئًا مهمًا قد يحدث في هذا الجمع التحفيزي، لكن هذا كان يتعدى المعقول. بدأ قلبي يدق بسرعة، ثم تساءلتُ إذا كانت هذه مزحة ما أو إن كان هناك من يريد أن يجذبني تجاه موقف خطر. لكن شيئًا داخليًا قد نشِطَ نتيجة لعرض المتحدث التحفيزي، كأنما زرعتُ بعض البذور التي بدأت بالفعل في الإنبات. وظهرت كلمة واحدة في رأسي: الثقة. أخذت أوراقي ووضعتها في الحقيبة الجوتشي الخاصة بي. ثم وقفتُ، ودون تحفظ، سرت نحو حافة المسرح من حيث ألقى المتحدث عرضه الملهم. ووجدت طريقي نحو الستائر القريبة من مقدمة المسرح وانزلقتُ خلال فتحة في طيّات القماش.

خلف الكواليس، كان كل شيء في نشاط وحركة سريعين. لم أستطع أن أرى المتحدث، لكنّ مهندسي الصوتيات والبصريات كانوا يعملون بجهد، يحزمون المعدات داخل صناديق من الألومنيوم. لم يبدُ أن أحدًا يلحظني. وبينما أكملت السير حول منطقة الكواليس، انفتح باب ببطء، سامحًا لضوء بارق بالظهور وإضاءة المساحة المضاءة بخفوت. شعرتُ أن هناك من يرشدني نحو ذلك الباب، رغم ما يبدو عليه الأمر من غرابة. شعرت أن هناك من يجذبني حرفيًا تجاه هذا الباب. تحركتُ نحوه ثم دخلت بهوًا ما. كان قلبي ينبض بسرعة ومعدتي مقبوضة من القلق بينما أنزل البهو. شعرت أنني مرتعش وغير واثق. لكنني شعرت كذلك بثقة لم أعهدها من قبل، ثقة جعلتني أعتقد أنه يتم الاهتمام بكل شيء بشكل ما.

قادني البهو إلى باب أحمر ولا شيء به سوى نجمة فضية عليه. خمّنت أن هذه كانت حجرة الملابس الخاصة بالنجوم الذين يؤدون العروض في القاعة. قرعت الباب ثلاث مرات. ولم يجب أحد. قرعته

مرة أخرى بالمزيد من القوة. ومرة أخرى لم يكن هناك رد. انتظرت عدة لحظات ثم قررت أنني ربما كنت أضيع وقتي. أرشدتني الرسالة إلى الكواليس لكن أحدًا لم يكن هناك. لم يكن ذلك منطقيًا. كنت أشعر بالتعب وكنت في حاجة حقيقية لبعض النوم. لقد كانا يومين قاسيين وربما كان فنجان ساخن من الشاي ليهدئ أعصابي المنهكة.

كنت على وشك الاستدارة بعيدًا عندما، كما السِحر، انفتح الباب. لم أستطع أن أرى أحدًا خلف الباب، لكن الباب استمر في الانفتاح أكثر. وحين خطوت داخل الغرفة، فوجئت مما رأيت. كانت أوراق الزهور منثورة على الأرض. كان يقف في الجهة المقابلة شخص طويل يرتدي ثوبًا قرمزيًا، ذلك النوع الذي يرتديه النسّاك في نيبال. كان ظهره يواجهني ويقف دون حراك. خطف التطريز المعقد على خلفية الثوب بصري. كان جميلًا وغنيًا بالألوان. ولسبب ما، بدأت في الاسترخاء وأطلقت تنهيدة. شعرتُ -ولا تسألني لماذا- أنني مع صديق.

وببطء، وبشكل مسرحي، استدار الشخص ناحيتي ونظر مباشرة في عينيّ. بدا أنه يلمس روحي بنظرته الثاقبة. خلال حياتي بأكملها لم يحدث أن قابلت شخصًا يُظهر مثل هذه القوة. كان يبدو شابًا، أسمر اللون، كثيف الشعر أسوده، وكان يبدو في حالة صحية رائعة، باديًا مثل أحد العمالقة اليونانيين من عصر مضى، أو ربما نجم من هوليوود. وعيناه! لن أنسى أبدًا هاتين العينين. كانتا أثقب وأروع عينين رأيتهما من قبل.

من كان هذا الرجل؟ لمَ كان يحدق بي؟ لمَ لم أكن خائفًا؟ لم أكن أعلم ما أفعله وبقيت واقفًا هناك، ممتلئًا بالرهبة من التجربة بأكملها. بقيت الغرفة صامتة وهذا الغريب بقي بلا حركة وبلا أي تعبير. ثم

انعطف فمه إلى ابتسامة لطيفة وبدأت عيناه في التألق مثل عيني طفل. وتحدث بلهجة واثقة.

"أنت فقط يمكنك اكتشاف مصيرك، يا دار. أنت فقط يمكنك أن تعرف الطريق الذي تم تمهيده لأجلك، ذلك الذي يحدثك قلبك عنه لكي تسير فيه. لكن وجود مرشد لك سيجعل الرحلة أيسر؛ جميعنا نحتاج مرشدًا جيدًا للحياة ليساعدنا على الوصول إلى أفضل حياة لنا. يقول حكماء الزن إنه حين يكون التلميذ مستعدًا، سوف يظهر المعلم. والآن، ربما تم استخدام هذه الجملة بشكل زائد عن الحد، غير أنه يحدث أن تتحقق كذلك. إنني سعيد للغاية لأنك وثقت في غريزتك وجئت هنا اليوم. لا يجب أن تكون خائفًا. إنني أعرف ما حدث لك. أعرف الخسارة التي تعرضت لها. وأعرف معاناتك. أعرف ارتباكك. إنني أعرف كذلك شيئًا عما تتوق إليه".

سألته في صوت خافت: "ما أتوق إليه؟ ماذا تعني؟". ارتفع صوته القوي بانفعال ليملأ الغرفة الصغيرة: "أنت باحثٌ، مثل كثيرين للغاية على الكوكب اليوم. إن العالم يتحول، بينما الناس الذين كانوا من قبل يرغبون أن يعيشوا حياة عادية يخطون الآن بعيدًا عن مناطق الأمان الخاصة بهم نحو استكشاف غرابة الأشياء الاستثنائية. لم يعد الناس يرغبون في البقاء نصف أحياء، منفصلين عن قوّتهم الحقيقية. يريدون أن يعيشوا بقوة، ويحلقوا بين السحاب، ويسيروا بين العمالقة ويرقصوا مع النجوم!" .

ثم بدأ في الضحك، ويا لها من ضحكة صادقة ومُعْدية!

"سامحني يا دار، إنني متأثر قليلًا. الحقيقة أنني شديد الاستثارة بما يحدث في العالم اليوم. ملايين الملايين من البشر يدافعون عن أفضل حياة لهم. الكثير من الناس يرفضون أن يلعبوا دور الضحية ويختارون

بدلًا منه أن يلعبوا دور المنتصر. الكثير من الناس يدخلون عميقًا داخل أنفسهم ليتفقدوا ويقهروا مخاوفهم. تتفتح القلوب حول العالم ويبحث الناس عن الأجزاء المتألقة والرائعة من أنفسهم، تلك التي فقدوها بينما كبروا وأصبحوا ناضجين. إنه وقت استثنائي لنحيا. العالم بأكمله يصبح مكانًا أفضل. في الواقع، لم يكن هناك وقت أفضل لتكون إنسانًا".

ظهر الشخص النزاع إلى الشك داخلي على السطح وقال: "لا يبدو الأمر كذلك بالنسبة لي. هناك حروب ومجاعات وجرائم. إن بيئتنا لفي فوضى. لا تفهمني بشكل خاطئ، لستُ الشخص الأكثر وعيًا بالمجتمع هنا، غير أنني أستطيع أن أرى أن العالم مكان منعدم الثقة وعنيف".

"صحيح للغاية"، أجاب الرجل بتواضع، وكأنما ليس لديه ما يثبته لي، ليس لديه رغبة في أن يزين نفسه ليبدو على حق. "ما زال هناك الكثير من الظلام في العالم. لكن، ثق بي، هناك أيضًا الكثير من الضوء أكثر من أي وقت مضى. الكثير من الناس أدركوا أنه يمكنك أن تلعن الظلام أو يمكنك أن تكون شجاعًا لتكون واحدًا من هؤلاء الذين يضيئون شمعة. هذا هو كل شيء عن القيادة كإنسان؛ إضاءة الشموع وسط الظلام. إن الظلام يوجد فقط حيث يفتقد النور. والشموع تضاء حول العالم، بشكل مجازي. إننا نتحرك باتجاه كتلة حرجة، طرَف مدبب ستكون عنده نقلة ضخمة. وهي ليست بعيدة للغاية. حين يفيق ما يكفي من الناس لحقيقة من هم ويسعون لأعلى إمكاناتهم، سيكون هناك وثبة كمية. هذا العالم بأكمله سيغدو مكانًا جميلًا ليكون جنة على الأرض".

"جنة على الأرض؟ وثبة كمية؟"

"بلى. ستكون هناك وثبة كمية في عدد الأشخاص الذين سيكونون على طريق الأصالة - طريق يشمل أن تعيش الحياة بمفاهيمك أنت طبقًا

لقيمك الأكثر عمقًا ومثاليتك العليا. إنه طريق يشمل العيش بقلب واسع منفتح وعقل متطور. إنه طريق حول مواجهة مخاوفك والأشياء التي تبقيك صغيرًا ، لكي تدع عظمتك تسطع. إنه جميل يا عزيزي!" قالها الغريب مع غمزة.

وأضاف بحماس: "ستكون هناك طفرة في عدد الناس الذين سيرغبون في مداواة جوانبهم المظلمة وعدم فعل أي شيء يجرح أو يقيّد شخصًا آخر. ستكون هناك طفرة في أعداد الناس الذين سيرفضون أن يعيشوا حياة أقل من أن تكون نبيلة وجيدة وبلا خوف. ستكون هناك طفرة في أعداد الناس الذين سيكتسبون القيادة الحقيقية في حياتهم. ستكون هناك طفرة في عدد الناس الذين سيصبحون باحثين، مثلك تمامًا، يا دار، بحثًا عن السعادة والسلام الداخلي وحياة عميقة المعنى. هناك نقلة ثورية هائلة تظهر في الإنسانية. هذا الجنس البشري بأكمله يتغير. إننا نرفض أن نقبل أي شيء أقل من عظمة شخصية".

"ماذا تعني بـ 'نقلة ثورية'؟"

"شكرًا لسؤالك. ليست هناك أسئلة سخيفة في هذا الحوار المهم كما تعلم. معظم تطورنا كبشر، حتى الآن، اشتهر بتركيز على الأشياء المادية، وعلى المظهر الخارجي. حتى الآن، كان كله عن التراكم والتجميع. وقد كانت القيمة السائدة "ذلك الذي لديه أغلب الانتصارات" - الذي لديه الشهرة الأكبر، الذي لديه الثروة الأعظم، الذي لديه النفوذ الأكبر على الآخرين. وبافتراض هذه القيمة، فقد أصبح "البقاء للأصلح" هو اسم اللعبة. كل الأمر تنافس، لأننا أصبحنا نثق أنه ليس هناك شيء كاف لكل شخص ليكسبه. غير أن هذه الفلسفة لم تعد تخدمنا في السباق.

لقد جئنا في وقت الندرة. وخلف فكرة الندرة تلك يوجد خوف تام. وبما أن نوايانا وما نفكر فيه تخلق ما نراه في عالمنا الخارجي، فكل ما نراه هو النقص - ولا يوجد أبدًا ما يكفينا. وهكذا تبدأ الدائرة، إننا لا نشعر أبدًا أن هناك ما يكفينا ولا نكون سعداء أبدًا".

"رائع. لم أسمع شيئًا مثل هذا من قبل"، أشرتُ وأنا أجلس على كرسي في غرفة الملابس. وبقي الشخص الغريب واقفًا ويداه معقودتان خلف ظهره.

"والآن، إليك ما أقصد به 'نقلة ثورية': كثير من البشر على الأرض ينقلون تركيزهم من الاهتمام الوحيد بالأشياء الماديّة إلى الاهتمام أكثر بما هو روحاني. إننا نتحرك من الاستقلال، حيث كل شيء 'عنّي، عنّي، عنّي' إلى تقدير للأهمية الأسمى لل 'تبادلية'. كثير منا أصبحوا واعين بحقيقة أننا جميعًا جزء من الأسرة نفسها. أكثر من تطوروا بيننا في العالم اليوم هم أولئك القادة الحقيقيون - ولا أعني بالقادة بالضرورة رؤساء مجالس الإدارات، والرؤساء والجنرالات العسكريين، بل هم كل النساء والرجال الذين رفضوا أن يتبعوا الجمع؛ أدركوا أننا على المستوى الأعمق جميعنا مرتبطون. إنهم يعرفون أنك حين تجرح آخر، فإنك في حقيقة الأمر تجرح نفسك. يعرفون أنك حين تساعد شخصًا آخر، فأنت تساعد نفسك في الواقع. حتى العلم الحديث يظهر ذلك الآن، مؤكدًا على نحو تجريبي، ما ظل الصوفيون يقولونه لآلاف السنين. علماء الفيزياء الكمية اكتشفوا أن العالم نظام مترابط بشكل مدهش، حيث كل شيء في علاقة مع ويتأثر بكل شيء آخر. كان الشاعر الإنجليزي جون دون يقول الصدق حين كتب: "لا يوجد إنسان جزيرة كاملة في ذاتها، كل إنسان هو

جزء من القارة، جزء من الأرض الرئيسية... كل موت لإنسان يضعفني، لأنني منخرط في البشرية، ولذا لا تسْعَ لمعرفة لمن يُقرع الجرس، إنه يقرع من أجلك أنت".

"هذا مثير للغاية"، أجبت وأنا منجذب بالفعل لهذه المعلومة الجديدة التي كنت أسمعها.

"كثيرون للغاية بيننا قد حولوا تركيزهم من البحث عن الخارجي إلى رحلة نحو الداخل. أصبحت الرحلة الإنسانية للكثيرين رحلة داخلية. لقد أدركنا أن بوابة النجاح الأبدي لا تتأرجح للخارج بل تنفتح للداخل. إن *أعظم الكنوز هي تلك التي تكمن في الداخل*. ونحن كجنس بشري نبدأ الآن في التفكير أكثر بكثير عن احتياجات أرواحنا ونكرس المزيد من الوقت لأنشطة مثل النمو الشخصي، وأن نكون أكثر محبة وعطفًا ونترك ميراثًا أكبر. *إن النجاح مهم لكن المغزى من الحياة أهم*. انظر فحسب إلى كتب القوائم الأكثر مبيعًا حول العالم؛ كثير منها يدور حول البحث عن معرفة الذات والحرية الذاتية. الناس حول العالم بأعداد كبيرة يسألون الأسئلة الكبرى في الحياة مثل 'لماذا أنا هنا؟' و'ما هو مصيري؟' وبينما أقول إن المزيد من الناس يتغيرون، فإن العالم بأكمله يتغير أكثر. إنها عملية رائعة للغاية تلك التي تحدث. وإنه لوقت رائع لنحيا فيه".

"هذا ملهم للغاية"، أشرتُ وأنا أسترخي أكثر وأستوعب بالكامل ما كنت أسمعه. وفككتُ ذراعيّ.

قال الراهب: "والآن لا تفهمني بشكل خاطئ. ليس من الخطأ أن تصنع مالًا، وتمتلك أشياء جميلة، وتعيش حياة مادية جميلة. إننا كائنات روحانية نمتلك خبرة إنسانية ويمكن أن تصبح الحياة أفضل بالاستمتاع بالأشياء الرائعة التي صنعها البشر. إن المال يجعل الحياة أيسر ويمنح

قدرًا هائلًا من الحرية. ومن يخبرك بغير ذلك، فمن المحتمل أنه يعاني متزامنة النعام".

"وما هذه؟"

"عدد كبير من الناس يتجنبون التعامل مع الحقيقة. الأسهل أن تضع رأسك في الرمال مثل النعامة من أن تواجه مقاومتك للحقيقة. وحقيقة الأمر أنه لا يوجد أي شيء خاطئ في صنع المال وامتلاك أشياء جميلة. من ذاك الذي أتى بهذه الفكرة السخيفة بأنك لا يمكنك امتلاك أشياء محببة وفي الوقت نفسه تكون روحانيًا وجيدًا ومتطورًا، على كل حال؟ فليكن لديك بيت محبب. ولتقُد سيارة رائعة. ولتسافر إلى أماكن غريبة. وتلبس ملابس جميلة. إنني لا أقترح عليك ألا تمارس وتستمتع بمثل هذه المتع الحياتية. بالتأكيد، فهذه الأشياء خلقها من خلق الأنهار والجبال والأشجار. فقط تذكّر أن الجمال بعمق الجلد فحسب. فلا يجب أن تكون هذه الأشياء قوتك الدافعة. لا تعتمد عليها في هويتك وتقييمك لذاتك. واعلم أنها لن تدوم. إنها مسألة أولويات؛ لا تجعل من تراكم مثل هذه الأشياء الخارجية أهم أولوياتك. إننا نأتي إلى الحياة بلا شيء ونرحل بلا شيء. لم أرَ أبدًا سيارة نقل تتبع نعشًا إلى المدافن. ها هو أهم شيء لكي تتذكره. فلتكن لديك أشياؤك الجميلة، لكن لا تسجن نفسك فيها. امتلكها ولا تدعها تمتلكك. أطلق العنان للهدف الرئيسي لحياتك لساع أكثر أهمية مثل اكتشاف أقصى إمكانياتك، وشغل نفسك بخدمة الآخرين، وصنع اختلاف بأن تعيش لشيء أكثر أهمية من نفسك. إن النجاح جيد، غير أن المغزى هو الاسم الحقيقي للعبة"، هكذا أكّد الراهب.

كانت حكمة هذا الرجل كلها هي ما أحتاج إلى سماعه في هذه النقطة من حياتي. ربما كنتُ بالفعل التلميذ وربما كنت قد وصلت

بالفعل إلى نقطة أنا على استعداد فيها إلى التعلم، والآن ظهر المعلم. ربما لم يكن أي مما مررت به في حياتي حتى هذه النقطة ضائعًا. ربما كان يجب أن تحدث كلها - كتهيئة كاملة لتصل بي إلى هذه النقطة من الاستعداد. كان إيفان، مدير الموارد البشرية الخاص بي، الرجل الملهم للغاية، يستخدم بكثرة جملة "كل شيء على ما يرام في هذا العالم" كلما حدث شيء لم يكن مخططًا له. مهما كان ما حدث له في العمل أو في الحياة، كان يقول إن كل شيء "على ما يرام"، حتى لو كان الأمر مؤلمًا. كنت بدأت أشعر أنه كان يتحدث بصدق. ربما لم تكن بالفعل مجرد صدف وكل تعقيدات حياتنا حدثت طبقًا لذكاء محير رغم أنه مثاليّ، والذي بقدر ما نستطيع المحاولة لن يمكننا فهمه.

"أرجو ألا تمانع أن أسألك، لكن من أنت؟" سألتُه حاشدًا شجاعتي وراجيًا ألا أهين بأي طريقة هذا الرجل المميز الذي لا يُنسى، والذي كان يشاركني خبرته العميقة.

"اسمي جوليان مانتل وقد جئتُ لأكون مرشدًا لك. إنني هنا لأساعدك على اكتشاف مصيرك"، هكذا جاء الجواب البسيط.

بعدها مدّ يده إلى جيب حريري واسع مخيط داخل ثوبه وأخرج ثمرة موز. هل تصدق ذلك؟ موزة! قام بتقشيرها وبدأ مضغها برضى.

سألني بكرم: "هل تريد واحدة؟ لديّ واحدة أخرى في حقيبة ظهري"، قال ذلك مشيرًا نحو حقيبة رثة من القماش عند الزاوية. "الموز وقود ممتاز للجسد. يجب أن يتغذى الجسد على الأطعمة الجيدة فقط، إذا كنت تريده أن يعمل على أقصى مستوى لديه".

سمعتُ ما قاله بصعوبة - فقد بدأ عقلي في التسابق. جوليان مانتل!

غير معقول! لقد كنت أعرف من هو جوليان مانتل. كل من عرفتُ كانوا يعرفون اسم جوليان مانتل. لم أستطع أن أتمالك انفعالي.

"جوليان مانتل! الراهب الذي باع سيارته الفيراري؟ هل أنت جاد؟" المشهد بأكمله بدا كالحلم: الراهب الذي يقف أمامي، الكلمات الحكيمة التي قدّمها لي، مضغ الموزة. لقد بدا الأمر كأنني خارج جسدي أشاهد الأمر بأكمله واضحًا من أعلى. بالأمس كان مسدسي ملتصقًا برأسي، جاهزًا لسلب حياتي. وبعد يوم واحد فقط، أقضي الوقت خلف الكواليس بعد محاضرة تحفيزية مع راهب غريب يخبرني عن قيمة أكل الموز ويشاركني أفكاره حول التحول الروحاني الذي يحدث حول العالم. ببساطة هذا لا يصدّق.

لقد سمعت عن جوليان بشكل منتظم منذ كنتُ صغيرًا. كان أبي محاميًا يعمل لدى إحدى الشركات الكبرى في المدينة وكان باستمرار يسلّيني بحكايات "جوليان مانتل العظيم". لقد كان جوليان أحد أفضل المحامين في الأمة ورجلًا مشهورًا للغاية في كل مكان، ليس فقط من أجل مواهبه القانونية وإنما لأسلوب حياته المرتفع والثري. جوليان مانتل كان نجمًا بكل معنى الكلمة. لقد كانت لديه كل ما قد يرغب فيه إنسان. لكنه ألقى بكل ذلك بعيدًا.

تخرّج جوليان في جامعة هارفارد للمحاماة وكان مقدرًا له حياة من النجاح. كان "رجلًا من ذهب" وبدا وكأنه لا يمكنه التوقف حيث اجتذب أكبر القضايا، وأفضل الزبائن، وحقق فوزًا بعد الآخر. وعلى امتداد الطريق، جمع من المال أكثر مما تخيل أبي أبدًا أن محاميًا يمكنه أن يجمع، وكسب شعبية في شهر واحد أكثر مما حازه معظم المحامين خلال حياتهم العملية بأكملها. قال أبي إنه قابل أجمل النساء في المدينة،

أكثر عارضات الأزياء شياكة، وأحبّه الجميع لشخصيته غير العادية وسحره المفرط. حين كنتُ صغيرًا، كان أبي يذهب بي إلى أكثر المناطق أناقة في المدينة ويشير لقصر جوليان المنبسط، الذي يقع على بعد عدة منازل فقط من بيت أحد أشهر نجوم الروك في العالم. بدا وكأن جوليان يعيش حياته لأقصى حد ويملكها حتى آخرها. حتى إنه كانت لديه سيارة فيراري حمراء بارقة اعتاد أن يوقفها في منتصف طريقه الخاص إلى البيت. ما زلتُ أذكر إلى أي مدى كنت أحب النظر إلى تلك السيارة وأنا صبي. كنتُ لأبذل أي شيء في سبيل أن أركب بها. قال أبي إنها كانت أحب ممتلكات جوليان إليه.

بعدها حدث شيء لجوليان مانتل، حسب ما قاله أبي. لقد بدأ يتفكك. اكتسب وزنًا وبدأ في التدخين كثيرًا جدًا. بدأ في أخذ الكثير من الفرص وخسارة الكثير جدًا من القضايا. لم أكن متأكدًا في الواقع مما سبب هذا الخراب، لكنه كان أصعب سقوط من النعيم رآه أي منّا قط. أعتقد أنك كلما ارتفعت كان السقوط أقسى. ثم، يومًا ما، وفي وسط إحدى غرف المحاكمات احتشادًا، ووسط محاكمة شهيرة، انهار جوليان بسبب نوبة قلبية فيما يبدو. أخبرني أبي أن هذه كانت اللحظة المحددة لحياة جوليان مانتل - نقطة التحول. إن ما نبدو عليه حين نلتقي بنقاط التحول في حياتنا له أثر كبير على ما تنقلب إليه حياتنا بشكل تام، هكذا تعلمت. وما قام به جوليان بعد ذلك بدّل سياق حياته للأبد.

بعد شهور من التعافي، استقال جوليان من ممارسة المحاماة وترك البلاد. باع قصره. باع ممتلكاته. حتى إنه باع سيارته الفيراري الثمينة، ورحل إلى الهند، هذه الأرض الغريبة ذات المليون مغامرة والحكمة التي لا تنتهي. أعتقد أنه كان يبحث عن بعض الإجابات وأن الهند بدا أنها

ستقدم له وعدًا ما بالحصول عليها. ولم يسمع أحد عن جوليان لوقت طويل للغاية. وظن الكثيرون أنه مات.

ومنذ عدة أشهر ماضية قرأتُ مقالًا على الصفحة الرئيسية بعنوان "جوليان مانتل: الراهب الذي باع سيارته الفيراري. حملة رجل واحد لتحسين العالم". كشف المقال أن جوليان مانتل قد مر بتحول كبير بينما كان في الهند. ففي أعلى جبال الهيمالايا، اكتشف مجموعة غير معروفة من الرهبان. شاركوه فلسفة قديمة وعميقة للتحول الشخصي ولعيش أعظم ما في حياة المرء. ومن خلال الحكمة الرائعة التي تعلمها، مر جوليان بتغيرات هائلة -ورائعة- في حياته الخاصة. فبدنيًا، بنى نفسه مرة أخرى بحيث بدا أصغر بسنوات كثيرة من عمره الحقيقي، مفرزًا حيوية استثنائية بالفعل. وعقلانيًا، استطاع الوصول إلى أكثر الحقائق الكونية التي تنبني عليها حياة ثرية وذات معنى وقام بدمجها ليخرج بالطريقة التي أبصر بها العالم، مكتشفًا السلام الداخليّ في هذه العملية. وشعوريًا، أصبح على وعي بكثير من الجروح التي عانى منها خلال طفولته، الجروح التي كانت لا تزال تسيّر حياته كناضج، مانعة إياه من اختبار المتع التي يستحق كل فرد منا أن يمر بها بشكل يومي. ثم سمح له ذلك بأن يمحو الكثير من الغضب الذي كان يحمله معه طوال حياته، مؤثرًا عليه بدنيًا ونفسيًا. أصبح قادرًا على مداراة جروح الماضي. وروحانيًا، استطاع أن يصل إلى أعمق القيم ويعيد الاتصال بنفسه العليا. انتزع جوليان القناع الاجتماعي الذي كان يرتديه طوال حياته وأصبح حقيقيًا، والآن يعيش حياته هو بمفاهيمه الخاصة، متطابقًا مع قيمه هو العليا وطبقًا لما يمليه عليه قلبه هو. لقد توقف عن العيش ليُرضي الآخرين وتوقف عن الاهتمام بأن يبدو رائعًا

في هذا العالم. لقد رفض أن يتبع الحشد ويخدع نفسه، بأي طريقة. كل ما أصبح يهتم به الآن هو أن يكون حقيقيًا ويقوم بالشيء الصحيح. "لقد اكتشف جوليان مانتل طريقه وجعله هذا رجلًا سعيدًا للغاية"، هكذا ورد في المقالة.

ذكرت المقالة أيضًا أن جوليان جعل مهمته الرئيسية أن يعود إلى الغرب ويساعد كثيرًا من الناس بقدر استطاعته لكي يعيشوا أفضل ما في حياتهم ويصلوا إلى أقصى إمكاناتهم. وأوضحت القصة كيف يظهر جوليان، بردائه الأحمر، في أماكن مختلفة ويساعد بعضًا من أصدقائه القدامى وأفراد العائلة وغرباء ليبحثوا عن عظمتهم الشخصية ويعيشوا أكثر سعادة وأحسن صحة، ويمضوا حياة أكثر اكتمالًا. كتب الصحفي أن عمل جوليان صنع ضجة هائلة وأن كثيرًا من الناس في البلاد قد بدءوا في تجميع بعثات للبحث عنه. لقد أصبح جوليان بطلًا شعبيًا وبدأ مناخ من الغموض يظهر حوله. غير أن جوليان كان محيرًا بشكل واضح: فلم يستطع أحد ممن بحثوا بشكل نشط عن جوليان أن يجدوه. ولم تتم مقابلة جوليان في القصة، غير أن كثيرين بدءوا في تسميته بـ"المرشد الرافض". وقد تظهر قصة حياة جوليان كفيلم خيالي، حين يصبح الكثير منّا جوعى روحانيًا.

سألتُه وأنا ما زلتُ غير مصدق: "هل أنت حقًا جوليان مانتل؟ لمَ جئت للبحث عني؟ لقد اعتاد أبي أن يحكي لي عنك. لقد كان أحد زملائك كما تعلم".

"أنا أعلم *بالضبط* من هو والدك"، جاء رده اللطيف. "لقد كان صديقًا لي، وأنا أقدّر صداقاتي كثيرًا. أخبرني والدك عنك كثيرًا، وقد

سمعتُ عما حلّ بحياتك الأسرية مؤخرًا. لقد جئتُ لأكون في الخدمة. القادة الخدّام أقوى من الجميع كما تعلم".

"لم أعرف ذلك أبدًا"، أجبته.

"*الأمور لا تكون بالسوء الذي تبدو عليه أبدًا. والمواقف التي تسبب لنا الحزن هي نفسها التي تقدم لنا القوة والطاقة والحكمة التي هي نحن بالفعل*".

ثم أكملَ: "أعرف أن الأشياء كانت شديدة الصعوبة عليك يا دار. إنني أحس بشدة بما تمر به ولن أقلل من شأن مشاعرك أبدًا. *فالمشاعر هي بوابات روحك ويجب الاعتراف بها ومن ثم الشعور بها بالكامل. المشاعر تحمل معلومات مهمة وتخدم في تشجيع علاقاتك بنفسك إذا تم اكتشافها بالكامل*. وإنكارها هو إنكار لجزء طبيعي منك. أن تدّعي أنك لا تشعر بما تشعر به قد يكون شيئًا غير صحي تمامًا، جسديًا ونفسيًا. وابتلاع مشاعرك يؤدي إلى المرض. غير أن هناك صورة أكبر كثيرًا في العرْض، لكنك لن تستطيع فهمها بإدراكك الحالي. تذكّر، إننا نرى العالم كما نبدو نحن وليس كما يبدو هو. وبينما تتغير، تتغير الطريقة التي ترى بها العالم. *وكلما اتسع وعيك، صرت على وعي بأشياء لم تتمكن من قبل من رؤيتها أو فهمها*. كل شيء على ما يرام هنا. كل ما اتضح لك يرشدك إلى مكان رائع. إننا نميل، كبشر، لأن نطلب من الحياة أن تستمع إلى ما نريده. لكن الحياة لا تعمل بتلك الطريقة. إنها تمنحنا ما نحتاج إليه، ما هو أفضل لنا - ما هو في أقصى اهتماماتنا. *ستعمل حياتك بشكل أفضل بمجرد أن تبدأ في الاستماع إلى الحياة. لا تحاول أن تدفع النهر في الاتجاه الذي تريده وإنما اتركه يقودك إلى حيث يريد هو. وثق أنه أينما تحملك الحياة فهو بالضبط ما يجب أن يكون. تخلّ عن كل مقاومتك وتحرك نحو وضع الاستسلام لما ينكشف أمامك*. إن القيام

بذلك هو إحدى الطرق التي ستضمن أن تسير في طريق مصيرك، طريقك الحقيقي".

أخبرته: "قرأتُ قصة عنك في الجريدة منذ وقت بسيط مضى. شيء رائع ما تقوم به لتساعد على جعل العالم مكانًا أفضل".

أجاب جوليان مبتسمًا: "بلى، لقد قرأت هذا المقال. إنه معي، في الواقع، في مكان ما. إنني رجل مثاليّ ويشعرني بالسعادة أن أقرأ هذه المقالة لأنها تذكرني أنني أحدِث اختلافًا. أقيس حياتي لا بالعقود، بل بالأفعال. لقد تعلمتُ أن السعادة الأبدية تأتي بالعطاء لا بالأخذ. يقولها الصينيون بشكل رائع جدًا: 'دائمًا ما يلتصق بعض العطر باليد التي تمنح الزهور'. ومع ذلك، غالبًا ما ننسى هذا. وفي العمل، على سبيل المثال، نخفق في التعامل بأساليب الربح المتبادل. نحن نقتنع بالافتراض الخاطئ بأن على البعض أن يخفق حتى نربح نحن. فنحمي مناطقنا ونرفض أن نتعامل من الإطار الذي يرى قيمة مساعدة كل من حولنا على النجاح. هذا غير صحيح تمامًا. فالحقيقة أن أفضل طريقة لتقود الميدان في العمل هي أن تكرس نفسك لإضافة قيمة أكبر لعملائك وزبائنك أكثر مما يحق لهم أن يتوقعوه. القادة الحقيقيون في العمل يدركون من يقدّم الطعام على مناضدهم، وبالتالي، يعاملون زبائنهم بما يشبه الولاء. إنهم يخدمون، ويقدرون، ويحبون زبائنهم. فالحب أداة مؤثرة بشكل لا يصدق في العمل، هل تعرف ذلك؟"

"لم أفكر في الأمر بتلك الطريقة من قبل".

"حسنًا، هذا صحيح يا صديقي. وقبل أن يمنحك أحدهم يد المساعدة، عليكَ أن تلمس قلبه. كن كالشمس: الشمس تمنح كل ما يمكنها منحه. وعلى الجانب الآخر، كل الزهور والشجر والنباتات تنمو في اتجاهها. وفي حياتك العملية فقط، كرِّس نفسك لإبهاج وحُب زبائنك،

سوف تخلق جيشًا من سفراء النوايا الحسنة الذين سيندفعون داخل العالم ويخبرون كل من يعرفونه عما تفعل وعمّن تكون. حتى حين يأتي الأمر لمن تسميهم منافسيك، حاول أن تقوم بكل ما تستطيع لتساعدهم. اصنع تحالفاتٌ معهم. وأنشئ صداقات معهم. إن التجارة كلها تعتمد على العلاقات. ساعدهم في الوصول لما يريدون وسوف يبدأ قانون التبادل القديم في العمل - سوف يبدءون في مساعدتك لتحصل على ما تريد. تبدأ عملية الأخذ بالعطاء".

"نقطة جيدة جدًا"، وافقته وأنا أستشعر قوة كلمات هذا الرجل.

"وإذن، كما أخبرتكَ، فجزئية الاختلاف الذي أصنعه في هذا المقال تجعلني أشعر بشيء طيب تجاه نفسي، حيث تذكرني بأنني أحسّن حياة الآخرين، بطريقتي الصغيرة. لكنني لا أتقبل كل التقدير الذي يوجَّه لي بجدية شديدة. *فلا أحد سيعيرك انتباهه جدّيًا حين تهتم أنت بنفسك بشكل زائد عن الحد*".

ابتسمتُ مع سماع تلك الجملة. كان الرجل بارعًا.

"لا أصدق أنهم يسمونني حكيمًا"، أكملَ وهو يزيل قشرة من الموز عن ردائه النظيف. "ما الذي أعرفه أنا عن هذا النوع من الأشياء؟ إنني مجرد رجل عادي اكتشف، بمساعدة بعض المعلمين الأقوياء، فلسفة ستقود أي شخص يختار أن يتبناها إلى حياة جميلة. كل إنسان يحتاج إلى نحت الوقت لتفصيل فلسفة لحياته أو حياتها - إنها أحد أهم الأشياء التي يمكن للمرء أن يفعلها. كل إنسان، ولكي يعيش بحق وبشكل رائع، عليه أن يحدد كيف يريد أن يعيش وكيف ستبدو حياته الأكثر سطوعًا. كلنا نحتاج لعبارة على قطعة من الورق يمكننا أن نزورها كل صباح، بينما بقية العالم نائمون، تعمل كبوصلة أخلاقية توجهنا لاختيارات

يومنا. ستعمل هذه كمرساة تضعنا في أفضل تحركات لنا. ودون هذه العبارة الفلسفية، ستعيش حياتك بالصدف، تتفاعل مع كل ما يظهر خلال أيامك. الحياة بهذه الطريقة هي وصفة لكارثة - إنك فقط تتلمس المشاكل حين تعيش هكذا. يجعلني ذلك أفكر في مقولة: 'إذا لم تكن تعرف إلى أين تذهب، فكل الطرق ستوصلك إلى هناك'".

"إذن أحتاج لبعض الوقت لأفكر فيما أريد حياتي أن تعنيه؟"

"بالطبع يا دار. هذه إحدى ضرورات الحياة. فالأشخاص الناجحون والقانعون يخصصون وقتًا للتفكير والتخطيط والتفكّر مليًا. إنهم يقظون لحياتهم لأنهم يعرفون أن كل يوم هو هبة ثمينة للغاية. وإذا كنت لا تصدق ذلك، فسر داخل مستشفى على طريقك إلى البيت وتحدث إلى أحدهم في جناح مرض السرطان. سلْهم عمَ قد يمنحونه من أجل يوم إضافي من الحياة".

أفزعني ما قاله جوليان. لقد أخذت الكثير من الأموز في الحياة على أنها من المسلمات. لم أنظر لكل يوم في الواقع كهبة وفرصة لخلق شيء عظيم أو لصنع اختلاف.

"معظم الناس يقضون وقتًا أكثر للتخطيط لأجازاتهم الصيفية مما يخططون لحياتهم. يا للعار. كن عميق التفكير في حياتك. واسأل نفسك: "كيف عليّ أن أعيش؟" تساءل عمَّ عليك أن تقوم به، وما الأشياء التي لن تتحملها بعد الآن في حياتك وما مقاييس التفوق التي ستلزم نفسك بها، على أساس ما ستكمل عليه. إن عيش الحياة دون إخلاص للتفوق يهين الهبات والقدرات الثمينة التي منحت لك".

استكمل جوليان آخذًا بضع خطوات بينما تحدث رافعًا يديه في الهواء للتأثير: "دون فلسفة تعكس حقيقتك من حيث كيف تريد أن تعيش وما تهدف لأن تكون، وكيف يمكنك اختيار ما هو صحيح لك؟ دون فلسفة

ستعيش حياتك حسب أمنيات الآخرين. ستكون مثل حيوان اللاموس، يتبع الحشد من خروجه من الجرف إلى موته. دون *فلسفة*، قد تجد *نفسك على فراش الموت تتساءل ما إذا كانت حياتك بأكملها كذبة؟"*

"هذا يوضح ما كان مكتوبًا على البطاقة في المظروف. السطر المتعلق بـ 'توقف عن عيش حياتك ككذبة'. أعتقد أنك من تركتَ هذا المظروف لي يا جوليان؟"

"بالطبع. كيف تكون الحياة ممتعة دون القليل من الغموض؟ كيف تكون الحياة مبهجة دون القليل من المغامرة؟ كنتُ أحاول إدخال بعض العجب إلى حياتك. هذا الطريق الذي أنت مهتم بالسير فيه ليس للقلب الضعيف يا صديقي. إنه يتطلب شجاعة كبيرة. عليك أن تواجه مخاوفك ثم تتحرك خلالها'. لن يكون ذلك سهلًا، غير أنه سيقودك نحو المكان الذي يشتهي أعمق جزء منك أن يعرفه. على كل حال، كما كنت أقول من قبل، لا أستطيع أن أصدق أن الناس يطلقون عليّ اسم القائد الروحاني. إنني مجرد تلميذ للحياة لديه بعض الأفكار المؤثرة إلى حد ما ليشاركها. فكّر بي أكثر كمرشد. إنني أدخل حياة الناس لأرشدهم إلى الاتجاه السليم. أبحث عن الأشخاص الذين لديهم الرغبة في القيام ببعض التغييرات الكبيرة في حياتهم، لأنهم يعرفون، عميقًا بداخلهم، أن هناك أكثر بكثير مما يمرون به حاليًا في حياتهم. يجعلني ذلك أفكر فيما قاله مرة جلال الدين الرومي: 'من يدخل الطريق بلا مرشد سيستغرق مائة عام في رحلة لا تحتاج سوى يومين'".

ضحكتُ مقدّرًا عمق الحكمة التي يشاركني إياها. يجب أن يكون هذا جوليان مانتل، من غيره يمكن أن يشاركني ما يشاركني به؟ استرخيتُ أكثر، مطلِقًا آخر كسرة من الشك في هوية هذا الرجل الاستثنائي.

"ربما كطريقة أفضل لأنظر لما أفعله هي أن أعتبر نفسي مدرب حياة. أدرب الناس على أن يصبحوا أفضل ما يمكنهم وأساعدهم على لعب أكبر مباراتهم كبشر. أساعد الناس على اكتشاف مصائرهم وعيش أحلامهم. *من الصعب أن تصدق أننا نعيش في عالم معظم الناس فيه مهتمون باتباع الحشد والقيام بما يقوم به كل شخص آخر أكثر من عيش أحلامهم الخاصة.* سوف أخبرك بشيء أتمنى ألا تنساه أبدًا: أحد أعظم ما يندم عليه المرء أبدًا أن يصل لنهاية حياته ويدرك أنه لم يحقق أحلامه. أن تصل لنهاية أو حتى منتصف حياتك وتنتبه يومًا لتدرك أنك لم تجرؤ، أنك لم تصل إلى النجوم، أنك لم تحقق عُشر إمكاناتك حتى، سيكسر هذا قلبك. ثِق بي هذه المرة - إنني أرى ذلك طوال الوقت. في نهاية حياتنا، لا تمتلئ قلوبنا بالندم بسبب المخاطر التي سلكناها. وإنما ما يجعلنا نشعر بالحزن الرهيب هو التفكير في كل المخاطر التي لم نأخذها، كل الفرص التي لم ننتهزها، كل الأشياء التي لم نقم بها. لا تعِش حياتك كروح جبانة يا صديقي. اخترق الساحة، تناسَ النقاد والعب بقوة بهدايا أيامك. الحياة قصيرة وستنفلت السنوات بسرعة شديدة كحبّات الرمال التي تمر بين أصابعك في يوم حار على الشاطئ. لقد خُلقت لتسطع وتدع مواهبك ترى نور الصباح. *هناك إخفاق واحد في الحياة فقط، وهو أن تخفق أن تحاول.* أعظم فشل في الحياة هو عدم الرغبة في لعب مباراتك الكبرى والسير تجاه الأماكن التي تخيفك".

"أوافقك يا جوليان، أوافقك بشدة. إنني نادم كثيرًا على الطريقة التي عشتُ بها حتى الآن".

"كن رفيقًا مع نفسك. إننا نتعلم من أخطائنا. أنت تعرف هذا القول الشائع: الحكم الصحيح يأتي من التجربة، والتجربة تأتي من الوقوع في

الأخطاء والأخطاء تأتي من الحكم السيئ. من الأفضل أن أكون راغبًا في التجربة والوقوع في بعض الأخطاء القليلة في الحياة عن أن أتخلى عن النمو برفضي للخروج من منطقة راحتي. أنت قمتَ ببعض الأخطاء. سامح نفسك وأكمل السير. إن الماضي قبر، وليس من المنطقي أن تقضي حياتك وأنت تعيش داخل قبر. كل نهاية تمثّل بداية جديدة. وبطريقة أخرى، لا يمكنك أن تسير للأمام إذا بقيت تنظر في المرآة الخلفية. وكما ذكر سيسيرو: 'أرواح الأشخاص الحكيمة تنظر إلى مستقبل وجودهم، وكل أفكارهم تتركز على الخلود'. والمفتاح هو أن تتعلم من أخطائك وتبني أساسًا من الحكمة. ادمج مسئولية النفس مع مسامحة النفس. المفتاح أيضًا أن تستمر في الركض في اتجاه مخاوفك وليس بعيدًا عنها، لأنه على الجانب الآخر من مخاوفك الكبرى تعيش أعظم حياة لك. إذا لم تكمل الركض تجاه جدار خوفك، فلن تكتشف -أبدًا- حريتك الشخصية. إن الحرية تعيش على الجانب الآخر لمخاوفك. إلى أي مدى تعتقد أن الناس يخافون؟"

أجبته بصدق: "ليست لديّ فكرة، ربما مرة كل عدة أشهر".

"إذا لم تكن تشعر ببعض الخوف بشكل يومي، فأنت تعيش الحياة في ميناء آمن متمسكًا بالشاطئ. هل تعرف قصة كيف جاء كولومبس للعالم الجديد؟"، سأل جوليان بدفء.

"لا، لا أعرف يا جوليان. اعتدت أن أقرأ الكثير في التاريخ لكنني لا أعرف إجابة سؤالك هذا".

"لقد سار في طريق مستقيم"، قالها جوليان وهو يضع يديه البرونزيتين لتشكلا حرف T.

"ماذا تعني بذلك؟"

"قبل كولومبس، كل الرحالة كانوا يبحرون بالقرب من الشاطئ، على مرأى من الأرض. كانت هذه هي الطريقة المتفق عليها للإبحار. وتجرأ كولومبس على أن يكون مختلفًا. لقد رفض أن يفعل ما فعله الآخرون جميعًا. وخاطر: أبحر عموديًا إلى الشاطئ - مباشرة تجاه البحر. ولأنه تخلى عن المعلوم وكانت لديه الشجاعة ليبحر داخل المجهول، فقد أصبح أحد أعظم أبطالنا. هل ترى يا صديقي كيف أن الأبطال ثوريون. كل تطور الإنسان صنعه أناسٌ رفضوا أن يفكروا ويشعروا ويعملوا مثل الآخرين جميعًا. كان حديث جون إف. كينيدي بأنه سيعمل بجهد ليضع إنسانًا على القمر ثوريًا. إنه شخص رفض أن يتبع الجمع ويكون ضئيلًا. كان حلم المهاتما غاندي بتحرير أمة خيال شخص ثوري رفض أن يدع مخاوفه تتحكم فيه. هدف الأم تريزا بتخليص مدينة كالكوتا من قيود الفقر مثالٌ لشخصية ثورية رفضت أن تنصت لصيحات المعارضين التي ظلت تخبرها أنها لا يمكن القيام بها ولا يجب أن تحدث. قالها جورج برنارد شو بشكل رائع للغاية: 'الرجل العاقل يوائم نفسه مع العالم، الرجل غير العاقل يحاول أن يجعل العالم يتواءم معه. وهكذا فكل التطور يعتمد على غير العاقلين'. هذه نقطة مهمة من الحكمة. كل التطور يأتي به غير العاقلين، أناس يتبعون قلوبهم وتوجيهات ضمائرهم وليس أوامر الحشد. كل التطور أتى ممن يخاطرون ومن رجال ونساء كانوا يرغبون في زيارة الأماكن التي كانت تخيفهم".

وافقته قائلاً: "هذه نقطة عظيمة يا جوليان. كل التطور البشري، كل التقدم في العالم -بدءًا من اكتشاف النار إلى اختراع الكمبيوتر الشخصي- قام به أشخاص كانت لديهم الشجاعة في ألا يستمعوا إلى

الحشد، وإنما قاموا بما شعروا أنه صحيح، بغض النظر عن حقيقة أنه أثار شكًا وخوفًا في داخلهم".

"أن تخاطر هو أن تثير الخوف يا صديقي. لكنك بالمخاطرة تعيش لأقصى درجة. إنني أشعر بعمق أننا نحيا للغاية حين نخاطر، ونكون شجعانًا ونزور الأماكن المجهولة من حياتنا. '*المخاطر الكبيرة تعني حياة كبيرة والمخاطر الضئيلة تعني حياة ضئيلة*'، هكذا أرى الأمر. إذا كنت تريد العيش بشكل رائع، فعليك أن ترغب في المخاطرة كثيرًا. وللحصول على اللؤلؤ، على الغواص أن يكون مستعدًا للغوص عميقًا ويزور أماكن لا يمكن أن تزورها الأرواح الخائفة".

"مثال جيد".

"حين تطلب شيئًا لم يحدث أن طلبته أبدًا من شخص ويبدأ قلبك في الخفقان بسرعة، فها هنا أنت على قيد الحياة بالفعل. حين ترغب في قول شيء لشخص ما، لكن مجرد التفكير في فعل ذلك يبعث بفراشات داخل جوفك، فهنا تكون على قيد الحياة بالفعل. حين تقوم بشيء لم تقم به من قبل لكنك تكمل فيه لأنك تعرف عميقًا في قلبك أنه شيء سيجعل حياتك أثرى وأفضل، هنا أنت على قيد الحياة لأقصى درجة. بابا ووليندا، الرجل الرائع الذي كان يمشي على الحبال المعلقة عاليًا في الهواء، قالها بشكل رائع حين لاحظ: 'الحياة على الحبل. والبقية هي مجرد انتظار'".

أكمل جوليان بمستوى من الحماسة نادرًا ما تراه اليوم: "لذا، انظر إليّ كمدرب لحياتك. كل رجال الأعمال الأذكياء لديهم مدربون يساعدونهم على الوصول لما يريدون. كل رياضي ممتاز لديه مدرب يساعده على اللعب بأفضل ما لديه. حسنًا، انظر لنفسك كمؤد ممتاز في مسرحية الحياة - تحتاج لمدرب يرشدك ويلهمك ويناصرك بينما تتطور

لتصبح من قُدِّر لك أن تكونه. لقد عرفتُ أنك ستكون هنا في المؤتمر هذه الليلة. هذا الرجل بالخارج كان جيدًا للغاية - لقد أحببتُ ما قاله بالفعل. أرجو ألا أكون قد أخفتُكَ بالطريقة التي جلبتكَ بها إليّ".

"أوه، لا يا جوليان. لم تفعل"، كذبت عليه.

أكمل جوليان: "كل الأمر أن الأشخاص الذين أعمل معهم عليهم أن يكونوا مستعدين لأخذ بعض المخاطر. ففي كل خطوة على مدار رحلة حياتنا، علينا الاختيار. نستطيع أن نواجه الأشياء التي نقاومها، وبقيامنا بذلك ننمو كبشر. أو يمكننا اختيار ألا نمدد أنفسنا وبقيامنا بذلك، نظل راكدين وصغارًا. بمعنى آخر، اختياراتنا إما أن تحررنا وإما أن تقيّدنا. لذا وضعت في طريقك بعض التحديات القليلة لأرى كيف ستتجاوب. وقد كنت رائعًا".

"حسنًا جوليان - وأرجو ألا تمانع من أن أناديك جوليان...".

"بالطبع لا أمانع يا دار. سوف نبدأ في معرفة بعضنا البعض جيدًا خلال الأسابيع القادمة. دعنا نتخلَّ عن الرسميات"، أجاب جوليان وهو يرتشف من زجاجة مياه إيفيان.

"سأكون سعيدًا بأن تكون مدرب حياتي. الحقيقة أنني متشرف للغاية كونك اخترتني لأكون مشروعك القادم. أنت على حق. لديّ شعور قوي أنني على استعداد لاكتشاف مصيري وأن أعيش حياتي الحقيقية. شيء خارق حدثَ لي بالأمس أيقظ هذا الوعي بداخلي. لا يمكنني أن أدركه في الحال، لكن دعني أخبرك ببساطة أنني بدأت أقدّر هذه الحياة الكنز. بدأت كذلك أدرك أن كلًا منّا لديه إمكانيات للعظمة أكبر بكثير مما يفهمه معظمنا".

"صحيح للغاية"، أكد جوليان.

أكملتُ. "جوليان، دعني أسألك سؤالًا أساسيًا أعتقد أن كثيرًا من الناس يتساءلون عنه: كيف يسير المرء نحو اكتشاف مصيره بالفعل؟"

مسح جوليان بيده على التطريز الأمامي لردائه. أغلق عينيه كأنما كان يبحث عن توجيه من قوة عليا. وبعد صمت طويل، تحدث.

"*لا أحد يكتشف مصيره يا دار. مصيرك سيكتشفك - سيجدك، بشرط أن تكون قد قمت بالإعداد والعمل الداخلي المطلوب لاستغلال الفرصة حين تقدم نفسها لك*. عبر كارلوس كاستيندا عن ذلك بشكل رائع: 'كلنا، سواء كنا محاربين أم لا، لدينا سنتيمتر مكعب من الفرصة التي تظهر أمام أعيننا من وقت لآخر. والفرق بين الشخص العادي والمحارب أن المحارب يدرك هذا ويبقى يقظًا، ينتظر بشكل مقصود، بحيث حين تظهر فرصة السنتيمتر المكعب تلك، يقتنصها.'"

"رائع".

"إليك المفتاح. توقف عن القلق بشأن العثور على مصيرك. اقضِ وقتك في معرفة نفسك. مزق القناع الكاذب الذي تظهره للعالم وقم بالعمل العميق الداخلي على نفسك، ذلك الذي تحتاج له لتعرف من أنت حقيقةً. ركز على بناء علاقتك بنفسك. تعرّف على قيمك الأعمق بحق. تعرف على تفضيلاتك وأولوياتك أنت وليست تلك التي علمك الآخرون أنها الأكثر أهمية، بل هذه التي تشعر أن لها القيمة الأكبر. تعرف على ما يجعلك تشعر بالسعادة حقيقة. واجلب الأنماط غير الواعية وطرق التعامل مع الأشياء إلى نور الوعي، لكي تستطيع معالجتها. تعرف على مخاوفك وكيف حدث أن أصبحت مخاوفك أنت. وحين تعرف من أنت، ستكون قادرًا على طلب نصيبك في حين يقترب منك هو. حين يمكنك أن تعرف من أنت بالفعل وما الذي يهمك حقًا، ستكون قادرًا على انتهاز 'فرصة السنتيمتر المكعب' حين تظهر أمامك. وثق بي، ستظهر".

"حسنًا. يمنحني ذلك شعورًا رائعًا. أنا مستعد للقيام بكل هذا 'العمل الداخليّ' كما تطلق عليه - حتى لمعرفة أظلم مخاوفي".

"شخص ما منحك مخاوفك، هل تعلم ذلك؟ شخص ما علمك إياها".

"حقًا؟"

"بالطبع. لحظة ميلادك، كنتَ في اكتمال صاف. كتب هنري إيميل مرة أن 'الطفولة مباركة من السماء لأنها تجلب قطعة من النعيم إلى وحشية الحياة. كل هذه الآلاف من المواليد يوميًا هي إضافات طازجة من البراءة والنقاء التي تقاوم طبيعتنا الفاسدة'".

"صحيح للغاية يا جوليان. يأتينا الأطفال أكثر تطورًا من الكبار ليعلمونا دروسًا نحتاج لتعلمها. أعرف أنني قد نسيت هذا الدرس عدة مرات. الأطفال هم المعلمون بأساليب شديدة التعدد. إنهم يعرفون أكثر بكثير مما نقر لهم بالفضل فيه".

"بالضبط يا صديقي. كأطفال، نكون بالفعل رائعين. لا نزال مرتبطين بالقوة التي خلقت العالم. لكننا حين نبدأ في النضج، نتبنى المخاوف من العالم حولنا. نغدو 'فاسدين'. نحن نقوم بذلك لأننا نريد أن ننسجم ونبدو كأي شخص آخر. نريد آباءنا أن يحبونا ويوقرونا. لذا نقلدهم ونأخذ عنهم مخاوفهم ومعتقداتهم المقيّدة وافتراضاتهم الزائفة، بحيث نكون أكثر شبهًا بهم. كل ذلك يحدث لأننا نحتاج أن نكون محبوبين. *من أنت عليه في هذه اللحظة ليس أنت* بالفعل. *وإنما هو شخص أصبحتَ عليه نتيجة وجودك في هذا العالم*. ولكي تمحو كل هذه المخاوف التي اتخذتها من العالم حولك، عليك أن تعود أدراجك وتستكشف مصدر كل مخاوفك. ثم عليك أن تتعامل معها حتى لا تعود

جزءًا من نفسك بعد الآن. ولكي تعرف نفسك بحيث يأتي مصيرك يناديك، عليك كذلك أن تنتبه أكثر لحياتك وتفكر بعمق في الدروس التي تحتاج لتعلمها. عليك أن تكون صارمًا مع نفسك وتتفحص قصتك".

"قصتي؟"

"كلٌ منّا ينشئ قصة عن حياته، حتى لو كان يحكيها لنفسه فقط. لبعض الناس، تكون القصة كلها عن كونهم الضحية. هكذا يصبحون بسبب طفولتهم أو بسبب المكان الذي نشئوا فيه أو بسبب الأشياء السيئة التي مروا بها. وهكذا فالكثير من الناس في العالم اليوم هم ضحايا محترفون".

"لماذا؟"

"لأن لعب دور الضحية سهل. ليس عليك أن تتحمل أية مسئولية تجاه الطريقة التي تبدو عليها حياتك. يمكنك أن تلوم كل شخص آخر على الأشياء الفاشلة في حياتك، دون الحاجة للنظر لنفسك والقيام بالتغييرات المطلوبة. لكنك حين تلعب دور الضحية، فإنك تترك قوتك لهذا الذي تدّعي أنه يظلمك. إنها طريقة شديدة العجز للحياة".

"صحيح للغاية"، أجبته، وأنا أومئ برأسي موافقًا.

"القصة التي يصنعها الناس قد تكون أنهم كبروا لدرجة لا تمكنهم من السعي وراء أحلامهم أو أنهم ليسوا جذابين بشكل كاف ليجدوا الزوج الذي يرغبون فيه أو ليسوا أذكياء بشكل كاف ليقوموا بما يتمنونه. وهكذا يستمر الأمر. وفكرتي هي كالتالي: *إن أفضل خطوة يمكنك أن تقوم بها هي أن تعمل على علاقتك بنفسك*".

"بالضبط كما فعلتَ أنت في جبال الهيمالايا"، قاطعته.

"بالضبط كما فعلتُ أنا في جبال الهيمالايا"، كرر جوليان. "معظم الناس فقدوا صلتهم بأنفسهم. لقد نسوا من هم في الحقيقة. هذا ما

يحزنني بشدة. كل فرد منّا لديه عظمة خاصة به مخطوطة في حمضنا النووي. كانت حياتنا مقدرة أن تكون ممتلئة بالسعادة، وأن تكون مثيرة، وغنية بالحب والسلام والجمال. السعادة حقنا منذ الميلاد. لكننا نسير في طريقنا الخاص. لقد سقطنا في مصيدة المستوى المتوسط. فنؤمن أننا لم نُخلق للمعجزات. ونتعامل بضآلة خوفًا من أننا إذا خطونا نحو الاحتمالات الكبرى، فسنُجرح أو لن يحبنا الناس أو لن تنجح حياتنا".

"صحيح جدًا".

أكمل جوليان بحماسة. "نقتنع بكذبة أن المال وحده سيجلب لنا السعادة ولذا نبيع أرواحنا. إننا فقط لم نعد نعرف من نحن بعد الآن ولا ما كان مقدّرًا لنا أن نكون. بشكل غير واع تاجرنا في القوة الأصيلة التي ولدنا بها في مقابل القوة الخارجية التي تأتي من الوجود في هذا العالم. لقد نسينا بالفعل من نكون. وإذا لم تكن تعلم من أنت وماذا تريد أن تصبح فعلًا، فكيف يمكنك أن تتعرف على مصيرك حين يقدم نفسه لك؟ اعرف نفسك وأنا أعدك أن مصيرك سيجدك".

توقف جوليان. "حسنًا، جاء الوقت لإنهاء الجلسة الإرشادية الأولى يا دار. لقد أصبح الوقت متأخرًا وأنا واثق أن لديك ما يكفي من الإثارة لليلة واحدة".

بعدها وضع جوليان أحد ذراعيه القويين حول كتفيّ بينما نترك حجرة الملابس ونسير في اتجاه القبو. ومجرد كوني بالقرب من جوليان منحني جلب السلام إلى قلبي.

"وكل ما أطلبه منك أن تثق بي. سوف آخذك إلى مكان لم تحلم أبدًا أن تكون فيه. وصف ذلك فريديريك فاوست حين قال: 'هناك عملاق نائم داخل كل فرد. وحين يصحو هذا العملاق، تحدث المعجزات'. سوف أشاركك الأسرار التي تعلمتها عاليًا في تلك الجبال. سوف أظهر لك كل

ما تحتاج معرفته لتتذوق الروعة التي يمكن للحياة أن تكون عليها. فقط 'أطلق عنان نفسك' مرة واحدة في حياتك يا صديقي".

"ماذا تعني بذلك؟"

"حسنًا، إنها عبارة أحبها. إنها تتحدث عن حاجة كل فرد منا لأن يسير داخل مخاوفه، إذا كنا نريد أن نعيش حياة كبيرة ورائعة. إنها من شيء كتبته ماري كولموندلي ذات مرة. ها هو، خذ هذا. سيكون ذا فائدة".

ناولني جوليان قصاصة ورق من جيب ردائه. بدت ممزقة من كثرة الاستعمال. كانت تقول ببساطة:

كل عام أعيشه، أقتنع أكثر أن ضياع الحياة يكمن في الحب الذي لم نمنحه، والقوى التي لم نستعملها، والتعقل الأناني الذي لم يخاطر بشيء، والذي، لكي يتجنب الألم، فوّت السعادة أيضًا. ولا يمكن أن يصبح أحد أفقر على المدى البعيد لو أنه استخدم لمرّة واحدة 'أطلق عنان نفسك'.

"اقتباس رائع يا جوليان. أرجوك اعلم أنني مستعد للقيام بكل ما تنصحني بفعله"، أجبته سريعًا، مدركًا الفرصة الهائلة التي تقدمها لي دعوة جوليان بإرشاد حياتي. لقد سمعت كثيرًا عن قيمة أن يكون لديك مرشد للحياة، من العديد من أصدقائي الذين يعملون بالتجارة أيضًا، وشعرتُ بالسعادة لأن جوليان دخل حياتي في هذا الوقت تحديدًا. "كم من الوقت سيستغرق تحوّلي".

"التحول الذاتي ليس سباقًا يا دار. في الحقيقة أحيانًا كلما حاولت بقوة أن تتغير أخذت وقتًا أطول. لذا يتعامل الكثير من الناس مع اكتشاف الذات كرياضة متطرفة - يسرعون ليتم علاجهم بسرعة رهيبة. يقرءون كتابًا بعد كتاب. يزورون مرشدًا بعد الآخر ويحضرون مؤتمرًا

بعد الآخر. يريدون أن يعرفوا إجابات الأسئلة الكبرى التي يعانون منها. غير أن الشخص الذي لا يشارك غموض حياته ويستمتع بعملية النمو الذاتي، لهو شخص غارق في الخوف".

"حقًا؟" سألته، مندهشًا من سماع ذلك. إن إحدى القيم السائدة في مجتمعنا هي "الأسرع هو الأفضل" وأن أسمع جوليان وهو يرفض هذه الفكرة ضاعف فقط من الغموض الذي يحوم حوله وفلسفته غير التقليدية.

"ثق أن توقيتك ليس بالضرورة هو توقيت الطبيعة. استرخِ خلال هذه العملية. ليس عليك أن تعرف كل الأجوبة، على الأقل ليس الآن. حين تكون مستعدًا لجزء من التعلم أو لدرس محدد، فسوف يأتيك. هل سيكون الأمر ممتعًا إذا عرفت كل تفاصيل الحبكة في منتصف الفيلم؟ *إن حياتك مثل فيلم مثير يا صديقي - ونصف المتعة ألا تعرف ماذا سيحدث. الحياة مرنة للغاية. كل شيء دائمًا ما يتغير. وما تظن أن الأمور ستنقلب إليه ليس ما سيحدث. هذه هي المتعة في الأمر كله. هذه هي الهبة في الأمر كذلك*".

"ماذا تعني؟"

"إن جزءًا من غاية الحياة هو أن تتعلم ببساطة أن تتقبل أن الأمر كله لغز. جزءٌ من رحلتك بأكملها هو أن تتعلم أن تترك كل مخاوفك من ألا تعمل بالطريقة التي تريدها أن تعمل بها. فالحياة لن تعمل أبدًا كما تتوقع منها أن تعمل. وبمجرد معرفتك ذلك، ستستطيع أن تبدأ في الاسترخاء والاستمتاع بالمغامرة كلها. انظر فقط للخلف على الطريقة التي أصبحت عليها حياتك حتى هذه اللحظة. هل أصبحت كما خططتَ لها؟"

"لقد فكرتُ كثيرًا، خلال الشهور القليلة الماضية، أنني لم أتخيل أبدًا أن تبدو هكذا".

"هذا صحيح. حياة كل شخص هكذا. وإذا فكرت في سؤالي وقتًا أطول وبعمق أكثر، فأنا أتوقع أن تكتشف أنه بينما لم تكن تتوقع بعض المنخفضات، يمكن قول الشيء نفسه من النقاط العليا في حياتك".

"نعم، هذا صحيح تمامًا يا جوليان. إنني أمر خلال وقت صعب بالفعل حاليًا، لكنني، ولكي أكون صادقًا، سأعترف بأني لم أحلم أبدًا بأن أنعم بكل النجاحات التي حصلت عليها طوال طريقي. غير متوقع تمامًا ما تحولت إليه الكثير من الأشياء الرائعة".

"بالضبط. وإذن فالدرس بالفعل هو أنه لا أحد يمكنه أن يتحكم في الحياة أو يفهم خطتها العظمى. لكن ثق بي، هناك كمال فيها. حتى ما تمر به الآن، بمرور الوقت ستكتشف أنه هبة جميلة أضافت قيمة عظيمة وثراء لحياتك".

"حقًا؟"

"حقًا"، قال جوليان.

وأضاف: "كثير من الناس لا يمكنهم استيعاب فكرة أن خططهم وأهدافهم لن تنجح كما يتوقعون. هذا النوع من التفكير يعكس قضية السيطرة من جانبهم. وخلف حاجتهم للسيطرة غالبًا ما يكمن الخوف. هؤلاء الناس لا يثقون بطرق الطبيعة. هؤلاء الناس لديهم إيمان ضئيل بالحب الذي يكنه لهم مُنشئ كل هذا الخلق. نعم، ضع خططًا وحدد أهدافًا. اعمل بجد واذهب تجاه ما ترغب فيه. فهذا جزء من كونك إنسانًا مسئولًا - فصحيح أن تحديد الأهداف يجلب كثيرًا منها للحياة. لكن، تمسّك بخططك وأهدافك بقبضة مرخاة تمامًا. فغالبًا سيرسل لك الكوْن كنزًا في صندوق غير متوقع. وإذا كنت شديد الانشغال بالإمساك والإصرار على ما تظنه أفضل لك، فقد تفقد ما هو بالفعل أفضل لك".

"لم أسمع شيئًا كهذا من قبل. يجب أن يكون هؤلاء الحكماء في الهند أناسًا مدهشين للغاية".

"إن هذا لا يفيهم حقهم، يا صديقي. وعودًا لما كنتُ أشاركك إياه"، قال جوليان وهو يحافظ على تركيزه مثل ضوء الليزر على النقطة التي يريدني أن أدركها. "تخلّ عن حاجتك للتحكم في طريق مصيرك. لأنه، مهما كانت صعوبة محاولتك، فلن تستطيع ذلك. بالطبع يمكنك أن تتخذ اختيارات حكيمة وسيكون لاختياراتك أثر. لكنك بالطبع لست متحكمًا. إننا شديدو التكبر كآدميين. نظن أننا أكثر ذكاء من الكون. هذا الكون الذي أبدع غروب الشمس وقوس قزح، والذي أبدع النجوم والقمر. نظن أننا نعرف ما هو في صالحنا أكثر من المصدر الذي أنشأ كل ما هو موجود. إنه شيء مضحك حين تفكر فيه. إننا قليلو الإيمان".

"كل ذلك من خوفنا، لقد بدأت أدرك".

"صحيح" أجاب جوليان. "الخوف هو العامل الأول الذي يجعل الناس يعيشون حياة ضئيلة وغير حقيقية. ولكي نعود أدراجنا لسؤالك الأصلي عن كم من الوقت يستغرقه التحوّل، أريد أن أكرر أن النمو الذاتي ليس تسابقًا كبيرًا حتى الخط النهائي. إنه على الجانب الآخر *عملية* عضوية. يجب أن تتيح الوقت للدروس التي سأبيّنها لك لكي تكون متجانسة في أعماق كيانك. حين تكون مستعدًا لتلقّي درس معين، سوف تستقبل خبرة أو شخصًا مثاليًا سيمثّل فرصة لك لتتعلم ذلك الدرس. وبمجرد أن تدرك هذا الدرس، يجب أن ينقضي الوقت بحيث تستطيع دمجه. لا حاجة للعجلة. إنها رحلة جميلة بأكملها. ثق أنك أينما كنتَ، في أي نقطة كانت، فذاك هو بالضبط ما يجب أن تكون فيه".

علقتُ قائلاً: "حسنًا، سأسترخي أكثر قليلًا. أدرك أنها ليست سباقًا. وسأدع تحوّلي يظهر بشكل 'عضوي' كما تقول يا جوليان".

قادني جوليان إلى الردهة الطويلة بالأسفل، تلك التي ستجلبنا مرة أخرى إلى قاعة الاستماع. وبرؤيته عُلبة صودا فارغة ألقاها أحدهم على الأرض الإسمنتية، انحنى وأخذها. "كل فعل صغير يُحصى"، قال ذلك. لم أكن واثقًا مما كان يعنيه بهذا التعليق لكنني التزمت الصمت.

"على مدار الأسابيع والشهور المقبلة سأشاركك عملية من سبع مراحل ستساعدك في البحث عن الكمال الذي عرفتَه وأنت مولود جديد. هذه العملية سوف توقظ أعلى وأفضل ما بداخلك. لكن عليك أن تكون صبورًا. إذا تبعتها حتى خلاصتها التامة، فسوف تتذوق السعادة القصوى كإنسان".

"السعادة القصوى؟ واو!" قلتُ، شاعرًا بالسعادة التي كانت تنتظرني.

"يجب أن تلتزم بهذه الرحلة يا دار. يجب أن تكون مستعدًا للقيام بالعمل الداخلي المطلوب للتحرك عبر المراحل السبع ليقظة النفس وأن تسير بشجاعة في الطريق الذي سأوضحه لك. وأرجوك اعلم أنه في كل خطوة على الطريق، سيكون لديك خيار - فدائمًا ما يكون للإنسان خيار في الطريق الذي يتكشف عنه مصيره. يمكنك أن تقاوم النمو الذي سأشجعك عليه أو يمكنك أن تحتضنه. وإذا بقيت على اختيارك النمو والسير في اتجاه مخاوفك، فسوف تنتقل لأعلى المراحل وأعلاها من حرية الذات والعظمة الفردية. سوف تتمكن من اكتشاف المغزى من وراء الحياة. وسوف تبدأ في معرفة الحقائق الكونية والقوانين الطبيعية التي تحكم تشغيل هذا العالم. وبمجرد أن تعرف هذه، يمكنك أن تظل على اختيارك وعلى انحيازك لها. وحين تنحاز نفسك للقوانين الطبيعية التي تُسيِّر العالم، سوف تعمل حياتك بشكل آليّ. وستبدأ في اكتشاف الحقيقة. وتبدأ في معرفة من أنت فعلًا. وتبدأ في الوصول إلى نبوغك

الشخصي والإمكانيات اللا محدودة التي تكمن في ماهية حياتك. وحينها تصبح حياتك سحرية".

"هل سيكلفني ذلك شيئًا يا جوليان؟" سألته ونحن ندخل قاعة الاستماع، حيث تحدث المتحدث التحفيزي مبكرًا في المساء. "لقد سمعتُ أن الإرشاد الشخصي قد يكون غاليًا للغاية".

"بالطبع لا. خدماتي مجانية - فقط زوّدني بالموز بشكل جيد"، قال جوليان مبتسمًا. "جِديًا، أنا في حملة لمساعدة الناس على إدراك ما هم مخلوقون منه بالفعل. إن أكبر سعادتي أن أساعد شخصًا في حاجة إلى معرفتي. *فالخدمة غير الأنانية هي الإيجار الذي أدفعه للعيش على هذا الكوكب الرائع*. أريد الناس أن يعرفوا ما الذي يعنيه أن تكون إنسانًا يؤدي وظيفته ومستيقظًا ذاتيًا بشكل كامل. يجرحني أن أرى الشكل الذي عليه العالم"، أوضح جوليان بينما توقف عن السير. لقد كان صامتًا للحظة وساكنًا تمامًا إلا من الدموع التي بدأت تنبع من عينيه.

"إنه مكان نسي الناس فيه كيف يحلمون. أريد أن أساعد الناس على أن يحلموا مرة أخرى. ألن يكون ذلك رائعًا إذا استطاع الجنس البشري أن يعودوا كعُصبة من الحالمين؟ تخيل ما سيصبح عليه عالمنا. تخيل الميراث الذي يمكن أن نتركه لأبنائنا! أريد أن أساعد الناس على أن يثقوا مرة أخرى. أريد أن أساعد الناس أن يعيشوا مرة أخرى. وأنا أعني أن يعيشوا بالفعل. أريد أن أُرِي الناس كيف يحبون مرة أخرى. لذا يا صديقي، إنه واجبي أن أساعدك. سيكون مبهجًا أن أكون في خدمتك. إنني قائد خادم بأعمق معاني الكلمة، إذا لم تمانع قولي ذلك. فمنح الآخرين يزوّدني بسعادة كبرى. وهذا أكثر من مجرد مكافأة"، قال جوليان.

"إنني ممتن يا جوليان"، قلتُ معبّرًا عن تقديري المخلص لهذا الرجل الذي كان مهتمًا للغاية بمساعدتي.

"غالبًا ما ننظر إلى كلمة 'واجب" بشكل سلبي في ثقافتنا. كثير من الناس لا يحبون فكرتها، شاعرين أن الواجب قد يقيدهم ويعوقهم عن عيش اللحظة. بالنسبة لي، كلمة 'واجب' تمثّل الحرية والسعادة. قالها الشاعر الهندي العظيم رابيندراناث طاغور ذات مرة بشكل أروع كثيرًا مما يمكنني أن أفعل: 'نمتُ وحلمتُ بأن الحياة مبهجة، ثم صحوتُ وأدركتُ أن الحياة واجب. بعدها ذهبتُ إلى العمل - وانظر ماذا، اكتشفتُ أن الواجب قد يكون مبهجًا'. إن مصيري هو أن أخدم. وقيامي بما قُدِّر لي أن أفعله -القيام بالعمل الذي خلقت على الكوكب لأقوم به- لهو سعادة تامة ونعيم كامل. قال وودرو ويلسن الصدق حين لاحظ: *'أنت هنا لا لمجرد العيش. أنت هنا لتمكّن العالم من العيش بسعة أكبر، وبرؤية أكبر، وبروح أصفى من الأمل والإنجاز. أنت هنا لتثري العالم، وإنك لتُفقِر نفسك لو نسيتَ هذه المهمة'*".

أجبته: "حسنًا يا جوليان، أعدكَ أنني سأكون تلميذًا رائعًا. سوف أنصت لحكمتك. وألتزم بالقيام بالتغييرات التي تقترحها عليّ. شكرًا لأنك وجدتني. شكرًا جزيلًا لك. لديّ شعور بأن حياتي لن تصبح مثلما كانت بعد هذه الليلة".

"أنت على حق فيما يخص ذلك يا صديقي. قابلني في فندق (كيو) غدًا صباحًا. سوف نبدأ أول درس كامل حينها".

"هذا أحد فنادقي"، ضحكتُ.

"أعرف ذلك"، قال جوليان سعيدًا. "إنني أسكن هناك. وكما أخبرتك، ما من شيء خاطئ في أن تعيش حياة مادية جميلة. فقط لا تجعلها كل همك".

"من الرائع معرفة ذلك. فلن يكون إيقاظ أفضل ما بداخلي ممتعًا لو كان عليّ أن أتنازل عن كل شيء عملتُ بجد لأجله. بعض هذه الأشياء، مثل زورقي، تجعلني سعيدًا للغاية. أحب أن أكون على الماء في يوم صيفي

رائع. لِلحظة هناك، فكرتُ أنك كنت ستخبرني أن الطريقة الوحيدة التي تمكنني من إيجاد السعادة القصوى هي أن أبيع كل شيء أملكه وأن أذهب للعيش على قمة جبل في عزلة".

"أعتقد أنه في كثير من الأحيان سيكون ذلك هروبًا. أي شخص يمكنه أن يجد درجة معينة من السلام بإبعاد نفسه عن العالم وتمضية حياته في عزلة. لا أحد ولا شيء يمكنه ضغط أزرارك حين تكون وحدك تمامًا. سوف لن أنسى أبدًا ما قرأته عن الراهب الذي أمضى سبع سنوات في عزلة، وهو يعيش في أحد معابد التبت. لقد كان غالبًا ما يذهب لشهور في صمت، مهدئًا عقله ومخلصًا إياه من الشوائب. وأتى الوقت الذي شعر فيه أنه وصل لحالة التنوّر. فهل تعرف ماذا فعل؟"

"أخبرني".

"عاد إلى مدينة نيويورك. وفي يوم عودته، خرج للقيام ببعض التسوق في هذه العاصمة المتألقة. وفي خلال دقائق، أنهكه الضغط. أصوات السيارات، والزحام الشديد، والسرعة المرعبة أخافته. وهذا بالكاد رد فعل إنسان متنوّر. والآن، أنا لا أقول إن الهدوء والعزلة ليسا مهمين في اتصالك بأعظم ما بنفسك. لقد كتب خليل جبران، الفيلسوف النابغة مرة: 'هناك شيء أعظم وأنقى مما ينطقه الفم. الصمتُ ينير أرواحنا، ويهمس لقلوبنا، ويجلبها معًا. الصمت يفصلنا عن أنفسنا، ويجعلنا نبحر نحو سماء الروح ويقربنا من الجنة'".

"كلمات جميلة"، قلتُ مستمتعًا بالاقتباس العميق الذي شاركني إياه جوليان.

"إنها جميلة بالفعل. لذا فالصمت والعزلة أساسيان لك لكي تشارك في كل الاحتمالات التي ستقدمها لك حياتك. لكنّ ما يحتاج بالفعل لشجاعة وقوة الشخصية هو أن تجد التنوّر هنا تمامًا في وسط

المدينة. وما يحتاج إلى الحكمة بالفعل هو أن تعثر على السلام الداخلي في المكان الذي تتواجد فيه تمامًا".

"وماذا عن الرهبان الذين قابلتهم؟ إنني أتساءل كيف كانوا سيتعاملون في مدينة نيو يورك؟" تساءلتُ بصوت عال.

"هؤلاء الرهبان معروفون باسم حكماء السيفانا. قليل من الناس استطاعوا أن يلتقوا بهم، حيث إنهم منعزلون بشدة ويعيشون بخاصة في منطقة بعيدة من الهيمالايا. وعليك أن تعرف أن هؤلاء الرهبان كائنات متنورة بصدق. ضعهم في أي مكان في العالم وفي أي موقف وأنا أعدك أنهم سيظلون في طمأنينة وسلام بعمق. هؤلاء الحكماء ليسوا أقل من السحرة. وأنا أعرف أنني لن ألتقي بشرًا مثلهم أبدًا مرة أخرى"، قال جوليان وهو ينظر في اتجاه الأرض. خمنتُ أنه يفتقدهم.

"متى تريدنا أن نلتقي في فندق الكيو في الصباح؟" سألته برفق.

"الخامسة صباحًا".

"أنت تمزح".

"هل سأمزح في شيء كهذا يا صديقي؟" سألني جوليان مبتسمًا وهو ينشط. "إذا كنت ترغب في حكمة راهب، فعليك أن تفعل مثله. لقد كان الحكماء يؤمنون أن الساعات المبكرة للغاية من الصباح بها سمة سحرية تمنح مساحة ممتازة للتعلم والتعمق".

ومع هذه العبارة الإيمانية، منحني جوليان حضنًا سريعًا وأسرع الخطى في اتجاه الردهة، ورداؤه يتأرجح من جانب إلى آخر. بقيتُ هناك، واقفًا في صمت لعدة دقائق. لم أتحرك حرفيًا. لم أستطع تصديق حظي السعيد. فقط عندما فكرتُ أنني لن أجد الإجابات التي كنت أبحث عنها، ظهر معلم حقيقي في حياتي.

وأنا في طريقي للخروج من القاعة، رأيتُ أحدهم تسقط منه محفظته الجلدية على الأرض. التقطتُها وفي نيتي إعطاؤها لحارس الأمن أو المراقب الليلي. تملكني الفضول ولم أستطع مقاومة فتحها لأرى محتوياتها. لم تكن هناك نقود أو بطاقات ائتمان أو أي أوراق هوية بداخلها. في الواقع، كانت المحفظة خالية إلا من شيء واحد، فبداخل جيبها كان هناك شيء أدهشني. كانت نسخة من المقال الذي كتبته جريدتنا المحلية عن جوليان ومغامراته. نزعتها وحدقت فيها. كان من الواضح أن جوليان تركها لي. كان السطران الأخيران من المقال مخطط تحتهما باللون الأحمر. كان فيهما: "جوليان مانتل -الراهب الذي باع سيارته الفيراري- يؤمن أن الروح الإنسانية هي قوة مؤثرة في خير هذا العالم. يبدو أنه اكتشف الحقائق التي انبنت عليها كل حياة رائعة وربما لو كنت سعيد الحظ، تكون تلميذه المقبل".

طويت الورقة ووضعتها في جيب قميصي - ذلك القريب من قلبي.

الفصل الثالث

الباحث يتعلم قوة الدعوة والمغنى الخفي للمصير

تخيل فقط أن هدف الحياة هو سعادتك فحسب - إذن لأصبحت الحياة شيئًا قاسيًا وبلا شعور. عليك أن تتقبل حكمة الإنسانية. عقلك وقلبك يخبرانك: أن معنى الحياة هو خدمة القوة التي أرسلتك إلى العالم. حينها تصبح الحياة ممتعة.

- ليو تولستوي

تقلبتُ واستدرت في النوم خلال هذه الليلة القصيرة، وحلمتُ بأغرب الأحلام التي لم أحلم بها قط. حلمتُ أنني أركض في الشوارع عاريًا. كان هناك حلم آخر، حُبست فيه في سيارتي حينما سقطت من فوق جسر إلى البحر. وكان هناك حلم آخر امتلكت فيه قدرة رائعة على الطيران. كل من هذه الأحلام، كما أظن، كان له بعض الدلالة فيما كنت أمر به. "الأحلام هي لغة الروح"، قرأت ذلك في مكان ما.

فركضي عاريًا في الشوارع ربما كان افتقاد قلبي لأن أكون أكثر صدقًا وأن أخلع المظهر الكاذب -القناع العام- الذي ارتديته طوال حياتي وأنا أجاهد لأتلاءم وأكون مثل كل شخص آخر. غالبًا ما كان الحُلم عن كوني أكثر أصالة، وربما عن خوفي من أن أكون منفتحًا أيضًا. وكوني محبوسًا في السيارة الغارقة ربما كان يتحدث إلى المخاوف التي بدأت في الظهور منذ تركني جوليان الليلة الماضية. لقد بدأت أشك في بعض الأشياء التي أخبرني عنها. هل يمكنني بالفعل أن أحوِّل حياتي؟ هل سينكشف مصيري بالفعل إذا ذهبتُ داخلي ببساطة واستطعت معرفة نفسي؟ هل كان صحيحًا أن معظم الناس قد تخلّوا عن أنفسهم من أجل حياة عادية وفوّتوا ذلك الوجود المتألق الذي كان مقدرًا لهم؟ وماذا عن مراحل جوليان السبع لإيقاظ الذات؟ لقد وثقتُ بالفعل في جوليان ونبوغه العقلي الذي كان أبعد من أن أتحداه، ولكن بعض ما شاركني إياه بدا شديد الغموض.

أما عن حلمي عن الطيران، فأخبرني قلبي أن لذلك علاقة بأعمق جزء مني -روحي- توقًا إلى أعلى قدراتي. فكرتُ في الكلمات التي أتتني في غرفة الفندق الصغير، منذ يومين فقط: *الحياة كنز وأنت أكبر كثيرًا مما تعرف عن نفسك*. وحين فكرت في أحلامي في ظلمة الصباح المبكر، بدأت أشعر بالتأكد أكثر وأكثر، أنه مع وجود جوليان كمرشدي الحكيم والمهتم، فإن حياتي بلا شك ستحلق.

كان فندق الكيو أحد أفضل ممتلكاتي في مجموعة فنادقي. كان أنيقًا وشهيرًا للغاية بين رجال الموضة والمشاهير. استيقظتُ في الرابعة والنصف صباحًا بصعوبة كبيرة، لكنني لم أرد أن أكون متأخرًا على لقائي بجوليان. كنت أعرف أنه رجل منضبط يقدّر حفظ الوعود. أخبرني أبي ذلك.

وبينما كنت أقترب في قيادتي من فندق الكيو، بأناقته وهيئته البسيطة، لم أستطع إلا أن ألحظ السيارة المدهشة الواقفة قبالته. كانت سيارة فيراري كلاسيكية. حمراء - تومض وكأنها جديدة. لم أستطع أن أبعد عينيّ عنها. لقد أعادت في الحال ذكريات طفولتي حين كنتُ وأبي اعتدنا أن نقود إلى قصر جوليان المتسع ونحدق في سيارته.

لقد افتقدتُ والدي بالفعل. كان رجلًا عظيمًا. لقد توفي منذ عدة سنوات وما زلتُ أشعر بالحزن عليه حين أفكر في ذلك. أفتقده كل يوم. إنني أفتقد أبنائي كثيرًا أيضًا. بالطبع أراهم كل أسبوع لكنهم جزء من قلبي وأتمنى لو أنهم يكونون معي طوال الوقت. على كل حال كما أقول، السيارة الفيراري جلبت فيضانًا من الذكريات، ذكريات جميلة بالفعل.

وحين أوقفت سيارتي خلف الفيراري، أسرع خادم الفندق الجديد، جيك، ليحييني.

"صباح الخير، سيد ساندرسن، وأهلًا بك في الكيو"، قال ذلك وهو يضحك. "من الرائع أن أراك يا سيدي".

"رائع أن أراك أيضًا يا جيك" أجبته بصدق. "لمن هذه؟" سألتُ مشيرًا نحو السيارة.

"لستُ واثقًا. كل ما أعرفه أن لدينا راهبًا مقيمًا في الفندق هذا الأسبوع. الجميع يتحدثون عنه. لقد وصل بها في حوالي الرابعة هذا الصباح، بمجرد أن بدأت مناوبتي. الرجل يعرف كيف يقود الفيراري بالفعل؛ كان يجب أن تراه وهو يتسابق بها في الشارع! رجل رائع بالفعل، إذا لم تمانع قولي هذا - حتى إنه منحني ورقة بعشرين دولارًا بقشيشًا".

جوليان مانتل العظيم، دائمًا ممتلئ بالمفاجآت. كنتُ أعرف أن لديه بعض الممتلكات القليلة - أكدت مقالة الجريدة ذلك. كانت تقول إنه لم يعد مهتمًا بالعودة إلى أسلوب حياته القديم. لكنني كنتُ أعرف أن

جوليان لا يزال يستمتع بكل مناحي الحياة، كان هذا واضحًا. لم يعتذر عن حبه لرفاهيات الحياة وتذوقه للأفضل. لقد كانت تلك حالة من هذه الأشياء التي لم تعد في مقدمة أولويات حياته. وبينما استمتع بهذه الأشياء لما تقدمه من بهجة، فلم تكن له متطلبات فيها على الإطلاق.

لم تكن لديّ فكرة عن أين أتى جوليان بالفيراري ولم أعرف من أين له بالمال الكافي ليسكن في الكيو. لقد كنت أثق فقط أن كل شيء في تنظيم دقيق في هذا العالم. صافحتُ جيك ودخلتُ الردهة. حيّتني ماريا، فتاة الاستقبال الإيطالية الجميلة. "السيد مانتل ينتظرك في غرفته يا سيد ساندرسن. أتمنى لك صباحًا رائعًا".

"في أي غرفة هو يا ماريا؟"

"أعطيناه غرفة اللوتس العليا".

"هذه إحدى أغلى الغرف في الفندق!" قلت مندهشًا.

"حسنًا، لقد أتى هنا وسأل عن غرفة. قال إنه لا يهم أي غرفة نعطيه، سيكون مرتاحًا في أي مكان. وقد كان شديد الأدب والود. لذا أعطيناه غرفتنا المفضلة في الفندق. إنني أحب غرفة اللوتس فحسب - إنها ليست الأكبر، لكن بها أفضل طاقة، كما أرى".

هززتُ رأسي فقط وابتسمت. سرتُ نحو المصاعد وصعدتُ بأحدها حتى طابق جوليان. وبينما كنتُ أسير نحو غرفة جوليان، استطعت سماع أحدهم يغني مع بعض الموسيقى المسجّلة. لم تكن عالية بشكل كاف لتوقظ أيًا من نزلائنا النائمين، لكنها كانت ملحوظة. وحين اقتربت أكثر من نقطة وصولي، أدركتُ أن نجم الروك الطموح (بالطبع) لم يكن سوى جوليان مانتل العظيم.

وبمجرد أن طرقت الباب، انفتح.. على مشهد مدهش: كان جوليان واقفًا هناك بابتسامة واسعة، غير مرتد إلا سروالًا قصيرًا أنيقًا أبيض.

كان جسده رشيقًا وأسمر، وظهرت خطوط من عضلاته المشدودة على جلده. نادرًا ما رأيتُ أي شخص في مثل هذه الحالة الجسدية الرائعة وبالطبع لم يكن ليكون رجلًا في نحو عمر والدي، لو أنه كان على قيد الحياة. كان شعر جوليان ممشطًا بأناقة إلى الوراء وبدا هادئًا غير أنه نشط. وفي يده كان يحمل كوبًا من عصير البرتقال.

"صباح الخير يا صديقي، تفضل بالدخول"، قالها بحماسة كبيرة. "إنني أستمع لبعض الموسيقى فقط. إنه ديف ماثيوز - واسم الأغنية 'حفار القبور'. وأنا أحبها. بالنسبة لي، هي تتحدث عن أهمية أن نعيش للغاية حين تكون لدينا فرصة القيام بذلك. أن تعيش بامتلاء. أن تستمتع بكل لحظة حتى تلك الأقل من كونها مثالية. لأنه قريبًا ستنتهي الحياة. وقبل أن نعرف، سنكون ست أقدام أسفل الأرض، وكل هذه المتع البسيطة التي اعتبرناها عادية، مثل الشعور بقطرات المطر على وجوهنا أو مشاهدة أطفالنا يضحكون أو رؤية الشمس وهي تشرق، ستكون أشياء من الماضي. سأخبرك بشيء يا دار: بشكل عام، الأشياء التي نقدّرها أكثر ونحن في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات هي الأشياء التي نقدّرها أقل مع نهاية عمرنا. وكل هذه الأشياء التي كثيرون بيننا يقدّرونها بضآلة، مثل العلاقات الإنسانية العميقة، والأفعال العشوائية الطيبة، وكونك في حالة صحية رائعة، والإخلاص في العمل، وخلق تراث ونحت وقت في كل يوم لتحسين أنفسنا بحيث يسطع أفضل ما بداخلنا، سوف تظهر -في النهاية- كأكثر الأشياء قيمة. *وعلى أسرّة موتنا، لا أحد يتمنى أن يكون لديه مال أكثر في حسابه البنكي، أو سيارة أكبر تقف في ممره الخاص. بل، بينما نأخذ آخر أنفاسنا القليلة، نتمنى لو أننا عشنا حياة شجاعة وحقيقية ومحبة للغاية*".

"صحيح جدًا. ورغم ذلك نقضي أفضل سنوات عمرنا في البحث عن أشياء كالشهرة والثروة".

"صحيح. نحن نقوم بذلك لأن من حولنا علمونا أن هذه هي القيم التي تهم. لكن لدينا الخيار: يمكننا أن نقتنع بقيم الحشد أو يمكننا أن نتحدّى هذه القيم لنكون صادقين مع أنفسنا ونعيش حياة بقيم تبدو صحيحة لنا، في أعمق وأصح مستوى بداخلنا. ومرة ثانية، ما من خطأ في المال. إنه في الواقع شيء رائع يجلب الكثير من السعادة ويفعل الكثير من الخير إذا تم استخدامه بشكل صحيح. صنع المال شيء عظيم ويجب أن يكون من أولوياتك إذا كنت ترغب في حياة جميلة".

"كل الأمر ألا يكون السعي إلى المال هو أعلى أولوياتي".

"بالضبط. لا تقم بهذا الخطأ أبدًا، بأن تضعه فوق التزاماتك لخدمة القوة التي أرسلتك هنا، لإحداث اختلاف بينما تسير على هذا الكوكب، أن تحب أسرتك وأن تسعى إلى أعظم ما في نفسك. تذكّر أن هناك أشكالًا عديدة للثراء، والثراء الماليّ هو مجرد واحد منها لا أكثر. فهذا الذي لديه علاقات غنية ومجموعة محبة حوله، كما أرى، هو ثري. أما الذي لديه حياة من المغامرة والإثارة والتعلم المستمر فلديه ثراء من نوع مختلف. أما ذلك المتصل بروحانية بكل هذه الحياة ويصحو كل صباح شاعرًا بالسلام بعمق ومدركًا للحقيقة بالطبع يجب أن يعتبر أحد من جمعوا نوعًا آخر من الثروة. الحشد -قبيلتنا التي تُدعى المجتمع- علّمنا أن الثراء المادي هو النوع الوحيد من الثراء الذي يجب أن نبحث عنه. وهذه كذبة. وأرجوك خذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة المهمة عن المال: المال هو مجرد *منتج ثانوي*".

"منتج ثانوي لأي شيء؟"

"للإضافة القيمة وفعل الخير للآخرين. ركّز على أن تكون عظيمًا فيما تقوم به. كرّس نفسك لتقديم كل ما يمكنك للآخرين لكي تجعل

حياتهم أفضل. كن رائعًا بالفعل في كل عنصر من حياتك العملية والشخصية. والمال سيتبعك، أضمن لك ذلك. هل ترى يا دار، *المال هو المنتج الثانوي غير المقصود رغم أنه حتمي للحياة التي تنقضي في مساعدة الآخرين لينالوا ما يريدون. ليس المال سوى النفقة التي يقدمها الكون في مقابل القيمة التي أضفتها أنت للآخرين. أنت تحصد ما تزرع*".

قاطعته: "آه، جوليان، أين رداؤك؟ أعرف أنك قلت الليلة الماضية إن علينا أن نتخلص من الرسميات، لكن أليس ذلك كثيرًا بعض الشيء؟ سروال لطيف مع ذلك"، قلتها وأنا أضحك. كنت أعرف أنه يمكنني أن أكون مازحًا مع جوليان - فقد كان رجلًا مرحًا.

"ردائي يتم تنظيفه يا دار. صحيح، أنا معجب بطاقم عمالك هنا. قالوا إنهم سيعيدونه في ساعات قليلة. ولذا فأنا الآن مسترخ وأنا أرتدي سروالي. أحب هذه الموسيقى فحسب - الموسيقى تجعل روحي تغنّي. إنها شديدة الأهمية في حياتي. تجعلني أشعر بالروعة بشكل لا يصدق. لا يمكنني تخيل الحياة دون موسيقى".

راهب يحب ديف ماثيوز، الفنادق الأنيقة والأشياء الجيدة. اقرصني. أنهى جوليان كوب عصير البرتقال ثم أغلق مشغّل الموسيقى. ونظر نحوي معتذرًا. "أرجو ألا أكون قد أحرجتك بارتدائي هذا السروال على الباب. لم أفكر في ملابسي للحظة. لقد كنت أمرح للغاية هذا الصباح. أحد الأشياء التي تعلمتها كنتيجة لمقابلتي حكماء السيفانا في الهند هو ما أطلق عليه 'الرغبة العارمة للحياة'. كل واحد عليه أن يفعل ما يحتاج لفعله ليطوّر رغبته في الحياة. كلنا يجب أن نضع وقتًا لكي نستمتع بالمتع البسيطة للحياة، تلك الأشياء التي تعلّقنا بها كأطفال. بالنسبة لي، هذه المتع هي أشياء مثل إلقاء الحجارة على الماء أو صنع

زوايا في الثلج في يوم شتوي شديد. أو الرقص مع الموسيقى وكأنك وحدك تمامًا. إنني أندمج في اللحظة كثيرًا هذه الأيام، وأحيانًا أنسى بعض الكياسة الاجتماعية التي تعودتُ أن أهتم بها حين كنتُ محاميًا. لم يعد أي من هذه الأشياء يبدو ذا أهمية لي بعد الآن. أن تكون شديد الانهماك في الحاضر - الآن هو كل ما تتحدث الحياة عنه. لا شيء أكثر أهمية من أن أكون هنا بالكامل. *الحياة تُعاش الآن*، يا صديقي. وكما قلت من قبل، الماضي قبر. والحياة هي أن تعيش. والحكماء بيننا يدركون ذلك. وكما أكد الكاتب والفيلسوف العظيم باولو كويلهو في كتابه الجميل *الخيميائي*، 'إنني مهتم بالحاضر فحسب. لو أنك تستطيع أن تركز على الحاضر فقط، لأصبحت شخصًا سعيدًا. سوف ترى أن هناك حياة في الصحراء، وأن هناك نجومًا في النعيم وأن رجال القبائل يتعاركون لأنهم جزء من جنس البشر. ستكون الحياة احتفالًا لأجلك، مهرجانًا كبيرًا، لأن الحياة هي اللحظة التي نعيشها الآن".

"هل عليّ أن أكتب كل هذه الدروس يا جوليان؟" سألته جديًا.

"لا، ليس الآن. إن كتابة الأشياء ممارسة شديدة الأهمية لاكتشاف الذات. لقد علمنا الرهبان الذين التقيتهم أعلى جبال الهيمالايا عن القيمة الهائلة للتدوين اليومي. لقد غيّر النظام حياتي يا دار. تمامًا كما تبدأ في معرفة شخص آخر بالمحادثات الطويلة معهم، فإنك بالتدوين كل صباح ستتعرف على نفسك من خلال الكتابة. لقد اكتشفتُ ما كنت أريده وما كان مانعًا إياي من أن أعيش أعظم حياة لي. عرضَ عليّ دفتر تدويناتي مكانًا لأسجل فيه ما أتعلمه، ومتنفسًا أعالج فيه مشاعري غير الواضحة التي كانت تعوقني ووسيلة أضع بها الفلسفة

التي وعدت نفسي أن أعيش بها. لكن رغم أن التدوين قد يكون رائعًا لتنقية ومداواة المشاعر، فهو نشاط عقليّ مركزي كذلك. وبالنسبة للآن، أريدك أن تتحرك بعيدًا عن عقلك، وأقرب إلى قلبك. أريد أن أرشدك من فِكرك إلى مشاعرك. لقد عشتَ حياتك بأكملها في العقل، فإلى أين جلبتكَ؟"

"لا زلتُ بائسًا"، أجبت بكامل الصدق.

"حسنًا، إذن ربما، فقط ربما، هناك عنصر أو اثنان مفقودان"، اقترح جوليان بأسلوب طيب. "أعتقد أنك في حاجة لأن تفتح قلبك يا صديقي. والعيش في اللحظة يحدث داخل القلب، وليس العقل. هل جلستَ مرة قبالة غروب مدهش ووجدت نفسك تفكر في العمل أو في جدولك لذلك اليوم أو عن مشكلة ما كنت تمر بها بدلًا من التركيز على روعة المشهد الذي أمامك؟"

"بالطبع".

"حسنًا، حدث ذلك لك لأن عقلك كان يدير الأمر. *إن العقل خادم رائع لكنه سيد مستبد*. العقل أداة رائعة تستخدمها في التخطيط، والتفكير الهادئ، والتعلم من الأخطاء الماضية بحيث لا تتكرر، وهذه مجرد أمثلة بسيطة. سيساعدك العقل على الحصول على المعرفة وتلقي التعليم من مدارس الحياة. لكن لا يجب أن يدير العقل الأمر كله، كما يفعل للكثير من الناس. وازن بين الحياة من خلال العقل والإدارة من القلب، كما أخبرتك الليلة الماضية. إنه ذلك التوافق المهم أو الشراكة بين الرأس والقلب. يريدك القلب أن تستقبل كل هبة في ذلك الغروب. القلب يعرف أن الحياة تعاش في اللحظة الحالية".

وصمتَ جوليان. وبدت حجرة اللوتس كالمدينة بأكملها، مشهد فاتن. ورد في مجلة "السفر وأوقات الفراغ" أن هذه واحدة من أفضل غرف الفنادق في العالم.

"صحيح، ما أمر تلك السيارة؟" سألتُه، حين تذكرت الفيراري بأسفل. "سمعتُ أنك قُدتها هنا باكرًا هذا الصباح. ألا تنام؟"

"بالطبع أفعل. إن الراحة الجيدة أساسية للجسد. إنني فقط لا أنام كثيرًا كما يفعل معظم الناس. الحياة قصيرة وأنا لا أضيع وقتي. ربما أموت غدًا - من يدري؟ لذا أعيش كل يوم بشكل تام. الحياة أمتع من أن نضيّعها. لديّ دعوة لأنجزها وميراث لأتركه. لقد أُعطيتُ بعض الهبات الرائعة ولديّ مهمة لأكملها، تلك التي أتمنى أن تساعد الكثير من الناس على أن يعيشوا حياة أكثر ثراءً. *بمجرد أن ترتبط بنوع من الغايات العليا وهدف أساسي في حياتك، سيكون هناك إطلاق مقابل للعاطفة والطاقة في حياتك. إن السر في توليد مستويات مدهشة من العاطفة في حياتك هو أن تكتشف غايتك الأعظم*. وبمجرد أن تجد دعوتك، ستشعر بالإثارة. وكلما زادت الإثارة التي ستشعر بها تجاه هذه الدعوة وتجاه حياتك بشكل عام، قلّتْ رغبتك -أو حاجتك- للنوم. معظم الناس يستخدمون النوم كمخدر. إنهم يستخدمون النوم كي يشتتهم ويُمضي الوقت. وحين يبدأ الناس عيش الحياة غير المتطابقة مع حياتهم العظمى وإمكانياتهم العليا، يبدأ بئر من الألم في التكوّن داخلهم. معظم الناس لا يعون ذلك -فهو يحدث على المستوى غير الواعي- لكن ذلك لا يعني أنه ليس موجودًا، ويؤثر فيهم في كل لحظة، وفي كل اختيار، وعلى كل مستوى. لذا ينام كثيرون بيننا لتجنب ذلك الألم".

"هذا منظور مثير يا جوليان. لم أفكر في ذلك من قبل. دائمًا ما كنت أفكر في الألم كشيء أكثر وضوحًا".

أومأ جوليان ثم أكمل. "لكن انظر إلى الناس الذين اكتشفوا سببًا لأجله منحوا حياتهم، أناسٌ مثل بينيامين فرانكلين، والمهاتما غاندي، ومارتن لوثر كينج، والأم تريزا، ونيلسون مانديلا. لقد ارتبطوا بنوع من الحملات التي قرروا أن يدافعوا عنها بحياتهم. وتضمّن ذلك قلوبهم. جعلهم ذلك مشحونين عاطفيًا بما يقومون به. *وبمجرد أن تستطيع تطوير نوع من المشاركة العاطفي في هدف ما، بدلًا من المشاركة العقلانية، تتدفق الإثارة وتتفجر الطاقة*. هذه الفكرة الكبرى لأجلك لكي تفكر في هذه النقطة يا صديقي. ارتبط بسبب دافع لقلبك، لا لعقلك. ثم ثبّت حزام مقعدك، لأن حياتك ستحلّق".

"هل عليّ أن أترك عالم التجارة وعملي الحالي لكي أجد هذا السبب الذي يجب أن أدافع عنه بحياتي؟ إن الأشخاص الذين ذكرتهم كانوا مقاتلين للحرية ونشطاء اجتماعيين. لا أقصد الإهانة يا جوليان، لكن مثل هذه الأشياء ليست أنا".

"نقطة ممتازة. بالطبع يمكنك أن تجد قضيتك في مكانك بالضبط. ليس على أحد أن يترك عملًا ليجد شيئًا ليشغل قلبه ويثيره. غالبًا كل ما يتطلبه الأمر أن ترى الأشياء بشكل مختلف. مثلًا، أنت كمالك لهذه المجموعة من الفنادق، يمكنك أن تصنع اختلافًا عميقًا في حياة العديد من الناس. والآن، هذا شيء يمكنه أن يثيرك".

"هل أستطيع؟"

"بالطبع. كل الناس الذين يعملون معك يقضون وقتًا في العمل أكثر مما يقضونه في البيت. إنهم يتركون أسرهم كل صباح ويأتون إلى هنا ليساعدوك على بناء حلمك. تخيل ذلك - إنهم يعطونك بعض أفضل ساعات أيامهم في الحياة. لذا، ففي مقابل هذه الهبة، ماذا لو أنك خلال مجهوداتك، قمتَ بما يتطلبه الأمر أن تصنع مكان عمل يكون آمنًا

ليصبحوا بشرًا مرة أخرى. تخيل ما ستقدمه لموظفيك لو أن وجودهم في العمل كان شيئًا مبهجًا لهم، ومكانًا يمكنهم أن ينموا ويتعلموا ويدعوا إبداعهم الطبيعي يخرج فيه. ماذا لو أنك جعلتها أولوية لك أن تجعل من عملهم مرحًا وصغتَ الثقافة لتكون مكانًا تصبح فيه القيم النبيلة هي النموذج. تستطيع أن تنشئ هذا النوع من الثقافة في كل من فنادقك الرائعة إذا اخترت أن تقوم بذلك. كل ما يتطلبه الأمر وقت وجهد وبعض الابتكار. لقد كنتُ في لندن مؤخرًا وسكنتُ في إيان تشراجر بممر سانت مارتن. هذا الفندق نموذج مثالي لمكان يحصل الناس فيه على المتعة ويكونون مبتكرين ويحبون عملهم. ويجب أن أخبرك أن عاطفتهم كانت مُعدية. لقد أحببتُ وقتي هناك. تذكّر، *يحب الناس أن يقيموا أعمالهم مع أناس يحبون القيام بالعمل*".

أشرتُ: "نعم، هذا صحيح".

"تخيل فقط كم ستشعر بالحماسة حين تعرف أنك تنشئ مكانًا خاصًا للبشر يعملون ويتاجرون فيه. وإذا قمتَ ببعض التغييرات في الإدراك، يمكنك فقط أن تكتشف هذا السبب بخدمتك الأشخاص الذين يعملون لديك. يمكنك كذلك أن تولّد كمية هائلة من الإثارة والارتباط العاطفي حين تفكر فيما يمكنك القيام به لأجل كل عميل يسير إليك. فخلال مجهوداتك ومجهودات فريقك، يمكنك أن تخلق ذكريات جميلة. يمكنك أن تجعلهم يضحكون ويشعرون بخير. كثير منهم يكونون في إجازة ويمكنك أن تجلب لحياتهم سعادة كبيرة بأن تظهر أفضل ما لديك. تخيل أنك تسير كل صباح وتكرس نفسك لخلق 'خبرات لا تُنسى' لعملائك. هل لذلك أن يحمسك؟"

"بالطبع. إنني أشعر بشدة الإلهام والحماسة لمجرد تفكيري في تلك الفرصة. وكلما تعمقتُ في هذه الأنواع من الالتزامات، استطعتُ أن أرى

مستويات حماستي ترتفع. والآن أدركتُ لماذا تنام أقل من معظمنا - إنك متصل وملتزم بهدف محدد. ومن الواضح أن 'قضيتك' كما تطلق عليها، تزودك بالوقود وتشحنك بالطاقة".

"نعم يا دار. إنها تعطيني الأمل وتمنحني الكثير من الطاقة. إنها قضية تقاوم لأجلها، ولا يهم إذا ما كانت عن صنع خبرات لا معقولة للرجال والنساء الذين يمنحونك عملًا أو ذلك الذي يشمل إنقاذ العالم، ويحرر الطاقة. فكرة ضخمة تتذكرها. حين ترتبط بهدف أساسي ما يستغل أعلى وأفضل ما عليك أن تعطيه، يشعر الجزء الأعظم داخلك أنك تقضي حياتك بطريقة قيمة. يبدأ قلبك في الانفتاح والنبض، كما لم يحدث من قبل. هل ترى يا صديقي، فبينما يكون الفكر نافعًا في التخطيط والتفكير والتعلم، فهو محدود غالبًا. إن اللغو العقلي الذي يملأ معظم عقول الناس هو في الغالب عن لماذا لا يجب أن نفعل شيئًا والعواقب المؤلمة للفشل. غالبًا ما يبقينا هذا صغارًا. *القلب والمشاعر هما المحرران. إنهما يجعلاننا نخطو لأعلى ونصل إلى عظمتنا. هما يصنعان الإثارة والعاطفة ويشجعان أعظم ما في نفوسنا على الخروج والمشاركة*".

"بالطبع أدرك القيمة التي تشاركني إياها. وظنّي أن اكتشاف القضية هو أيضًا ما يجعل الناس يجتازون الأوقات العصيبة".

هتف جوليان: "نقطة رائعة! إنك تلميذ مدهش يا دار - واحد من أفضل التلاميذ الذين قابلتهم حتى الآن". سار وتنسّم عطر زهرة وحيدة كانت واقفة في آنية فضية بسيطة. "عبّر ليوناردو دافينشي عن ذلك بشكل شديد الروعة حين قال، 'ثبّت مسارك نحو نجم ما وسيمكنك أن تجتاز أي عاصفة'. بمجرد أن تعرف هدفك الأساسي في الحياة -هذه

المهمة المركزية التي أحدثك عنها- ستقوم بعمل النجم الشمالي لك، يرشدك خلال كل من الأوقات الجيدة والسيئة".

توقف جوليان ومرر إحدى يديه البرونزيتين خلال شعره. "سامحني على انحرافي قليلًا في ردي على سؤالك عن لماذا أنام قليلًا، لأنني أعرف أنك تدرك أن ما شاركتك إياه شديد الأهمية لصنع أفضل حياة لك. اعثر على قضيتك، ثم قم بعملك بفخر وحُب؛ فالحب قوة غير معقولة في الخير. قم به بإخلاص للتميز. وسوف يكافئك العالم بطرق لا يمكن تخيلها".

"فخر، وحب، وإخلاص للتميز - أحب هذه الكلمات".

"الفخر الإيجابي عنصر مهم في صنع حياة جميلة. هل تعرف أن المهاتما غاندي قال ذات مرة: 'لا يهم مدى تفاهة الشيء الذي عليك القيام به، قم به جيدًا بقدر ما تستطيع، امنحه اهتمامًا وانتباهًا بقدر ما تمنح الشيء الذي تعتبره الأكثر أهمية. لأنك ستحاكم بهذه الأشياء الصغيرة'. إليكَ الترتيب يا دار: حين تكرس نفسك للتميز في كل شيء تقوم به، من منطلق دورك كقائد هنا في العمل إلى دورك كأب في حياتك الخاصة، ستبدأ بالشعور بإحساس أكبر من الفخر الايجابي حيال الطريقة التي تدير بها أيامك. وبالتالي، يزيد هذا من احترامك لذاتك وثقتك التي، في المقابل، ستطلق طاقة وعاطفة أكبر. هذه 'الرغبة العارمة للحياة' التي كنتُ أخبرك عنها سابقًا تبدأ في الظهور. تبدأ أنت في الشعور بشيء طيب حيال نفسك. هؤلاء الذين يشعرون بشيء طيب حيال أنفسهم يقومون بعمل عظيم ويخلقون أشياء عظيمة. وهذا، في المقابل، يجعلهم يرفعون مستوى تميزهم أعلى أكثر. إنه حلزون صاعد يأخذ الناس إلى أماكن لا متناهية الصعود في السعادة والمعنى والسلام الداخلي".

"إن سماعي ذلك بالفعل يثيرني يا جوليان"، قلتُ وأنا أجلس على أريكة ملساء التصميم قرب النافذة الكبيرة. "والآن، دعني أسألك، هل لكل منا دعوة *خاصة* من واجبنا أن نكتشفها ومن ثم نتبعها إذا كنا نريد أن نعيش حياة حقيقية؟"

سؤال كبير يا صديقي. لا أحد لديه الإجابة لذلك بالفعل، أليس كذلك؟ كثيرون يتظاهرون بهذا، لو قرأتَ كل هذه الكتب هناك التي كتب فيها مؤلفوها وكأنما لديهم اتصال مباشر بمصدر كل هذا الخلق. ولو لم تكن متنورًا، فلن يمكنك أن تعرف الإجابة - وأفضل ما يمكنك فعله هو أن تكتشف طريقة لفهم كيف تدور الحياة والتي تشعر أنها صحيحة بالنسبة لك. إنني شخصيًا قد أصبحتُ أؤمن أن هناك خطة عامة مفروضة مسبقًا لحياتنا كُتبت قبل وجود حياتنا. سمِّها القدر إذا شئت. وبما أني أخبرتك ذلك، فأنا أؤمن كذلك أن كل واحد منّا لديه قدر لا معقول من الاختيار بالطريقة التي تنكشف عليها حياتنا تمامًا، وعن طريق اختياراتنا الخاصة تلك تحدثُ أقدارنا النهائية. وكأنما تصميم عريض أو رسم تخطيطي لحياتنا قد خُلق لأجلنا وينزل إلينا لكي نرسم التفاصيل. أحتاج لقول ذلك مرة أخرى: لدينا أطنان لنقولها في كيف تبدو حياتنا عند النهاية. يمكننا أن نحصل على الحياة التي نحلم بها، بطرق متعددة للغاية. وما من شك أننا كبشر لا نستطيع التحكم في كل ما يحدث لنا - فذلك جزء القدر. الحياة تسير بطريقتها الخاصة. لكنّ ما لدينا تحكم هائل فيه هو الطريقة التي نستجيب بها لما ترسله لنا الحياة في طريقنا. وإذن هذه هي الشراكة: قم *بأفضل ما تستطيع -أفضل ما تعرفه لتفعله في كل مجالات حياتك- ثم اترك الحياة تقم بالباقي. إنه حقًا توازن دقيق بين أن تقوم بالشيء وأن تدعه يحدث*. نستطيع بالفعل

أن نصنع حظنا الخاص، معظم الوقت، والأشياء الجيدة تحدث عامة لهؤلاء الذين يقومون بأشياء جيدة. ليس الأمر أن الحياة ستحدث طبقًا لمخطط والطريقة التي تتعامل بها لا تصنع اختلافًا. هذا هراء وأسطورة يرعاها أشخاص يخشون تحمل المسئولية الشخصية عن إدارة حياتهم. لكنك بمجرد قيامك بأفضل ما لديك، *دع الأمر وثق أنه مهما يحدث يتناسب بشكل تام مع النمو الذي تحتاج إليه لتتطور وتكون أفضل ما في نفسك*".

"وهو ما تقترحه بالفعل ليكون هدف الحياة يا جوليان، أليس كذلك؟"

"بلى، فأنا أؤمن أن هدف الحياة هو النمو والتذكر الذاتي. النمو وتذكر المخلوقات الرائعة التي كنّاها يومًا، لحظة ولدنا - قبل أن نقبل كل مهملات العالم من حولنا التي لطخت كمالنا. وقبل أن نصبح مفسدين ونغفل عن الحقيقة حول من نحن وكم هو مقدرٌ لنا أن نكون أشياء جميلة وشجاعة".

"لا زلتُ غير واثق فيما إذا كانت لنا دعوة أو مصير محدد يا جوليان. أعرف أنها منطقة معقدة وسؤال كبير، لكن ذلك مهم بالنسبة لي. هل هناك عمل محدد عليّ أن أقوم به؟ هل هناك امرأة محددة -شريكة حياة- مقدّر أن أجدها؟ هل يمكنك أن توضح هذه النقاط قليلًا من فضلك؟"

"أنت على حق. هذه أسئلة صعبة للغاية. جميل منك أن سألتها"، قال جوليان، وهو مسرور بشكل واضح. سار نحوي وربت على ظهري بابتسامة دافئة.

"أولًا، دعني أقترح مرة أخرى أنه، وبطرق متعددة، لا توجد إجابات لأسئلتك. إنك تحاول أن تفهم ما لا يُفهم، على المستوى الإنساني،

بإدراكنا المحدود. لكن واقع أنك تسأل يعني أنك تتعمق وتفكر حول فلسفة حياة لتتناسب معك. وبينما يريد جزء مني أن أقول إن هذه ببساطة هي أسرار الحياة، فإن جزءًا آخر مني يريد أن يخبرك أن داخلي يشعر بالإجابات التي تسعى نحوها. وأرجو أن تعلم أن الحكماء الذين التقيتهم في الهند كانوا أرواحًا متنورة اكتشفوا الكثير من الحقائق التي لم يتمكن الإنسان العادي من الوصول إليها؛ فكثير مما أخبرك به قد أتى من مصدر شديد الثقة".

"أتفهم ذلك"، قلتُ ذلك شاعرًا بعدم الصبر قليلًا تجاه سماع سلسلة من الأسرار غير المعروفة التي قد تغير من فهمي للأبد.

"ها هي الطريقة التي أرى أن الأمر كله يعمل بها. لقد كُتب لنا عدد من الطرق نحو أفضل حياة لنا. وهناك العديد من المداخل تؤدي إلى بيت السعادة. وكما أن هناك العديد من الطرق التي يمكنك سلكها لتصل بيتك من العمل، فهناك العديد من الطرق التي يمكنك سلكها لتصل إلى أفضل حياة لك، تلك الحياة التي قدّرت لك - والوصول هناك كذلك له عدة أشكال. هناك العديد من الوظائف التي يمكنك أن تعمل بها لتوصلك إلى مصيرك. وبشكل مشابه، هناك العديد من الأشخاص المتاحين لك، وكل منهم يقدم دروسًا مختلفة، لكنهم جميعًا قادرون على مساعدتك لتنمو وتوقظ نفسك الفضلى. إن الوصول إلى نفسك العليا وحياتك الكبرى هو الهدف الأساسي من الحياة. والعودة إلى مكان التألق والحب والشجاعة الذي نسيته هو سبب وجودك. والآن، لك أن تختار أي طريق أو مسلك تأخذه بينما تحاول أن تصل إلى حياتك الحقيقية. ولا طريق أفضل من الآخر - إنها تبدو مختلفة فحسب. ربما يعني أخذك طريقًا ما رحلة أطول، تمامًا مثلما قد يعني اختيارك طريقًا معينًا في عودتك للمنزل، أنك قد تحتاج لاجتياز مسافة أطول ومواجهة

طرق أكثر وعورة قليلًا. وسلوكك طريقًا آخر قد يكون مثل أخذك طريقًا سريعًا إلى مصيرك، في ركوبة سلسة وسماء زرقاء صافية. إنه اختيارك. إن معظم الأمر يتحدد باختياراتك التي تأخذها خلال لحظات حياتك. *أنت تشارك في كتابة النص الذي كُتب لقصة حياتك يا صديقي*".

"حسنًا يا جوليان، والآن أحتاج أن أسألك: كيف للمرء أن يأخذ هذه الطرق السريعة نحو المكان الذي قدّر لنا، حسب هذه الخطة التحضيرية العامة التي ذكرت أنها وضعت لحياتنا؟"

"*فقط كن شخصًا طيبًا وافعل أشياء طيبة*"، هكذا جاء الرد المباشر. "إن عالمنا هذا يُدار طبقًا لسلسلة من القوانين الطبيعية الثابتة، قوانين خلقتها نفس القوة التي بنت العالم وأرسلتك إلى هنا. لا يمكنك أن تلعب لعبة ككرة القدم دون أن تعرف القوانين. حسنًا، الحياة مثل اللعبة أيضًا. ولكي تلعب -وتربح- من الضروري أن تتعلم القوانين. عِش حياتك باتساق معها وسوف تفلح حياتك. إن العالم يريدك أن تربح، هل تعرف ذلك؟ كل ما عليك أن تخرج من طريقتك الخاصة وتعرف قوانين اللعبة بأسرع ما يمكنك. وتعلم قوانين اللعبة يحتاج بعض المجهود والتفكير العميق في أماكن هادئة ورغبة حقيقية في أن تكون فيلسوفًا".

"أكون فيلسوفًا؟" سألته.

"بالطبع. إن تعريف الفلسفة هو 'حب الحكمة'. كل إنسان، إذا أراد أن يسير في الطريق إلى مصيره نحو حياته العظمى، فعليه أن يطور تقديرًا للحكمة ونهمًا لفهم الحياة. قد يكون هذا العالم مكانًا أفضل كثيرًا إذا بدأنا جميعًا في رؤية أنفسنا كفلاسفة، بشكل عميق -وفنيّ- أن نكون في عملية نحت حياة أكثر بهجة وذات معنى. إذن، لنعد لهذه القوانين الطبيعية الخالدة، احكم أفعالك اليومية بها وسوف تأخذ

الطريق السريع بشكل آليّ نحو حياتك العظمى. تجاهلها وسوف تأخذ الطريق الطويل في العودة".

"ما هي هذه القوانين الطبيعية على كل حال؟" سألت وأنا متلهف لمعرفة المزيد.

"إنها القوانين التي حكمت تشغيل العالم منذ بدأ. وهي تتضمن المبادئ الأساسية مثل 'ساعد الآخرين على نيل ما يريدون دائمًا بينما تحصل على ما تريد' و'لتكن لديك استقامة وعصمة' و'عِش اللحظة' و'كن أطيب شخص تعرفه' و'ابذل قصارى جهدك وكن متميزًا في كل ما تقوم به' و'كن صادقًا مع نفسك' و'احلم بشجاعة'. معظمنا يعرفها، وقليل منا يعيش بها. يشبه الأمر ما قاله فولتير مرة: 'الذوق العام يمكن أن يُوصف بأي شيء خلاف أنه عام'".

"هذا صحيح يا جوليان. هذه الأيام، تقريبًا إذا لم يكن الشيء معقدًا ومركبًا، نقلل من تقديره. ومع ذلك، فمعظم الحقائق بالفعل بسيطة، أليس كذلك؟"

"لو لم تكن بسيطة، لما كانت حقيقية"، أجاب جوليان بحكمة.

"والآن أنت تقول 'احكم أفعالك بهذه القوانين الطبيعية وسوف تأخذ الطريق السريع إلى حياتك العظمى. تجاهلها وسوف تأخذ الطريق الطويل في العودة'. هل تقول إذن إن هؤلاء الذين يمرون بالألم ويعانون بينما نسافر خلال الحياة -ومن منا لا يواجه بعض المشقة طوال الطريق؟- قد انتهكوا قانونًا طبيعيًا أخذنا بعيدًا عن الطريق السريع إلى إحدى هذه الطرق الأبطأ والأكثر التفافًا؟"

"انظر يا دار، كما قلتَ، كل إنسان على الكوكب سيواجه أوقاتًا طيبة وأوقاتًا سيئة - حتى لو عاش كقديس. تأتي الأحداث المؤلمة لتساعدنا على تعلم الدروس التي نحتاج لتعلمها في تلك النقطة على طريقنا. تصل

الخبرات الحزينة لتساعدنا على المداواة والتعمق والنمو لنكون أكثر فلسفة. لا يستطيع أحد أن يتجنبها لأنه لا يوجد شخص كامل. لذا، فأن تكون غير كامل، حتى ولو عشتَ حياة طيبة ونبيلة وشجاعة، يعني أننا لا يزال لدينا دروس لنتعلمها، صحيح؟"

"يبدو هذا منطقيًا"، قلتُ ذلك بابتسامة وأنا أفكر في كلمات جوليان.

"إذن، فحتى أكثر من هم يقظة بيننا سيواجهون الألم والمعاناة لأن هذه الخبرات تأتي لتقدم الدروس التي نحتاج إليها لنرتفع إلى المستوى التالي من الفهم والتطور. 'ليست هناك أخطاء، ولا صُدف. كل الأحداث هي هبات نُمنحها لكي نتعلم منها'، هكذا قالت إليزابيث كوبلر روس. هل ترى الآن لماذا يكون الألم والمعاناة رائعين ومهمين؟"

"بلى".

"قالها أحد الحكماء بطريقة رائعة حين أدرك أن الحياة مثل نهر له ضفتان. على ضفة منهما سنجد السعادة وعلى الأخرى سنرى الحزن. وكلما تحركنا على امتداد النهر، تم صقلنا لا محالة على كلتا الضفتين. والحيلة الحقيقية هي ألا تبقى ملتصقًا بإحداهما لمدة طويلة".

"هذا جيد. يعجبني هذا التشبيه كثيرًا يا جوليان. إذن لا أحد لديه حياة بلا مشكلات وحزن لأن هذه الأشياء تأتي لتعلمنا دروسًا، وكل منّا، مهما كنّا متطورين، لديه دروس ليتعلمها".

"صحيح. الأشخاص الوحيدون دون مشكلات ومحنة يقطنون ست أقدام تحت الأرض. أن تعيش يعني أن تواجه المشاكل والألم والمعاناة. هذه الأشياء وسائل للنمو والتمدد والتعلم مدى الحياة. ليست اختبارات الحياة سوى فرص لجمع الحكمة ومنصّات لتذكر المزيد من القوة الحقيقية إذا اخترنا. لكن لا تنسَ، كل حياة سيكون لها نصيبها من

الانتصارات والأوقات الجميلة كذلك. لا تدوم الصعاب أبدًا. ولا تبقى الهزائم للأبد. لا بؤس يخلد. ربما تبدو الأزمات وكأنها لن تنتهي أبدًا حين نعانيها، لكن ذلك ليس الحقيقة. للحياة مواسمها، فصولها، إذا أردتَ. والأوقات الصعبة هي بالتأكيد تلك الأوقات التي تنحتنا لنكون شيئًا أفضل. والنقطة المهمة التي يجب أن نأخذها رغم ذلك هي أننا *إذا اخترنا أن نراعي هذه القوانين الطبيعية التي أتحدث عنها ونعيش حياتنا بطريقة تحترمها بعمق، فسوف نقضي وقتًا أطول كثيرًا على الطريق السريع أكثر مما نقضيه في هذه الطرق الملتوية التي تمتلئ بالتحديات والألم. وبهذه الطريقة يمكننا بوضوح أن نقلل من مقدار ما نعانيه*".

"إذن، إذا جاء الألم ليعلمنا دروسًا نحتاج لتعلمها، مثل 'كن شخصًا أفضل' أو 'توقف عن كونك صغيرًا في حياتك'، إذا تفهمنا هذه الحقائق أو 'القوانين' كما تطلق عليها، فلا حاجة لأن نتعلمها بطرق مؤلمة. سوف نمر بمعاناة أقل في حياتنا، لأن المعاناة تحدث فقط حين نكون بعيدين عن الانحياز للقوانين التي تدير العالم. إذن يمكن أن يكون لنا تأثير هائل على الطريقة التي تنكشف عليها حياتنا".

"رائع يا دارا" تعجب جوليان بينما رفع قبضته في الهواء في سعادة. "لكن تذكر، لا زلتَ ربما تمر بالصعاب لأنه -نظرًا لكوننا غير كاملين- ستظل هناك دروس دائمًا لنتعلمها وأحيانًا سيتطلب الأمر أن تأتي هذه الدروس بطرق تؤلم. هذا هو الأمر فحسب. لكن نعم، يمكننا أن نقلل المعاناة في حياتنا بتولي المسئولية الشخصية كاملة عن أنفسنا والقيام باختيارات حكيمة خلال ساعات حياتنا. وبهذه الطريقة، نقوم بتشكيل مصيرنا ونملك القوة على العيش حياة أكثر سعادة".

"أوه"، أكمل جوليان وهو يسير نحو مشغل الموسيقى وبدأ ينظر في أغلفة الأقراص المضغوطة الموضوعة فوقه، *"الكون ليس جاهلًا بلهفة*

قلبك. إن ذلك الجزء من الخطة الذي كُتب لك لن يتضمن أبدًا أن تفعل شيئًا يكون خطأ بالنسبة لك. الفكرة بأكملها هي أن تكون سعيدًا. لن يرشدك مصيرك إلى فعل شيء يجعلك تعيسًا بفعله. إذا كنتَ تحب التجارة، فالخطة الخاصة بك غالبًا لن تتركز في حياتك المهنية على أن تكون طبيبًا أو ممثلًا. إذا أحب شخصٌ أن يكون كاتبًا -يحلق قلبه حين يكون وحده قبالة الكمبيوتر الخاص به، يكتب باقتناع وعاطفة كبيرين كأنما لا شيء آخر يهم- فغالبًا لن يكون غاية روحه أن يكون رجل مبيعات من الباب إلى الباب. الكون يريدك بالفعل أن تربح. والخطة أن تكون سعيدًا للغاية بالفعل".

عرض عليّ جوليان بعض الاسطوانات التي جمعها، مثل طفل ربما يشارك ألعابه المحببة مع صديق جيد. كان هناك Parts of the Process لمورتشيبا، و A Rush of Blood to the Head لكولد بلاي، واسطوانة حققت أعلى المبيعات لبون.جوفي، واثنتان لم أرهما من قبل: واحدة من مجموعة تُسمى Our Lady Peace بعنوان Gravity وأخرى للويد كول بعنوان The Negatives.

"أذواق موسيقية شديدة الانتقائية يا جوليان. لا بد أنك أكثر الرهبان حبًا للموسيقى على الكوكب".

جعله ذلك يضحك. وجهه بأكمله أضاء. "كما أخبرتك يا دار، الموسيقى تجعل روحي تغني. إنها أحد أجمل المتع في حياتي. أقضي الكثير من الوقت في متاجر الموسيقى والمكتبات. الموسيقى والكتب. اثنتان من أعظم المتع الخاصة بي".

على فراش جوليان غير المرتب، كانت هناك ثلاثة كتب بدت بالية من كثرة قراءتها: Meditations لماركوس أوريلاس، The Greatest Salesman in the World لأوج ماندينو والعنوان المثير للفضول

العناوين التي يتوصل إليها - The Saint, The Surfer and the CEO بعض هؤلاء المؤلفين تدهشني بالفعل! كان لديه القليل من الملابس في الغرفة. استقرت حقيبة ظهره في الركن. لم يكن هناك شك أن جوليان يعيش ببساطة.

وضع جوليان جانبًا سروالًا كاكيًا قصيرًا، وقميصًا أبيض وخفّين. رأيتُ أنه قد اشترى الخفين من The Gap. لقد بدأ الأمر يتضح أكثر لي أنه بينما يمتلك جوليان القليل من الممتلكات وسافر خلال الحياة قليلًا، لم يكن أحد هؤلاء الروحانيين الذين يجتنبون العالم الحقيقي ويشعر أن الطريق الوحيد للتنوير هو أن يكون زاهدًا. لم يعمد للاعتذار عن حبه للمتع التي يقدمها هذا العالم. فلسفته بأكملها، بالنسبة لي، بدت شديدة التوازن. توازن بين العقل والقلب. وتوازن في مطاردة الأحلام وجعل الأشياء تحدث، مع ترك الأشياء تحدث والثقة في الخطة الأعلى. توازن الوعي في أن غاية الحياة هي في العودة إلى أنفسنا الروحانية مع تقدير أننا بشر لدينا العديد من العيوب، نقيم في عالم به العديد من المتع الجميلة التي يمكننا أن نتذوقها دون إحساس بالذنب. *وأخيرًا، بدا الأمر أن جوليان يؤمن أن المفتاح الذهبي للحياة الجميلة هو في التوازن بين السماء والأرض. وبدا ذلك صحيحًا بالنسبة لي.*

اقترب جوليان من كتاب أوج ماندينو وأشار إلى سطر تم تمييزه بحبر أصفر. "ها هو، اقرأ هذه الجوهرة من الحقيقة يا صديقي". كان السطر بسيطًا، حيث تعلمتُ لتوّي أن كل الحقائق كذلك. كان يقول: "أنا لست على هذه الأرض صدفة. إنني هنا لغاية وهذه الغاية هي أن أنمو لأصير جبلًا، لا أن أنكمش لأصبح ذرة رمل".

قلت برفق: "شكرًا يا جوليان، شكرًا لإنقاذك حياتي".

الباحث يتعرف على جريمة خداع النفس ويتعلم كيف يفك قيود نفسه

تعلق برؤاك، تعلق بأهدافك، تعلق بالموسيقى التي تحرك قلبك، بالجمال الذي يتشكل في عقلك، بالبهجة التي ترتب أدق أفكارك، لأنه نتيجة لها سوف تنمو كل الظروف المبهجة، والبيئة المواتية؛ بهذه الأشياء، إذا بقيت مخلصًا لها، على الأقل سوف ينبني عالمك.

- جيمس ألين، As You Think

كيف يمكنك أن تتردد؟ خاطر! خاطر بأي شيء! لا تهتم بعد الآن برأي الآخرين، ولا بهذه الأصوات. قم بأصعب شيء على الأرض لأجلك. تصرّف من أجل نفسك. واجه الحقيقة.

- كاثرين مانسفيلد

كان جوليان يعرف أنني أفكر بعمق وتركني وحدي لعدة لحظات، وكأنما ليسمح لي أن أستوعب كل ما عرضه عليّ. وبينما ذهب إلى دورة المياه، فكرتُ في الطريقة التي أدرت بها حياتي طوال هذه السنوات. كنت

أستطيع سماعه يغني والمياه تتدفق من الصنبور. وبدأ إحساس ضخم بالندم يتدفق داخلي بينما أفكر في العديد من أخطاء الماضي. وبدلًا من استخدام هذه الأخطاء لصالحي، كدافع للنمو والتعلم، كنت غافلًا عن الدروس التي كانت تحملها، وكنت أسير خلال الحياة ولا أرى الفرصة للنمو، منغمسًا في رثاء نفسي. شعرتُ بالحزن لأنني لم أتعرض لفلسفة جوليان في عمر مبكر ولم أعش حياة أكثر انحيازًا للقوانين الطبيعية التي تحدث عنها. الكثير من السنوات العزيزة مرت، سنوات كان يمكنني أن أقضيها في السير على الطريق إلى أفضل وأكثر حياة حقيقية لي بدلًا من تبديد المواهب والهبات التي مُنحتُها على حياة عشتها لأرضي توقعات الآخرين. لقد تم ابتلاعي من قِبل الحشد وسمحت لهم تقريبًا بتدميري.

حين عاد جوليان وضع ذراعه حولي. كان يمكنه أن يعرف ما كنتُ أفكر فيه. "'التسامح هو فاكهة الفهم'، هكذا قال الحكيم العاقل ثيتش نات هان. إنك بالضبط في المكان الذي عليك أن تكون فيه على طريقك. وبينما ينمو هذا الفهم -ووعيك بالطريقة التي تتصف بها الحياة- سيظهر إحساس جميل بالتسامح مع النفس داخلك. إنك شديد القسوة على نفسك"، قالها جوليان بلطف، مفاجئًا إياي بعمق قوة الحدس لديه.

قادني خارج الغرفة إلى الردهة. وقد علقت على الجدران لوحات جميلة وتدفقت الموسيقى برفق من سلسلة سمّاعات مخبأة بمهارة. بدا الأمر كأنما معظم زائري الفندق لا يزالون نائمين.

"أخبرني بالمزيد يا جوليان"، قلت وأنا أجمع نفسي وأشعر بالاستعداد لسماع المزيد من الحكمة العميقة التي كان مرشد حياتي الرائع، ولكن غير التقليدي، يشاركني إياها.

"جيد بما يكفي يا صديقي"، أجاب بينما سار إلى المصعد. "إن الشخص الذي يلعب لعبته الكبرى كإنسان -بمعنى أنه يعيش حسب قدراته العظمى ويسير على طريق مهمته الحقيقية- هو شخص يحب نفسه"، هكذا قال. *"أن تعيش حياة رائعة هو إظهار لحب الذات"*.

قلتُ: "لم أفكر في ذلك من قبل".

"الشخص الذي يدير حياته وكأنما هو أحد أعظم الأشخاص على الكوكب هو شخص ليس لديه احترام هائل للذات فحسب، وإنما هو شخص لديه احترام عميق للقوة التي خلقته. هناك الكثير من الحديث هذه الأيام حول 'عيش اللحظة' و'تذوّق الآن'. لا تخطئ فهمي، هذا النوع من الأشياء ضروري للحياة الجيدة. إنني أؤمن به وأعتنقه بشكل كامل. حتى إنك سمعتني أقول هذا النوع من الكلام خلال وقتنا القصير سويًا. لكن الأمر يحتاج إلى التوازن، وبالطبع ليس هناك خطأ في تخصيص ما يكفي من الوقت من أجل الوصول إلى النجوم وترك المواهب التي بداخلك تسطع بطريقة كبيرة. والحقيقة أنك حين تحدد أهدافًا كبيرة وتطارد أحلامًا كبيرة، فإنك تتعلق بعمل شديد الابتكارية. إنك تستخدم خيالك وقدراتك لبناء شيء رائع. هذا ابتكار في الفعل".

"إدراك جيد. لم أفكر من قبل في أن السعي وراء أكبر أهدافي ذات المعنى هو عمل ابتكاري. لكنه كذلك، أليس كذلك؟ فعل ذلك يتضمن ابتكار شيء من لا شيء أكثر من الفكرة الأولية. إن بناء تجارة جديدة أو الترويج لمنتج جديد أو تتبع هواية حقيقية.لا يختلف عما يقوم به الفنان حين يحوّل الرؤية التي في عقله إلى عمل فنّي".

"نعم. وبينما نخلق من أحلامنا حياة، خمّن من نتخذه قدوة لنا في هذا؟"

"ليست لديّ فكرة".

"إننا نتخذ قدوتنا القوة المطلقة التي خلقت العالم بأكمله. الفكرة أنك حين تذهب خلف ما تريد، بالحب والحماسة الشديدة، فأنت تستفيد من الطاقة التي خلقت النجوم والبحار. يبدأ نوع من السحر في دخول حياتك وتحدث الأشياء التي تتحدى فهمك. تبدأ الإشارات في الظهور، موحية بأنك على الطريق الصحيح. تعود لبيتك وتقود خلال عشرة أضواء خضراء متتالية، وتتساءل ما إذا كان الشخص الذي طلبت موعدًا منه بشجاعة هو الشخص الصحيح لك. أو أن الشخص الصحيح يطلبك في الوقت الصحيح، مساعدًا إياك أن تقرر إذا كان العمل الذي تكافح لأجله هو الأفضل لك. أو يظهر الحل المثاليّ لمشكلة صعبة في كتاب حدث أن اخترته بينما كنتَ تجلس في حجرة انتظار طبيب أسنانك، مستعدًا لتنظيف أسنانك. ما هذا التعبير القديم: *المزامنة هي طريقة القدر في أن يبقى خلف الستار*".

"أوه، هذه جيدة يا جوليان".

"أعرف ذلك"، قالها في ثقة هادئة بينما نخرج من المصعد إلى الردهة المضيئة. انسكبت الشمس على النوافذ الزجاجية من الأرض إلى السقف وزهور الربيع التي ملأت الردهة أعطت المكان إحساسًا رائعًا. كنتُ فخورًا بهذا الفندق وبما يمثله. كنتُ أشعر بالخير حيال ما صنعته هنا.

"حين تقوم بأفضل ما لديك وتكرس نفسك للتميز، يساندك الكون ويضع الرياح تحت أجنحتك. فالكون عندما يرى إنسانًا يسعى لأهدافه ويحاول أن يصبح ما قدّر أن يكونه. هذا النوع من المجهود لا يمكن ألا تلحظه الأعين التي تتابع العالم. والآن تذكر، لن يعمل كل شيء بالطريقة

التي تريده أن يعمل بها. هناك ذكاء أكبر في اللعب له منطق لا يمكننا غالبًا أن نفهمه. لكنك إذا استمررت في قيامك بالأفضل وتركت الحياة تقوم بالباقي، متقبلًا أيًا ما يأتي، ومعرفة أنه لأجل صالحك الأكبر، فستتكشف أمامك الحياة بشكل رائع. أكثر مما تتوقع في الحقيقة".

وبينما كنتُ أترك هذه الفكرة تترسب داخلي، نزل جوليان على أرض الردهة وبدأ القيام ببعض الحركات الغريبة. بدأ فريق المكتب الأمامي في النظر، ثم قهقهوا بهدوء. انجذبت ماريا. جوليان يعيش في عالم خاص به، هذا أكيد. فهو لا يهتم إلا قليلاً بما يظنّه الآخرون به. بدا الأمر واضحًا أنه ما دام ما فعله يبدو صحيحًا بالنسبة له، فإنه سيفعله. لقد عاش حياته بمفاهيمه هو. وكما علمني، فإن هذا هو المعنى *الحقيقي* للنجاح.

"إنني أقوم بأحد تمارين اليوجا. اليوجا إحدى الممارسات التي أستخدمها كل يوم لأبقى نشطًا وفي حالة صحية جيدة. عليك أن تجربها. لقد كانت هناك لآلاف السنوات لسبب ما: إنها تفلح. ومادامت مادونا وستينج يؤكدان على فعاليتها، فلا يمكن أن تكون بهذا السوء، أليس كذلك؟" قالها مبتسمًا، بينما يركز في الوضع، تتموَّج عضلاته حين يتحرك بشكل رشيق.

وبعد أن بقيّ على الوضع للحظات قليلة، قام على قدميه وأكمل. "على كل حال، دعنا نعد للنقطة الخاصة بنا. يعاني العديد من الروحانيين في عالمنا اليوم من داء أسميه 'الفتور الروحاني'. سوف يطلبون منك ألا تسعى وراء أحلامك أو تكون لك طموحات كبيرة، قائلين إن هذا هو التحكم في مصيرك وإجبار النتائج. ويا له من هراء!" قال جوليان وهو يلوح بذراعيه في الهواء بشكل دراماتيكي.

"نعم، كما أتمنى أن أكون قد أوضحت بالكامل، فهؤلاء الذين

يعيشون حياتهم الفضلى -الحياة التي تريدها لهم أقدارهم- قد استطاعوا أن يحرزوا توازنًا دقيقًا بين إحداث الأشياء وتركها تحدث. أوافقك أن المحاولة بقوة شديدة ليست سوى دفع النهر وإجبار النتائج. غير أن الكثير من الباحثين الروحانيين يبدو أنهم يصدقون أن العمل بجهد، وكونك منظمًا وسعيك وراء ما تريد هو شيء غير صحي ولا روحاني. وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة. إن وضع الأهداف، وتنظيم وقتك جيدًا، وخوض المخاطر المحسوبة للحصول على ما تريد هو حقًا أمر *شديد الروحانية*، لأنك تطبّق المواهب والقوة التي تم غرسها داخلك من أجل قضية تستحق ذلك. هؤلاء الذين يؤمنون بغير هذا ربما يكونون على النقيض الآخر من مدمني العمل في هذا العالم، لكنّ رؤيتهم لا تزال متطرفة وغير متزنة. وبقدر ما أرى، فالتطرف في أي شكل غير صحي".

"هل يمكن أن يكون شخصًا روحانيًا *أكثر مما ينبغي*؟"

"بالطبع. إن بقاءك في غرفتك والتوسل أو الدعاء طوال اليوم من أجل أحلامك لن يمنحك ما تحلم به، والإيمان بخلاف ذلك ليس سوى نوع من التمني الخرافي، بل هو نوع من التوهم، في واقع الأمر. لقد أخبرتك أنني أؤمن أن هناك خطة مسبقة لمصائرنا - وقد كتبت قبل أن نولد في هذا العالم. قلتُ إن البشر قد أُعطوا حرية الإرادة لسبب: *أن يخطوا الخطوات المطلوبة من أجل تحقيق مصائرهم*. هناك العديد من الفراغات التي نملك القوة على ملئها والعديد من النقاط لنصلها. عليك أن تقوم بالجهد والتضحيات المطلوبة لكي تعيش حياة أحلامك. عليكَ أن تكون منظمًا وتختار الخيارات الحكيمة. للأفعال نتائج ولكي تحصد نتاج ما تحلم به، عليك أن تبذر البذور. هذا قانون آخر من قوانين الطبيعة. وإذا لم تصدقني، فتحدث فقط إلى أي فلاح ناجح.

سوف يخبرك أنه لا شيء ينمو في حقولهم دون جهد شديد وزرع متقن للبذور. ولو أنهم جلسوا فقط يتوسلون أو يدعون طوال اليوم لفقدوا مزارعهم".

قلتُ: "يبدو ذلك صحيحًا، لا يمكنني تخيل أن مصيري سيأتي يقرع الباب إن لم أقم بفعل أي شيء لأجذبه نحوي. إنني أوافقك يا جوليان، كلما فكرت في الأمر: لم نكن لنُعطى القوة الشخصية كآدميين، إن لم يكن لنا أن نستخدمها".

سرنا للخارج، إلى الهواء المنعش للصباح المبكر.

"بالضبط يا دار. كل هدية تم إعطاؤها لنا -وكل منا لديه هداياه- قد أعطيت لنا لسبب ما. ومع كل هدية تلقيناها تأتي مسئولية أن ننحتها ونطورها، ثم نطبّقها في العالم بطريقة تثري حياة أناس آخرين. وهؤلاء الذين لا يريدون وضع مقصد لكل ما يرغبون فيه من الحياة، ثم بجرأة يسعون له، هم بالطبع أناس لديهم الكثير من الخوف الذي يتحرك بداخلهم. إنهم خائفون. لديهم مواضيع تحتاج أن تُداوى وظلال تحتاج أن تُفحص".

"ما نوع المخاوف التي قد تعتمل في أذهانهم يا جوليان؟"

"الخوف من الفشل، الخوف من النجاح، الخوف من المجهول، الخوف من الرفض، الخوف من أن يكون المرء مختلفًا، الخوف من ألا يكون جيدًا بما يكفي... ويمكنني أن أكمل لك. أي شخص ليس منطلقًا في حياته، ولا يقوم بأفضل ما لديه، مكرسًا نفسه للعب أفضل لعبة له والعيش في مستوى من التميز هو، عند مستوى ما، شخص لديه مخاوف في داخله تحتاج أن تداوى. والآن، أريد أن أكون واضحًا: لا توجد روح على الأرض ليس لديها بعض الخوف الذي يحدّها من العيش بأصدق

إمكانياتها. ومرة أخرى، فالشرط الأساسي لكوننا بشرًا هو النقص والمزيد من هذا النقص يرتفع نتيجة للمخاوف التي نلتقطها بينما نترك كمال طبيعتنا الأصلية وننتقل خارجين إلى العالم".

"وإذن كل هذا الحديث من الكثير من الناس حول 'ترك النتائج جانبًا' و'التركيز على الحاضر' يوضح الخوف، أليس كذلك؟"

"ليس بالضبط يا دار. الفلسفة نظريًا صحيحة، لكن الطريقة التي ينفذونها بها خاطئة. تذكر العبارة التي كنتُ أرشدك بها: قم *بأفضل ما لديك واترك الحياة تقم بالباقي*. اسعَ وراء أحلامك. قم بكل ما تستطيع لتبني الحياة التي تريدها. زر الأماكن التي تخيفك ولا تخشَ من العظمة التي تعرف أنها في قلبك ومقدّر لك أن تقدمها للعالم. وبمجرد أن تقوم بكل شيء يمكنك، كإنسان، لجعل رغباتك تتحقق -وفقط في ذلك الوقت- دعك من النتائج. بعد أن قمتَ بدورك في المعادلة ببذل كل ما لديك، استرخِ وتقبّل أيًا مما يأتيك. لقد فعلت كل ما كنت تستطيعه. تصرفت بمسئولية وقمت بأفضل التحركات وأروع الاختيارات التي كان في إمكانك اختيارها. والآن دع القوة العليا تتحكم وترشدك إلى ما يجب أن تذهب إليه. سوف تأخذك الحياة إلى طريق مصيرك. وعند هذه النقطة تحتاج أن ترتاح وتسلّم فحسب".

"حسنًا، بدأت أدرك ذلك. إنها فكرة التوازن تلك مرة أخرى. عليّ أن أقوم بالجزء الخاص بي، ثم ستقوم القوة العظمى، التي هي في تحكم كامل في هذا الكون، بالباقي. ومهما أتى، عليّ أن أدرك أنه قد أتى لسبب ما".

"لقد أتى بالفعل من أجل صالحك الأفضل ولكي يأخذك إلى المكان الذي تحتاج أن تذهب إليه. *إذا كنتَ قد قمت بأفضل ما لديك وعشتَ في*

انسجام مع قوانين الطبيعة، فكل ما سيأتي سيكون شيئًا مباركًا، حتى لو بدا في البداية كمصيبة".

"أفكار قوية للغاية يا جوليان. شديدة القوة. إذن الذين يسمّون 'الروحانيون' وحديثهم عن عدم التمسك وعيش الحياة دون أهداف والاستسلام للحظة هم أناسٌ في الحقيقة خائفون. إنهم يعيشون صغارًا ويتركون مخاوفهم تدير حياتهم. إنهم خارج التوازن"، علّقتُ، محاولًا أن أركز وألخص ما علمني إياه جوليان للتو.

"بلى. بالنسبة للعديد منهم، روحانيتهم ليست أكثر من قناع يرتدونه ليداروا الأطفال الصغار الخائفين في داخلهم والذين يديرون العرض. إنهم خائفون من أن يفشلوا أو ألا يكونوا جيدين بما يكفي أو أن يكون الطريق شاقًا. لذا يصنعون أعذارًا ليعفوا أنفسهم من أية مسئولية. يحكمون حياتهم بمواقع الكواكب أو ببعض ما يقوله المنجمون عن مصيرهم. لا تخطئ فهمي يا دار، فقد تعلمتُ في الهند أن علم النجوم هو علم مدهش يمكن أن يُعتمد عليه للغاية. فقد تم استخدامه لآلاف السنين. لكن كل الأمر حقيقة يدور حول التوازن. أن أدير حياتي بالكامل به، يعني أن ألعب دور الضحية. أن أعلّق حالتي النفسية وبطئي وأخطائي على الطريقة التي تصطف بها الكواكب يعني أن أمنح القوة التي امتلكتها كإنسان للكواكب والقمر والنجوم. وهذه طريقة هزيلة للعيش. تذكر، *أنت لست مجرد مجموعة من الحالات المزاجية، بل أنت قوة أكبر منها بكثير. وأنت لست حالة نفسية بل قوة أكثر حكمة منها بكثير*".

"ما أسمعه منك يا جوليان هو أن الشخص الذي لا يقوم بما يقوم به ليسعى للحياة التي يريدها بأقصى قدرته الإنسانية، هو في الواقع شخص غير مسئول، لأنه لم يستخدم الهبات التي مُنحت له".

"كما ذكرت لك سابقًا في غرفة الملابس الليلة الماضية، 'السعادة حقنا منذ الميلاد' . لقد خُلقنا لنقوم بأشياء غير عادية بحياتنا وأن نقدم هبات غير عادية للعالم. قالها مارتن لوثر كينج بشكل رائع: 'كل شخص لديه القوة للعظمة، لا للشهرة بل للعظمة'. لكننا نخون أنفسنا. نعيش صغارًا وجبناء في حياتنا. ونقنع أنفسنا بالنظام الذي يؤمن به من حولنا ويعلموننا إياه ليحكم حياتنا التي تقول: 'لا تجرؤ'، 'لا تحلم'، 'لا تضئ بسطوع شديد وإلا ستظهر وتفشل'".

سِرنا بالخارج في ضوء الشمس ليوم ممتاز. كانت الفيراري تجتذب أنظار الكثير من الناس الذين يصلون إلى الفندق. كانت سيارة مدهشة وكانت تبدو نظيفة، رغم أنها كانت من طراز أقدم. وابتسم جوليان حين نظر إليها.

"هيا بنا يا صديقي، دعنا نذهب في نزهة".

لم أركب سيارة فيراري من قبل أبدًا وكنتُ سعيدًا بكل مظهر من الخبرة الحسية التي قدمتها لي. وبينما استرخيتُ في المقاعد السمراء، أغلقت عينيّ واستمتعتُ برائحة الجلد الإيطالي الثري. وحين أدار جوليان مفتاح التشغيل، زأر المحرك بادئًا الحياة. وضع السيارة بشكل أنيق في السرعة الأولى وأسرع بعيدًا عن الفندق بينما المشاهدون يحدقون في السيارة وفي راكبيْها المحظوظيْن.

مدّ جوليان يده وفتح مشغل الاسطوانات. وارتفع صوت أغنية "يوم جميل" لفرقة U2 من نظام الصوت الرائع بينما اتجهنا إلى شوارع المدينة التي لا تزال هادئة وإلى طريق سريع سيؤدي بنا إلى الريف.

قلتُ: "جوليان، لمن هذه السيارة على أية حال؟"

"هذا سر"، أجاب ببساطة بينما ينقر بأصابعه مع الموسيقى.

"هل يمكنك على الأقل أن تخبرني إلى أين نحن ذاهبون؟".

"كهوف كامدن"، أجاب جوليان وهو يضع قدمه على الدواسة. كانت عيناه مركزتين تمامًا على الطريق ووجهه يعكس السعادة التي يشعر بها. كان واضحًا أنه يحب قيادة هذه السيارة.

كنتُ قد سمعت عن كهوف كامدن. كانت سلسلة من الكهوف القديمة القريبة من الشلال الذي يستكشفه الجيولوجيون والمغامرون على حد سواء بصورة متكررة. لم تكن لديّ فكرة لماذا كان جوليان يأخذني إلى هناك. ولم أسأل.

"حان الوقت لأبدأ إرشادك إلى المراحل السبع لإيقاظ الذات يا دار. كانت الليلة الماضية ومبكرًا هذا الصبح كله مقدمة. أنت تعمل بشكل جميل - أعرف أنك سترى نتائج قوية خلال الأسابيع والشهور القادمة. يمكنني أن أعرف حين أنظر في عينيك أنك ملتزم. 'الالتزام' كلمة كبيرة ومهمة للغاية بالنسبة لي. وأن تعيش حياة ملتزمة هو مسعى مهم بشكل لا يصدق. إن 'الالتزام' و'المسئولية' هما كلمتان يجب أن تغمرا لُب كيانك. عليكَ أن تفكر في هاتين الكلمتين كثيرًا وتنذر نفسك للالتزام بهما".

"أعدك أن آخذ هذا الأمر بشكل جدي يا جوليان"، قلت بصدق.

"إن المراحل السبع لإيقاظ الذات هي عملية فعالة لكي تعيش حياتك الكبرى وتسير في الطريق إلى مصيرك. المراحل السبع هي مخطط أزرق تستخدمه لتوقظ أفضل ما بنفسك وإظهار الإمكانيات التي أعطتك إياها القوة التي أرسلتك إلى العالم. قليل من الناس في العالم اليوم يعون هذه المراحل السبع، لكن ذلك سيتغير قريبًا"، قال جوليان في جو من الغموض. "تعكس المراحل السبع الطريق الذي يحتاج كل باحث أن

يسافر فيه لكي يعود إلى طبيعته الأصلية - حالة العقل والجسد والروح التي مروا بها أول مرة حين كانوا كاملين وأنقياء".

تساءلتُ بأمل: "وإذا ما مررت خلال المراحل السبع، فكيف سأبدو كشخص؟".

"إذا مررت خلال كل المراحل السبع يا صديقي، فسوف تصل إلى حالة عامة ما يشار إليها بأنك 'متنوّر'. مقدار ضئيل فقط من الناس شرفوا الكوكب قبلنا قد مروا بالطريق كله حتى نهاية هذه العملية، لكنّ ذلك أيضًا على وشك التغير. بمجرد أن يكتشف العالم عملية إيقاظ النفس هذه التي أنا على وشك مشاركتها، سيتغير العالم".

"هذا وعد غير معقول يا جوليان".

"أعرف أنه كذلك. أعرف أيضًا أنه بينما النظام الذي أنا على وشك مشاركتك إياه بسيط في الفهم، فإن التحدي يأتي في دمجه في حياتك. والآن أرجوك لا تخطئ فهمي - فأنا لا أقول إنه نظام يصعب اتباعه. الحقيقة أن بعض أجزائه سهلة بشكل لا يصدق. كل الأمر أنك ستحتاج أن تكرس نفسك لتعلم العملية وتبقى معها حتى تصبح طبيعة أصيلة فيك".

سألته: "حسنًا، إذن ما المراحل السبع لإيقاظ الذات؟".

"المرحلة الأولى هي المرحلة التي يقبع فيها معظم الناس على الكوكب حاليًا. إنها مرحلة عيش حياة غير واعية - كونك نائمًا على عجلة القيادة. هذه المرحلة تُعرف باسم 'عيش الكذبة'، لأن الناس على درجة البداية تلك للتطور الشخصي تصيدهم كذبة عن الطريقة التي يدور بها العالم وكيف يتواجدون داخله. والآن، أنا لا أحكم، بأي طريقة، على الناس الذين يقضون حياتهم بأكملها في هذه المرحلة. من أنا لأحكم على إنسان آخر؟ لكنني أقر حقيقة حين أخبرك أن هذا هو

المستوى الأدنى للوعي الذي يمكن للشخص أن يعمل خلاله، حين يقاس في مواجهة المراحل السبع كلها. هل ترى، هؤلاء الذين عند المرحلة الأولى بيننا ليس بينهم وبين الحقيقة أي ارتباط".

"ماذا تعني يا جوليان؟"

"حسنًا، خلال الأسابيع القادمة، سأشاركك العديد من الحقائق مثل كيف يعمل عالمنا هذا وماذا عليكَ أن تفعل لكي تجد النجاح الحقيقي فيه. أن تكون غير مدرك للحقائق فهذا يعني أنك تعيش في كذبة. أن تكون غير واع بما تدور حوله الحياة ولمَ نحن هنا فأنت بذلك تتعلق بكذبة. وللأسف، هذه هي حال الغالبية العظمى من الناس على الكوكب. مثلما أخبرتك الليلة الماضية، هذا يتغير بسرعة شديدة وستكون هناك نقلة كمّية في مستوى وعي معظم الناس قريبًا. هل شاهدت فيلم 'ذا ماتريكس'؟"، سألني جوليان.

أجبته: "نعم، فعلتُ. مؤثرات خاصة شديدة الروعة".

"دار، في هذا الفيلم ما هو أكثر بكثير من مؤثرات خاصة متقنة. هذا هو كل ما أخذه معظم الناس من الفيلم. بالنسبة لكثيرين، كان مجرد فيلم حركة آخر من أفلام هوليوود. لكنه بالنسبة للباحثين بيننا -بمعنى، لهؤلاء الذين يبحثون عن إجابات للأسئلة التي لدينا عن لماذا نحن هنا والطبيعة الحقيقية للعالم- كان 'ذا ماتريكس' تحفة فلسفية. إنه فيلم عميق للغاية. الحقيقة أنني سأقولها لك صراحة وأخبرك أن 'ذا ماتريكس' هو أكثر فيلم فلسفي صُنع على الإطلاق".

"جديًا؟" سألت، مندهشًا من تعبير جوليان.

"بالطبع. انظر، كما شرح مورفيس لنيو في الفيلم، عالمنا هذا بأكمله -ذلك الذي نراه بأعيننا على المستوى الحالي للإدراك- ليس أكثر من وهم. إنها كذبة نقولها ونقنع بها أنفسنا. والآن، في الفيلم، كل

شيء اعتقدت الشخصيات أنه العالم الحقيقي اتضح أنه هذيان من صنع كمبيوتر يعرف باسم "المصفوفة". هذا هو الخيال العلمي، الجزء الخاص بهوليوود في الفيلم. عالمنا هذا ليس بالطبع خيالًا من صنع الكمبيوتر. لكنّ ما تراه حاليًا كعالم حقيقي يا صديقي هو مجرد وهم".

"أعتقد أنني لم أفهم هذا يا جوليان. ما الذي تعنيه بالضبط بقولك إن العالم الذي أراه ليس هو ما أعتقد أنني أراه؟"

"حسنًا، إن الطريقة التي ترى بها العالم هي توظيف للطريقة التي تعلمتَ أن تراه بها. فمنذ الوقت الذي كنتَ فيه طفلًا صغيرًا، تدربتَ وتكيفتَ على أن تؤمن بأشياء محددة. مثلًا، طلبوا منكَ أن تتواءم مع الحشد وتتعامل مثل كل شخص آخر. علموك ألا تغني بصوت عال حين كنتَ سعيدًا وألا تحلم بشيء كبير جدًا حين كنتَ تشعر بالإلهام. تعلمتَ أن هؤلاء المختلفين لن يتم قبولهم وأن المطابقة ستؤدي إلى النجاح. علموك ألا تقول الحقيقة وألا تحب بشدة وإلا فسيتم استغلالك. علموك أن الممتلكات والقوة الخارجية سوف تجلب لك السعادة الأبدية".

"من علّمنا هذه المعتقدات؟"

"الآباء. معلمو المدرسة. الأصدقاء. التلفاز والإعلام".

"وما تعلمتُه غير صحيح؟"

"حسنًا، هناك أشياء تجري في العالم أكثر بكثير مما يدركه معظم الناس. أو دعني أخبرك بهذا بطريقة أفضل: أنت لستَ من تظن أنك هو حاليًا. لديك قوة داخلية أكبر بكثير مما يمكنك تخيله في أكثر أحلامك جموحًا. وأنت مقدّر لك أشياء عظيمة. وكثير مما تعلمت أن تؤمن به عن عالمنا الكبير الجميل هذا خاطئ تمامًا".

"مثل ماذا؟"

"أولًا، *نحن جميعًا متصلون على مستوى غير مرئي. نحن جميعًا*

إخوة وأخوات ننتمي لنفس العائلة. إنه مجرد وهم أننا منفصلون. أخبرنا الصوفيون والحكماء بهذا منذ آلاف السنين - أننا جميعًا مقطوعون من نفس القماش، وحين تجرح شخصًا آخر، فأنت تجرح نفسك أيضًا. هذا من الحقائق الأساسية للطبيعة، ورغم ذلك، فمع مستوى الإدراك المحدود المتاح للناس في المرحلة الأولى، معظم الناس لا يرونه. لذا نعيش كذبة. نتنافس ضد بعضنا البعض لما نعتقد أنه موارد نادرة. نخفق في مساندة بعضنا البعض. ندّخر وننتزع لأننا خائفون".

"خائفون؟"

"نعم، نخاف أن يربح آخر فنخسر نحن. نخاف ألا تكون هناك وفرة كافية ورفاهية في العالم للجميع. نخاف لو أننا ساعدنا شخصًا آخر بصدق، فسنخسر شيئًا، بدلًا من رؤية الحقيقة خلف هذه الكذبة، وهي أنه كلما ساعدنا الآخرين، غمر المزيد من الوفرة حياتنا. إحدى الحقائق الأبدية للكون يمكن تحديدها ببساطة: *حين تنتقل من الالتزام بالسعي للبقاء إلى الالتزام الصادق بخدمة الآخرين، فلن يكون بوسع حياتك إلا أن تتفجر بالنجاح*".

"جملة مؤثرة"، علقت.

"إذن المرحلة الأولى كلها عن خداع النفس الذي كنت أعطيك لمحات عنه منذ التقينا أول مرة. لقد ولدنا في كمال - شجعانًا، حكماء بلا حد، بإمكانيات غير محدودة، وفي حالة من الحُب النقي. وبخوفنا ألا نتواءم مع الحشد، نبدأ في نسيان طبيعتنا الأصلية ونتبني المعتقدات، والقيم والسلوكيات الخاصة بالعالم من حولنا. لكن انظر إلى الكراهية في العالم من حولنا. لقد فقد العالم طريقه وصار في أكثر مواقفه أسفًا منذ بدأ. الكثير من الخوف والكراهية على كوكبنا اليوم"، أشار جوليان ببعض الحزن. "يتطلب الأمر قوة كبيرة لكي تترك الحشد وتكون صادقًا

مع طبيعتك الأصلية. لكن هذا هو كل ما يتعلق بالقيادة - ترك الحشد والصدق مع من تكونه بالفعل. 'لن تجد الماس في المخازن، ولا أشجار الصندل في المجاديف، ولا الأسود في أسراب، ولا الحكماء في الزحام'، هكذا قال الصوفيّ كبير".

"لمَ قد يخدع أي شخص نفسه بوعي ويبدأ في عيش كذبة؟"

"سؤال ممتاز. أولًا دعني أخبرك بأنك حين تخدع نفسك، فإن الجزء الأعمق منك يعرف ما تقوم به في الواقع. كل منّا لديه شاهد -مكان عميق للمعرفة يسكن في اللُب الأصلي لنا- يشاهد كل ما نفعله. ومكان المعرفة هذا يعرف عامة باسم الضمير. حين لا نعيش بشكل حقيقي، يرى الشاهد ذلك. حين نغش أو نكذب بطرق أنانية، يرى الشاهد ذلك. حين نهين أنفسنا بالتعامل كصغار مع حياتنا ونرفض أن نعيش بالإمكانيات الرائعة التي غُرست داخلنا، يرى الشاهد ذلك. حين نخفق في سكب الحب في العالم، يرى الشاهد ذلك. كل هذا الخداع لأنفسنا الحقيقية يؤدي بنا إلى الموت المؤلم والبطيء. لا يستطيع الشاهد أن يصدق ما نفعله بأنفسنا. لا يمكنه أن يصدق أننا غير متطابقين لهذه الدرجة. لا يمكنه أن يحتمل مشاهدة هذه الأنواع من الجرائم ضد إنسانيتنا. لذا يبدأ في الانسحاب والانغلاق. ونبدأ نحن كأشخاص في فقد احترامنا لأنفسنا. ويهبط تقديرنا لذاتنا. نبدأ في الشعور بالتعاسة والغضب وسرعة الضيق. وعلى المستوى الصحي، نفقد الطاقة والحيوية وربما نغدو مرضى. نحن نفعل كل ذلك بأنفسنا لكنه يحدث عامة على المستوى غير الواعي. نحن نقتنع بهذه الكذبة فحسب بخصوص من علينا أن نكون وكيف علينا أن نعيش. وينتهي الأمر بقتلنا أنفسنا. ثم، وعلى فراش موتنا، نفهم أخيرًا أننا لم نعش الحياة التي كان مقدرًا لنا أن نعيشها. لكنه، عند ذلك الوقت، نكون قد تأخرنا كثيرًا".

ألححتُ: "إذن لمَ قد يفعل أحدهم ذلك بنفسه؟" .

"لأننا لا نعرف ما هو أفضل. يبدأ الأمر بأكمله حين نكون صغارًا. وكأطفال، ننظر لآبائنا ليعلمونا كيف يعمل العالم. نكون جوعى لحبّهم. ولذا نقوم بكل ما نحتاج لفعله لكي نصبح مثلهم، آملين أننا إذا فكرنا وشعرنا وفعلنا مثلهم، فإننا سنحوز على إعجابهم. وللأسف، بفعلنا ذلك نترك أنفسنا الحقيقية خلفنا".

"خداع النفس"، أشرتُ.

"بالضبط. إذًا إيقاظ أفضل ما بنفسك هو رحلة بالفعل من حيث أنت الآن -كراشد- إلى المكان الذي عرفتَه مرة - كطفل وليد. إنها رحلة العودة للبيت. إنها عودة إلى طبيعتك الأصلية. نحن بالفعل كل ما حلمنا دومًا بأن نكونه. كل الأمر أننا نسينا ذلك على طول الطريق. ولذلك السبب أعتقد أن فكرة تطوير الذات ليس لها معنى. فلا يوجد شخص واحد على الكوكب يحتاج أن يتطور - لا أحد يمكنه أن يتطور أكثر من الكمال، وأي إيحاء بأننا نحتاج لفعل ذلك يجعلنا نشعر بالذنب فقط لكوننا غير كافين. إن واجب كل إنسان ليس في تطوير الذات بل تذكير الذات. أن تذكّر نفسك هو أن تطالب بحالة كينونتك وبالقوة الأصلية التي فقدناها حين تركنا الحالة المثالية للأطفال المواليد وسِرنا إلى عالمنا المليء بالخوف، عالم أفسدنا طوال الطريق".

"و'عملية الإفساد' تلك، كما أسميتها، قد جعلت كلًا منّا يرى وهمًا. يتم تثبيت مصفاة بين حقيقة الحياة وإدراكنا البشري. هذه المصفاة أو البيئة الشخصية تتشكل من كل الكذبات التي تعلمناها. والعالم الذي نظن أننا نراه، إذا كنا نعيش حياتنا في المرحلة الأولى من العملية، هو في الواقع ليس أكثر من خيال. إنه نوع من الكذب بالفعل. ما نراه ليس

الحقيقة وإنما مركب من كافة الطرق التي دربنا من حولنا على أن نرى بها، حتى إذا كانوا قد فعلوا هذا بنية حسنة".

قلتُ: "تقريبًا كأننا مجموعة من فئران التجارب تم تكييفها لكي تجري على أداة تعذيب من أجل قطعة صغيرة من الجبن".

"أوافقك في ذلك. تذكر، نحن *نرى العالم ليس كما هو بالفعل وإنما كما نكون نحن*. نرى العالم خلال مصفاة إدراكنا الشخصي، والتي تتضمن كل العقائد والمخاوف والافتراضات والقيم التي أخذناها من آبائنا والمعلمين في وقت مبكر من حياتنا، والعالم بشكل أكبر، باذلين الجهد لكي نتواءم مع الحشد ونكون محبوبين".

"مدهش تمامًا يا جوليان. صعب التصديق في الواقع. لم أتوقف، ولو مرة لأفكر أن العالم الذي أراه بينما تمر أيامي فقط قد لا يعكس حقيقة ما يحدث بالفعل".

"منذ فترة، كنتُ أقوم بإرشاد شخص آخر، وكنّا نجلس في فصل حيث قدمت الدرس المناسب. سألني سؤالًا وأعطيته إجابتي برفق. وفي لحظتها، تغيرت لغة جسده وغضب. فالتنقيب فيما كان يؤمن به سببَ رد الفعل المعادي هذا، شرح لي أنه شعر أنني رفضته. وحقيقة الأمر أنني لم أفعل ذلك. وحين تعمقنا في مصدر عدم راحته، وجدنا أنه قد اختُرِقَ بعمق. كان والده شخصًا قاسيًا للغاية والذي جعل تلميذي يشعر كأنه مرفوض. ترسخت قناعة داخله تقول 'الناس ترفضني' وهذا النمط القديم ظل يكرر نفسه طوال حياته. ومعرفة ذلك كان شديد الأهمية لتلميذي. تذكر أن الوعي يسبق الاختيار والاختيار يسبق التغيير"، قال جوليان وهو يستدير من الطريق السريع إلى ممر مفرد في الطريق يقود إلى كهوف كامدن.

"ماذا يعني هذا؟"

"بمجرد أن تصبح مدركًا أن شيئًا ما غير صحيح في حياتك، تستطيع أن تقوم باختيارات جديدة. دعنا نقل، كمثال، إن لديك عقلية نادرة. تعتقد أنك أكثر شخص كرمًا في العالم لكن هذا ليس أكثر من إنكار. أنت لا تريد أن تنظر إلى حقيقة ما يجري معك، تحت السطح. حقيقة الأمر أنك شديد الأنانية وتحاول أنْ تبقي كل شيء في إمكانك لنفسك. كل من حولك يرون سلوكك الأناني. يمكنهم القول بأنك لا ترى العالم كمكان وفير، لذا تدّخر. لو أنهم قاموا ببعض العمل على أنفسهم وكان لديهم مستوى محدد من التطور الشخصي، فإنهم سيعرفون أنك تتصرف هكذا لأنك، على مستوى ما، خائف. خائف من فقد ما تملك، خائف من استغلالك، خائف من الفشل - والقضية الأعمق ليست مهمة الآن. لكنهم يستطيعون أن يروا أن الخوف يقود سلوكك ويعرفوا أنه ينبع من جرح منذ الطفولة - كما هو الحال مع كل المخاوف، لكل شخص على الكوكب. على كل حال، أنت تظن نفسك محبًا وكريمًا. والآن، دعنا نقل إن لديك الشجاعة أن تبدأ في سؤال الناس عن رأي صادق عن كيف يمكنك أن تتطور كإنسان. ودعنا نقل إن أحباءك شجعانٌ بشكل كاف ليتحدثوا بصدق. سيخبرونك بما يعرفونه طوال الطريق: أنت تتعامل من منظور الندرة ولا تعطي بقدر ما تعتقد دائمًا في نفسك. إذا أنصتَّ إليهم، فسوف يبني ذلك إدراكًا جديدًا داخلك. ستتحرك الآن الظلال التي كانت مرة داخل عالم اللاوعي إلى عالم الوعي حيث تستطيع أن تنظر إليها. *ملاحظة الذات هي أول خطوة للعظمة الشخصية*. يمكنك أن تبحث في من أين أتى هذا الإيمان وأين بدأت المخاوف أولًا. هذا الوعي الجديد بالتالي،

سيؤدي إلى خيارات جديدة، إذا كنتَ راغبًا في أخذها. يمكنك أن تصبح أكثر عطاءً وترفض أن تتعامل بطرقك القديمة الأنانية. هذه الخيارات الجديدة ستؤدي إلى تغيرات جديدة بالطريقة التي تفكر وتشعر وتتعامل بها. وسوف تتغير حياتك حينئذ. عملية صغيرة جميلة، أليس كذلك؟"

"ممتع للغاية يا جوليان. أعرف أننا اقتربنا من الكهوف. واو، هذه ولا شك جزء رائع من العالم"، قلت وأنا أنظر إلى المروج الخصبة الممتلئة بالزهور الصفراء. كان هناك نهر يمر بجانب الطريق وممشى من أشجار البلوط يحدد الطريق. "ماذا عن بقية المراحل السبع؟ المرحلة الأولى هي عندما يكون الناس غير واعين بحقائق الحياة ولديهم فكرة ضئيلة عن كيف يعمل العالم بالفعل. هم غافلون عن حقيقة أنهم يطلقون مخاوفهم الخاصة ومعتقداتهم الخاطئة وتحيزاتهم إلى العالم وبذلك يحصلون على رؤية منحرفة من الحقيقة. فهمتُ أن معظم الناس عند هذه المرحلة، وهو السبب في كون العالم بهذه الفوضوية التي هو عليها. إننا منفصلون عن طبيعتنا الأصلية. لقد أصبحنا أجزاء زائفة من أنفسنا الرائعة التي كانت لدينا يومًا. وخداع النفس ذاك قد أغلقنا ورفع من اشمئزازنا من أنفسنا. ما أعتقده هو أننا بينما نترك أنفسنا المحبة الشجاعة والرائعة ونحشو أنفسنا داخل قوالب تسمح لنا بالتوافق مع الحشد، نبدأ في كراهية أنفسنا على مستوي أعمق - وربما لا واع. لا عجب أن معظم الناس شديدو البؤس والغضب".

بدأ جوليان يطلق نفير السيارة. رفع إحدى قبضتيه إلى الهواء بينما أبقى على الأخرى فوق عجلة القيادة وبدأ يغني "إنه يوم جميل" من أعلى رئتيه. كان سعيدًا مرة أخرى بفهمي الحكمة والعملية التي

يشاركني إياها. كنتُ أعرف أنه سعيد لكونه مرشدًا لي وكنتُ أنا مبتهجًا لكوني تلميذه. ما كنتُ أتعلمه من جوليان لم يكن ليقدّر بثمن بالفعل. لو أن المزيد من الناس استطاعوا أن يستمعوا لما أستمع إليه، لأصبح عالمنا هذا مكانًا مختلفًا للغاية. كان سيصبح مكانًا ذا عدالة وأصالة وحب أكثر. في هذه اللحظة، التزمتُ ليس فقط بالتمكن من المعلومات التي أُنعم عليّ باستقبالها، بل كرستُ نفسي لنشرها للآخرين. لقد أصبح مصطلح "المبشّر" يؤخذ على دلالات سلبية هذه الأيام. وهو في الحقيقة يشير ببساطة إلى "ذلك الذي ينشر الأخبار الجيدة". سوف أنشر رسالة جوليان. سوف أصبح مبشرًا.

أوقف جوليان السيارة على منحدر أخضر وبدأنا السير على امتداد الطريق الذي سيأخذنا إلى الكهوف. خلع نعليه وسار حافيًا. لم يقل جوليان شيئًا، وإنما فضّل أن يدندن بأغنية بينما يشاهد هبات الطبيعة الرائعة التي كانت تحيط بنا. وحين اقتربنا من أحد الكهوف بدأ في التحدث.

"أولى المراحل السبع هي 'عيش الكذبة'. إن طرح السؤال الصحيح يستدعي الإجابة الصحيحة، أليس كذلك؟ تمنح الأسئلة وسائل قوية لتعزيز الوعي الذاتي. في الواقع، هذا يثير نقطة صغيرة جيدة: من الأسئلة الرائعة التي عليك أن تتفكر فيها عندما لا أكون معك: 'ما الأشياء التي لن أستطيع تحملها بعد الآن في حياتي؟' على كل حال، أنا أعرف أنك لن تخدع نفسك وتعيش حياة ليست لك بعد الآن. المرحلة الثانية من السبع مراحل تُعرف باسم 'نقطة الاختيار'. بمجرد أن تصبح واعيًا بأنك تتبع الحشد وتعيش حياة غير حقيقية، سيظهر أمامك خيار".

"هذا هو الجزء في ذا ماتريكس، حيث يمنح نيو الخيار بين ابتلاع الحبة الزرقاء أو الحبة الحمراء، صحيح؟ لقد بدأت أرى كم هذا

الفيلم عميقًا وذا معنى بالفعل يا جوليان. أحتاج أن أراه مرة أخرى"، وعدتُه.

"فكرة طيبة. وأنت على حق. بمجرد أن ترى أنك قد اقتنعت بالوهم الذي يريدك الحشد أن تصدق كونه حقيقة، سيكون لديك الخيار: أن تكمل حياتك كما كنتَ تعيش دائمًا -وبفعلك هذا أنت تسلّم نفسك لحياة من التعاسة والتواضع- أو لنقل أنك ستأخذ الحبة الحمراء وتسرع نحو حياتك الكبرى. ولا تنسَ أبدًا ما قاله الشاعر ديفيد وايت ذات مرة: 'ستفضل الروح أن تفشل في حياتها هي عن أن تنجح في حياة شخص آخر'. لا شيء أهم من أن تكون لديك الشجاعة لتعيش حياتك أنت. المرحلة الثالثة تسمى 'الوعي بالعجائب والاحتمالات'. عند هذه المرحلة، تبدأ في الرؤية بمجموعة جديدة من العيون. سترى من الحقيقة أكثر مما كنتَ قد رأيته من قبل. تبدأ في إدراك أن العالم يريدك أن تربح وأنه مكان ذو وفرة وفرص وسُلطة عظيمة. تبدأ كذلك ترى الناس، في حقيقتهم، ستراهم طيبين وأنه بسبب الجروح التي طرحتها الحياة عليهم، يفعلون أشياء سيئة. أنا لا أقول إننا لا نملك الخيار؛ بالطبع نفعل، وكل شخص يمكنه اختيار أن يكون طيبًا وجيدًا، بغض النظر عن قدر ما عانى. كل ما أقوله إنه، في هذه المرحلة، تبدأ في التفرقة بين من يكون الناس في الحقيقة وبين سلوكهم، والذي قد يظهرهم مؤذيين وخبيثين. تبدأ ترى أن الناس الذين يتصرفون كذلك يتألمون. فلا أحد لديه قلب كبير وسعيد يمكنه أبدًا أن يجرح شخصًا آخر. عند هذه النقطة على مدار عملية إيقاظ الذات، تصبح واعيًا بشكل تام كذلك بأفضل ما بنفسك. ترى كل خداع الذات بوضوح أكبر مما مضى وتعرف ما أنت مخلوق منه بالفعل. هذه مرحلة ملهمة بشكل لا يصدق في رحلة العودة للأصل".

"ما المرحلة الرابعة؟"

"حسنًا، بعد أن تركتَ مرحلة عيش الكذبة ومررتَ بنقطة الاختيار بأخذ القرار بإيقاظ أفضل ما بنفسك، وبعد أن أصبحت واعيًا بعالم ما وراء الوهم -عالم العجائب الاستثنائية والاحتمالات اللا محدودة- تصل إلى المرحلة الرابعة: 'وصايا الأساتذة'. عند هذه المرحلة يبدأ الباحث عادة في البحث عن معلمين مختلفين ويستكشف طرقًا عديدة مختلفة للتعلم. إنه تواق للإجابات والمداواة. وقد يكون وقتًا مشوشًا للغاية لأنه حين يظهر الكثير من المعرفة الجديدة للباحث في فترة قصيرة من الزمن، فمن العسير أن يستوعبها كلها. لكن من فضلك اعرف أن الارتباك دائمًا ما يرفع من الوضوح مع مرور الوقت وستأتي لحظة حيث كل التعلم الجديد يصبح متكاملًا بشكل رائع ضمن فهمك. هذه هي بداية الحكمة الحقيقية. بعد ذلك تأتي المرحلة الخامسة: 'التحول والميلاد الجديد'، والتي قد تكون المرحلة الأكثر تحديًا. .لكنها كذلك واحدة من أكثر ما لا يُنسى. عند هذه المرحلة يبدأ أفضل ما بنفسك في عرض نفسه بشكل يومي ويبدأ عالمك بأكمله في التغير. صحيح أن التغيير ليس سهلًا دائمًا، لكن الفوائد التي ستستقبلها عند هذه النقطة من العملية ستخدمك جيدًا لبقية حياتك. المرحلة السادسة هي 'الاختبار'. قبل أن يصل الباحث إلى كنزه، سيواجه اختبارًا. وهدف الاختبار ثنائي: أولًا التأكد من أنه قد تعلّم كل الدروس التي عليه أن يتعلمها طوال الطريق، وثانيًا رؤية إلى أي حد يرغب في جائزته. عند هذه المرحلة يستسلم معظم الناس. كثير من الناس يتراجعون عند هذه النقطة، في حين، للأسف، لو أنهم تحمّلوا المزيد قليلًا، لأصبحت هديتهم الكبرى متاحة لهم بالقرب منهم فقط. وأخيرًا، المرحلة السابعة هي 'اليقظة الكبرى للذات'. وللوصول إلى هذه النقطة -وكما قلت لك قليل من يصلون إليها- ستصل إلى حالة التنوّر.

وتصبح أنت كل هذه الأشياء التي تعكس طبيعتك الأصلية. تعود لأسلوبك الذي عرفتَه حين كنت متصلًا بقوة الطبيعة التي أرسلتك إلى العالم. تصبح شجاعًا، وبريئًا، وحكيمًا بشكل مطلق، وذا قدرات بلا حدود وحب نقي. وتصبح بلا ظلال - في كامل الضوء. تستطيع أن تصل لهذه المرحلة - إذا كنت راغبًا ومكرسًا نفسك. لكن لكي تصل لهذا المكان النهائي، يجب أن ترغب في الوصول إلى هناك أكثر مما ترغب في الحياة نفسها. تجعلني أفكر فيما كتبه شيلا جراهام ذات مرة: 'يمكنك أن تحصل على أي شيء إذا رغبتَ فيه بشدة كافية. عليكَ أن ترغب فيه بضخامة تتفجر خلال الجلد وتلحق بالطاقة التي صنعت العالم'".

مدحته: "كلمات جميلة".

"وما المكان الأفضل الذي قد يطمح أي إنسان في الوصول إليه أكثر من التنوير؟" سأل جوليان بينما ندخل كهفًا مظلمًا. "والآن عليّ أن أخبرك بهذا، إن مراحل إيقاظ الذات السبع ليست طلقة سحرية، وليست عملية إصلاح سريعة للتحول الشخصي. إنها تتطلب جهدًا وصبرًا ووقتًا لكي تحدث. طوال الأسابيع المقبلة، سوف آخذك خلال خبرات متنوعة لأجلب المراحل السبع للحياة من أجلك. إنني مرشدك ومن واجبي أن أريك عملية المراحل السبع. ولكن عليك أنت أن تعيشها خلال الأسابيع والشهور وحتى السنوات التي ستتبع زيارتي لك".

شعرتُ بمسحة من الحزن داخلي. كان جوليان قد دخل حياتي الليلة الماضية فقط وأن يتحدث مبكرًا هكذا عن رحيله كان أمرًا مزعجًا. خلال وقتنا القصير معًا، كان قد ملأ قلبي بالفعل بالإلهام الكبير وعلمني الكثير من الحكمة. كنتُ أعرف أنني حتى لو اخترت أن أتعامل فقط بقدر ضئيل من المعرفة التي منحني إياها، فإن حياتي بأكملها ستتخذ شكلًا مختلفًا للغاية.

ومرة أخرى أحسّ جوليان بمشاعري.

"صديقي، حتى لا تقلق، لدينا أشياء ضخمة لنفعلها سويًا، وسأكون بالقرب منك لفترة. وحين يحين الوقت الذي أنتهي فيه معك، لن تحتاج إليّ. سيكون لديك الكثير من المتعة مع نفسك"، قالها بضحكة قوية.

بعدها أخذ جوليان ذراعي وقادني برفق إلى الكهف المظلم. وبعد سير نحو دقيقة طلب مني أن أجلس على الأرض وأحدق في الجدار المواجه لي. "ابقَ مركزًا تمامًا على هذا الجدار يا دار. لا ترفع عينيك عنه. هل تعدني؟"

"أعدك"، أجبته.

وفجأة أضاء الكهف. لم تكن لديّ فكرة عما كان يجري خلفي لكنني كنت أستطيع سماع جوليان وهو يجر قدميه حولي. وبينما أحدق في الجدار، رأيت صورًا مختلفة تظهر على وجه الصخرة المواجه لي.

وبعد نحو عشر دقائق من مشاهدة الأشياء ترقص عبر جدار الكهف، سمعت جوليان يتحدث.

"إن ما تشاهده على جدار الكهف ليس إلا مجرد وهم. إنها كذبة. والآن حان الوقت لترى الحقيقة. هل أنت مستعد؟"

"نعم، مستعد"، قلتُ وأنا لا أزال مبقيًا عيني على ما يحدث أمامي.

"إذن استدر وانظر إلى ما يحدث بالفعل".

استدرتُ ورأيت أن جوليان قد أشعل لهبًا صغيرًا. كانت لديه كذلك، بين يديه، مجموعة من الأحجار الصغيرة التي كان يضعها أمام النار. هذه الأشياء أسقطت الصور التي كنتُ أراها على جدار الكهف أمامي.

"هل حدث أن قرأتَ كتاب 'الجمهورية' لأفلاطون يا دار؟" سأل جوليان.

"لا، لم أصل إليه من قبل".

"من المهم أن تقرأ الكتب العظيمة أولًا، تعرف ذلك. وإلا، ربما تجد فقط أن وقتك انتهى. على كل حال، هناك قسم من الكتاب، يجلس فيه زمرة من الناس في كهف، يشبه كثيرًا هذا الكهف. تشاهد الزمرة الصور الساقطة على الجدار، مثلما فعلتَ تمامًا. الأمر المحزن أنهم، طوال حياتهم، صدقوا أن ما كانوا يشاهدونه هو الحقيقة، ولم يدركوا أبدًا أنهم كانوا يشاهدون وهمًا فحسب. يومًا ما، أحد الناس بين الجمع تجرأ أن يكون مختلفًا. تجرأ أن يصبح باحثًا وبحث عن الحقيقة. حرر نفسه من الأرض وترك الزمرة وتشجع لكي يرى ما كان حوله، بدلًا من أن يستمر في التحديق في الصور الساقطة أمامه. وما رآه صدمه".

"رأى نارًا، ودعني أراهن. ورأى أن الصور التي على الجدار ليست سوى إسقاطات للأشياء التي وضعت أمام النار. توقف عن تصديق الكذبة التي طالما صدقها، ولأول مرة في حياته رأى الحقيقة".

"رائع"، قال جوليان، وهو يومئ برأسه برضىً كبير. "ذكرت ما حدث تمامًا. وهذا الإدراك الجديد غيّر حياته. والآن بما أنك قد استوعبت فكرتي، دعنا نخرج من هنا. المكان مروع قليلًا هنا لو أنك سألتني"، قال وهو يضحك. أطفأ جوليان النار وأخذنا نتعثر في سيرنا خارجين من الكهف، نحو النور.

قادني جوليان إلى طريق منحدر في منطقة مشجرة. أعادت إليّ رائحة الصنوبر والأرز ذكريات الطفولة عند التنزه بين الأشجار مع والدي. بعدها سمعتُ صوت الماء. وحين اقتربنا أكثر، رأيت شلالًا صغيرًا وفوقه قوس قزح.

"هذه علامة جيدة"، قال جوليان بسعادة ثم أمرني: "والآن، قف تحت الشلال".

"لا بد أنك تمزح!"

"لا. أريدك فقط أن تفعلها لعدة دقائق. سوف تغسلك وتؤدي دور المجاز لترك الشوائب التي جمعتها منذ تركتَ حالة الكمال التي كانت لديك مرة. قف تحت الشلال وأغلق عينيك. تخيل الماء يغسلك من معتقداتك المحدودة وافتراضاتك الخاطئة ومخاوفك وتحيزاتك".

فعلتُ ما طلب مني جوليان فعله ورغم أن الماء كان باردًا في البداية، كانت الخبرة مدهشة. شعرت أنني أخفُّ وأكثر سعادةً ونقاءً.

"أنت الآن تدرك الوهم الذي عشتَ في ظله حياتك"، قال جوليان حين خطوت في ضوء الشمس لكي أجف. "أنت الآن على استعداد لأن تتوقف عن الكذب على نفسك وتترك الحشد بحثًا عن الحقيقة. تخلَّ عن القيود التي تربطك بالأرض وقف من أجل حياتك الكبرى. وبفعلك هذا -بتركك الكذبة وعيشك حياتك التي خُلقتَ لها- ستجد شيئًا كلٌّ منّا يتوق إليه: الحرية. أنت الآن مستعد لترك المرحلة الأولى من المراحل السبع لإيقاظ الذات".

طلب مني جوليان بعدها أن أغلق عينيّ وأجلس على ضفة معشبة بالقرب من الشلال. "هذه هي كلمات الكاتب العظيم هيرمان هيس، وأنا أريدك أن تلتزم بها بصدق يا دار: إنها تقول ما قد تعلمتَه هذا الصباح". تحدثَ جوليان بصوت مرتفع، وكأنه يريد أن يعلن للطبيعة كلها حقيقة ما ينطق به:

"حان الوقت لتعود لعقلك. عليكَ أن تعيش وأن تتعلم أن تضحك. عليك أن تتعلم أن تستمع لموسيقى الحياة وأن توقّر الروح التي وراءها وأن تضحك على ضوضائها. وإذن ها أنت ذا. لن يُطلب منك شيء آخر".

الفصل الخامس

الباحث يكتشف الاختيار الأوحد الأكثر أهمية الذي يمكن للإنسان أن يتخذه

لا أعرفُ المزيد من الحقيقة المشجّعة أكثر من قدرة الإنسان على أن يرفع من حياته بمحاولة واعية. إن رسم لوحة معينة، أو نحت تمثال، أو صنع القليل من الأشياء الجميلة الأخرى هو شيء رائع. ولكن الأكثر روعة من ذلك هو نحت ورسم المناخ والبيئة التي ننظر من خلالها. نستطيع أن نفعل ذلك من الناحية الأخلاقية.

ـ هنري ديفيد ثورو

كنا نغادر المنطقة البرية حيث أكملت المرحلة الأولى من مراحل إيقاظ الذات السبع. وكان جوليان مرة أخرى على عجلة قيادة الفيراري الحمراء.

"كل باحث حقيقي على طريق اليقظة والإدراك الذاتي يصل إلى مكان حيث ستعرض عليه فرصة أخذ الخيار الذي سيغيّر حياته بشكل كبير للأبد. وأحيانًا ما تأتي نقطة التحول تلك خلال معاناة شديدة، مثل

فقد حبيب أو مرض أو أزمة مادية أو حادثة مأساوية. وفي أحيان أخرى، ستظهر ببساطة لأن الباحث مستعد ليدخل المستوى التالي من الحياة وقد قام بالعمل الداخلي المطلوب لجعل هذا شيئًا ممكنًا"، قالها جوليان وهو يأخذ استدارة حادة ليدخل أحد الطرق السريعة التي ستقودنا إلى وسط المدينة مرة أخرى. "إذا كنتَ قد تركت المرحلة الأولى من المراحل السبع لإيقاظ الذات بكونك مدركًا لخداع الذات الذي كنتَ متورطًا فيه، فلن يمكنك -كباحث عن الحقيقة ومستكشف لحياتك الكبرى- إلا أن تصل للمرحلة الثانية: نقطة الاختيار".

"وما أظنه يا جوليان أن الطريقة التي يظهر بها الباحث عند نقطة الاختيار تلك، بأساليب متعددة، تحدد مصيره. خذ قرارًا وستأخذ أحد هذه الطرق السريعة التي أخبرتني عنها سابقًا. خذ آخر وسوف تأخذ الطرق المتعرجة".

"نعم، هذا صحيح يا دار. القرار الصحيح الذي ستواجهه عند نقطة الاختيار يأتي إما بإظهار استعداد صادق للتقدم بثقة على الطريق الواعي لحياتك الحقيقية وإما بالتراجع إلى الحياة التي كنتَ تعيشها من قبل، غودة إلى النوم المستيقظ الذي عرفته ذات مرة. وبالطبع، *تقدم لك نقطة الاختيار فرصة أن تختار حياتك الكبرى أو أن تبقى صغيرًا وتظل ضمن قطيع اللاموس، تتبع من حولك بلا وعي بينما كل منهم يسقط بدوره من فوق الجرف. سوف أخبرك شيئًا واحدًا من خبرتي الشخصية: إذا لم تقم بأعلى وأنبل الاختياريَن اللذين يعرضان عليكَ عند نقطة الاختيار، فسوف تضع نفسك في حياة من الندم العميق والحسرة التامة عندما تصل إلى النهاية.* لا شيء يدمر القلب مثل

معرفة أنه كانت لديك الفرصة لتظهر إمكانياتك الرائعة التي قدّرت لك وأنك رفضت تلبية الدعوة. *إن رفضك قبول الدعوة لأفضل حياة لك هو عدم رضا عن القوة التي خلقتك*"، قال جوليان، بشدة أكبر من المألوف. وفجأة، تراجع عن الطريق السريع إلى طريق جانبي يؤدي إلى مستشفى خاصة صغيرة تقع في ضاحية من المدينة.

"لمَ نحن ذاهبون إلى هنا يا جوليان؟" سألته، وأنا مرتبك بعض الشيء. إرشاد جوليان لم يتوقف أبدًا عن كونه مليئًا بالمغامرة والتشويق.

"سوف ترى"، جاءت إجابته.

وحين سرنا خلال منطقة الاستقبال الرئيسية للمشفى، أسرعت ممرضتان جذابتان لتحية جوليان. قالت إحداهما بغزل: "أهلًا حبيبي، لطيف منك أن تتوقف لتلقي التحية". ابتسمت الأخرى وهي تعاكسه قائلة: "مرحبًا، جوليان، هل قررت أخيرًا أن تجري ذلك الفحص الطبي؟" انفجرت الاثنتان في الضحك ومنحتا مرشدي النادر عناقًا دافئًا. قالت الأولى: "جديًا يا جوليان، رائع أن نراك مرة أخرى. هيا لأعلى، إنهم في انتظارك".

سأل جوليان: "هل يمكنكم أن تهتموا بصديقي للحظة أيتها السيدات؟. أحتاج أن أدخل متجر الهدايا لدقيقة".

وحينما ذهب جوليان ليقضي مهمته، حاولتُ أن أعرف ما يحدث. كنتُ أحتاج بعض الإجابات.

"كيف تعرف كلتاكما جوليان؟" سألتُ.

قالت إحداهما: "أوه، إنه يأتي هنا كل يوم تقريبًا، إنه أفضل المتطوعين لدينا". تدخلتْ الأخرى: "الجميع يحب جوليان. دخل هذا المكان يومًا، منذ عدة أسابيع مضت فحسب في واقع الأمر، وقال إنه يرغب في المساعدة. وبشكل محدد، طلب أن يتم وضعه في عنبر الحالات

المستعصية. لا زلت أذكر قوله شيئًا عن 'حاجته لأن يكون أداة للخدمة وإضافة القيمة للبشر'. جوليان شخص مثالي بالطبع، تعرف ذلك؟"

"أعرف"، أجبت بإيماءة.

عاد جوليان بباقة زهور ضخمة بين ذراعيه. "هيا بنا يا دار، هناك مجموعة خاصة من الناس أريد أن أعرّفك عليهم".

سرنا في رواق طويل بجدران بيضاء معقمة. كانت رائحة المكان بأكمله نشادر وقهوة. وفي نهاية الردهة كانت هناك حجرة جلوس. وحين دخلناها، وقف الأشخاص الستة الذين كانوا جالسين فيها فورًا ليرحبوا بجوليان بالابتسامات والعناق. كان من الواضح أنهم يكنون لجوليان مكانة عالية جدًا. كان من الواضح كذلك أن جوليان قد تأثر بظهور عاطفتهم القوية. فقد تبينتُ دموعًا في عينيه. وقد رأى ما رأيت.

همس في أذني: "ما من عيب في أن يبكي الرجل، لا تنسَ ذلك أبدًا. إن الشخص الذي ينفصل عن مشاعره يفتقد الحساسية والتعاطف. هؤلاء الأشخاص هم النوع الذي يبدأ الحروب ويقترف الجرائم وينشر الكراهية. لا تتجنب مشاعرك يا دار. إنها جزء مهم من الشخص الأصلي الذي هو أنت".

والآن تحدث جوليان بصوت عال للمجموعة المحشودة أمامنا. وقال "هؤلاء النساء والرجال هم أصدقائي... سيداتي وسادتي، أرجو أن تحيوا صديقي دار". صافحني كل منهم بدفء. وطلبَ منّي الجلوس، وهو ما فعلته.

"كنا في انتظارك يا جوليان. هل هذا هو الرجل الذي طلبتَ مني التحدث إليه؟" سأل رجل بدا في الثمانينيات. كان يرتدي بذلة ذات مربعات مع قميص أبيض وربطة عنق. كان شعره الرمادي الرقيق

مصففًا إلى الوراء بعناية.

"نعم يا بيتر، هذا هو الرجل. لمَ لا تشاركه ما شاركتني إياه منذ أسبوع مضى أو ما شابه، حين أتيتُ لزيارتك. كانت كلماتك شديدة التأثير. وأردتُه أن يسمعها منك".

قال الرجل العجوز: "حسنًا، أخبرتُ صديقنا الشاب جوليان هنا للتو بأنني عند نهاية حياتي، وندمي الأعظم ليس في تركي الموسيقى التي بداخلي تغنّي. أعرف، عميقًا داخل قلبي، أنه كانت هناك أغنية بداخلي يجب التعبير عنها"، قال بشكل شعريّ. "كانت هناك مهمة ابتكارية مخبأة داخلي تدعو لأن تتحرر وتُدرَك. ما أعنيه هو أن جميعنا لدينا أشياء معينة يجب أن نفعلها بحياتنا. كل واحد منّا مخلوق متميز، وُهِب قدرات إعجازية وإمكانيات لا تُصدق".

"اعتاد بيتر هنا أن يكون متحدثًا تحفيزيًا قبل أن ينتهي به الأمر في هذا المكان"، مازحته إحدى النساء. وبدأت المجموعة بأكملها في الضحك. يُقال إن الضحك هو أقصر مسافة بين قلوب البشر. حين نضحك معًا، تسقط كل التراكيب الاجتماعية التي تبقينا بعيدين على جانب الطريق ونرتبط كبشر حقيقيين. إنه أمر جميل أن نلاحظ ذلك. عند هذه اللحظة أدركتُ حقيقة شيء أخبرني به جوليان: إننا جميعًا إخوة وأخوات من الأسرة نفسها. جميعنا مرتبطون على مستوى غير مرئي وصوت من المعرفة داخلي أخبرني أن تجاهل هذه الحقيقة يعني أن نتقنع بالوهم الذي يرعاه الحشد. لسنا منفصلين، أدركتُ ذلك. نحن مرتبطون بروابط غير مرئية. واكتشفتُ منذ ذاك الحين أننا يمكننا الارتباط ببعضنا البعض خلال مشاركتنا للألم أكثر مما يحدث خلال الضحك. لو أن كل شخص في العالم جاء لنصف ساعة وشارك

كل المعاناة الشخصية التي تحملها طوال طريق حياته، لأصبحنا جميعًا أصدقاء. لن يكون هناك أعداء. ولن تكون هناك حروب.

أكمل الرجل المسنّ: "وكما كنتُ أقول، إن ندمي الأعظم لم يكن في إنصاتي إلى نفسي. كنتُ أعرف أنه يمكنني القيام بأشياء عظيمة في حياتي. لقد كنتُ كاتبًا جيدًا للغاية حين كنتُ أصغر سنًا، حتى إنني قد ربحت بعض الجوائز الأدبية خلال أيام الجامعة. لكنّ أمي كانت تريدني أن أصبح محاسبًا. كانت تقول إنني لو لم أنصت إليها، فإن ذلك سيكون خطأ حياتي. في الواقع لقد كان خطأ حياتي في أنني لم أكن صادقًا مع نفسي ولم أقم بما كنتُ أشعر أن عليّ القيام به. والآن -وربما عليك أن تعرف أن الأطباء الموجودين هنا يخبرونني أنه ربما قد تبقى لي أسابيع قليلة فقط- فإنني شديد الحزن للخيار الذي أخذته. أشعر أنني قد ضيّعتُ حياتي بأكملها. ضاعت سبعة وثمانون سنة في لمحة عين. يبدو الأمر وكأنني قد تزوجت عروسي مارجريت البارحة فقط. يبدو وكأن البارحة فقط شاهدت أبنائي وهم يولدون. والآن مارجريت توفيت وأبنائي رحلوا ليعيشوا حياتهم الخاصة. سوف تمر حياتك أسرع مما قد تتخيل أبدًا. سوف تنسل الأيام إلى أسابيع، والأسابيع إلى شهور، والشهور إلى سنين. إنك تبدو شابًا للغاية الآن، لكن احذر - سوف تبدو مثلي قبل أن تدرك ذلك. هكذا هي الحياة. لذا عِش الحياة التي عليكَ أن تعيشها. إن حياتك أهم بكثير من أن تنتظر حتى تصبح على وشك الموت لكي تستيقظ. لقد عشت حياة أمي حين كان عليّ أن أكون حكيمًا لأعيش حياتي أنا. أمضيتُ حياتي محاولًا أن أرضي الآخرين. ولكن أين هم الآن؟ كل هؤلاء الأشخاص الذين عشت لكي أرضيهم لم يعودوا حولي. *على فراش موتك، سيكون الشخص الوحيد الذي عليك أن تجيبه هو الشخص الذي تنظر إليه كل يوم في المرآة كل صباح*. من الأفضل أن

تكون *صادقًا* معه. لقد ارتكبتُ 'جريمة خداع الذات' لكي أستخدم عبارة جوليان. وهذا هو بالفعل ما سيقتلني، ليس السرطان".

سقطت الحجرة في صمت تام. نظر أصدقاء بيتر لأسفل، وبدا أن كلًا منهم يشعر بالحزن ليس فقط لسماع قصة الندم العميق لرجل آخر في الحياة، وإنما لتذكّرهم أنه لن يعود بينهم بعد قليل. يا لها من حياة هشة. لم أعرف ذلك بصدق إلا الآن. إنها كنز لا يقدر بثمن منحت لنا لنحميها ونستخدمها لأقصى ما نستطيع. وكونها لن تعود مرة أخرى هو ما يجعلها مقدسة للغاية. ومع ذلك، فمعظم الناس الذين يعيشون بين الحشد لن يضغطوا زر التوقف المؤقت في حياتهم ويتوقفوا ليفكروا لستّين ثانية فقط في 'لمَ هم هنا وما الذي عليهم أن يفعلوه'.

بعد أن تركنا كهوف كامدن، شاركني جوليان قصة قصيرة. التقى حكيم عاقل بشحاذ في الشارع ذات يوم. أوقف الشحاذ الحكيم، غير مدرك لمن كان يتحدث، وسأله ثلاثة أسئلة: لمَ أنت هنا؟ إلى أين أنت ذاهب؟ هل من سبب مهم لكونك ذاهبًا إلى هناك؟ نظر الحكيم إلى الشحاذ وسأله كم من المال جمع في يوم معين. وبسماعه الإجابة الأمينة التي أعطيت له، قال الحكيم: "أرجوك تعالَ واعمل معي. سأعطيك عشرة أضعاف المبلغ لو أنك فقط ستسألني كل يوم هذه الأسئلة الثلاثة قبل أن أقوم بتأملي مبكرًا كل صباح".

ومنذ ذلك الحين تعلمتُ أن التفكّر هو أصل الحكمة. علينا أن نخصص بعض الوقت يوميًا لنسأل أنفسنا لمَ نحن هنا، وكيف نعيش، وإذا ما كنا نستغل الهدايا التي وهبتها لنا الحياة لأقصى حد. علينا أن ننتبه للحياة. علينا أن نكون على اتصال مستمر بأحلامنا. هذا الكون الخاص بنا هو مكان ودود ولن نكون قادرين على أن نحلم بحلم دون أن

تكون لدينا القدرة المناسبة على إحياء هذا الحلم. "يريدنا العالم أن نربح"، كثيرًا ما يقول جوليان ذلك. "نحتاج فقط أن نخرج عن طريقتنا الخاصة".

لمستنى ملاحظات بيتر للغاية. وكنت أعرف أن هذا هو ما كان يرغب جوليان في حدوثه. كنت أحتاج أن أتخذ بعض القرارات. كنت أحتاج أن أقف وقفة من أجل حياتي العظمى، لمرة واحدة.

أمضينا نحو نصف ساعة في المشفى، نشرب شاي الأعشاب ونتشارك القصص مع الأشخاص الرائعين الذين صادقهم جوليان. قضى جوليان كذلك بضع لحظات يرتب الزهور المنعشة في الحجرة لهم. لقد كان رجلًا ذا عاطفة وحساسية استثنائية. شكرناهم لضيافتهم ثم سارت المجموعة مع جوليان ومعي للخارج حتى السيارة الفيراري. الجميع كان يحب جوليان بالفعل. والجميع كان معجبًا بهذه السيارة.

"وإذن حين تكمل على طول هذا الطريق إلى حياتك الأصلية - وحين تترك الحشد وتبدأ العيش بقيمك أنت ومعتقداتك ورغبات قلبك، فإنك، كباحث، ستصل بلا شك إلى نقطة الاختيار. وكيفما تتجاوب عند مفترق الطرق هذا سيصنع الفرق من حيث كيف ستكون بقية حياتك"، لخص لي جوليان بينما استدرنا خارجين من منطقة الانتظار الخاصة بالمشفى والكثير من أصدقائي الجدد يلوّحون لنا بالسلام. "لا تنسَ ما كتبه هاريت بيتشر ستو ذات مرة: 'إن أكثر الدموع مرارة تراق على القبور للكلمات التي لم تُقل والأفعال التي لم تُفعل'. فلتصبح شخصًا ذا أفعال، إحدى هذه الأرواح التي لا تقهر وتخرج لتصيد حياتها العظمى. قم بالرائع الذي تعرف كيف تفعله. ثم دعك من كل شيء وتقبّل ما يأتيك أيًا كان بقلب سعيد وثقة تامة في أن هذا هو ما أرادته لك الحياة".

"فهمت ذلك يا معلّمي. صحيح، لم تخبرني بعد لمن هذه السيارة. إنها ليست لك، أليس كذلك؟"

"لا، ليست لي. إنني أسافر خفيفًا هذه الأيام لدرجة لا تسمح لي بتملك شيئًا كهذا. أنا رجل شديد البساطة. لكنها كانت لي"، أقر جوليان. "كانت هذه سيارتي الفيراري القديمة".

اندهشت "حقًا؟ ... حين كنتُ صغيرًا، اعتاد والدي أن يأخذني في نزهات في جوارك. واعتدتُ أن أحدق في هذه السيارة طوال الوقت. أنا أحب هذه الجميلة يا رجل".

أجاب جوليان: "أعرف ذلك، كنت ألحظك أحيانًا وأنت تنظر إليها"، قال بابتسامة.

"حقًا؟"

"بالطبع. اشترى منّي السيارة عميل صناعي، قبل أن أسافر للهند مباشرة. قال إنه يمكنني أن أعيد شراءها منه وقتما رغبت في ذلك - بلا أسئلة. قال أيضًا إنه يمكنني أن أقودها وقتما أعود إلى المدينة. لقد كان شديد الكرم معي، بطرق عديدة. لقد أعارني إياها بينما أنا هنا".

قُدنا في صمت لوقت طويل. وحين دخلنا طريق الفندق، قاد جوليان السيارة إلى مكان التوقف. ابتسم خادم الفندق لكلينا وأشار لي بأن كل شيء على ما يرام. بدا متأثرًا بقدر كبير.

افتح مقصورة السيارة يا دار - هناك شيء لك فيها. أريدك أن ترى الهدية بعد أن أتركك، وهو ما سيكون، للأسف، خلال دقائق قليلة. لديّ موعد تدليك محدد وأنا لا أحب أبدًا أن أتأخر عن مواعيد جلسات التدليك. إنها هدية منتظمة أمنحها لنفسي".

أجبته: "لم أخمّن أبدًا أنك قد تكون هاويًا كبيرًا للتدليك لهذا الحد".

"ولمَ لا يا دار؟ العلاج التدليكي هو طريقة رائعة لتعزيز الحيوية والتخلص من السموم ورفع مستوى الصحة العامة. لديّ سلسلة كاملة مما أدعوه 'أبنية النجاح'، وهي ممارسات أضعها خلال أسبوعي وأعتمد عليها لبقائي في صحة وسعادة وسلام عميق. التمارين اليومية، ونظام غذائي ممتاز، والتأمل، ووقت أقضيه في الطبيعة وجلسة تدليك كل سبعة أيام هي أشياء أقوم بها لنفسي لكي أعيش بصحة جيدة وأكون قادرًا على العمل الذي دُعيتُ للقيام به. لديّ مهمة في حياتي هذه وأنا أنتوي القيام بها. إن جلسة التدليك الأسبوعية قد تبدو غالية لبعض الناس لكنها بالنسبة لي استثمار، وليست إنفاقًا. إنها استثمار جيد للمال. لن أكون ذا قيمة لأي شخص لو أنني مستلق في حجرة بالمشفى. دعني أقل إنني فقط أرى جلسات التدليك هذه كنفقة القيام بالعمل".

"طريقة ممتعة في رؤية الأمر يا جوليان".

"لقد كان اليوم كبيرًا لك يا دار. وقد زرعتُ بعض البذور التي سوف تزدهر لتصبح أفكارًا رائعة مع الوقت. ثق بي في تلك - لقد حصلتَ على بعض الحصص التعليمية الكبيرة اليوم".

"إنني شديد الامتنان لقضائي هذا اليوم معك يا جوليان. لقد شاركتني بعض الدروس شديدة العمق. أعرف ذلك. والطريقة التي شاركتني إياها جعلتها لا تُنسى. لم تكن لديّ فكرة أن التعلم قد يكون بهذا القدر المتعة والتذكر وإثارة المشاعر".

"يجب أن يكون التعلم ممتعًا وسهل التذكر ومثيرًا للمشاعر. التعلم من الكتب، بشكل عقلاني، شيء عظيم. لكن التعلم بطريقة تجعلك تشارك على المستوى *الشعوري* هو أكثر تأثيرًا وبقاءً. ولهذا أحاول أن أنشئ خبرات تساعدك على تعلم ما تحتاج إليه. فالخبرة دائمًا هي أفضل معلم. على كل حال، أبليت بلاءً حسنًا اليوم".

فتحتُ مقصورة السيارة ووجدتُ لفافة الهدية مغلفة بداخلها. لقد

كان من الواضح من الأطراف غير المتساوية أن جوليان قد قام بالتغليف بنفسه، لكنني أعطيته الدرجة النهائية في المجهود وشدة الاهتمام.

"شكرًا جوليان. لا يمكنني تخيل ما بالداخل لكنني أعرف أنني سأقدره، كونه قد أتى منك".

"آه، بالمناسبة، هؤلاء من أجلك أيضًا"، قال وهو يناولني مفاتيح الفيراري.

"هل تريدني أن أوقف لك السيارة؟" سألت، راغبًا في مساعدة جوليان بأي طريقة أستطيعها.

توقف قليلاً ثم قال: "لا يا صديقي، السيارة لك".

ذهلت. هل كان جوليان بالفعل يعرض عليّ سيارته السابقة؟ كطفل، لم أكن أستطيع تخيل حلم يتحقق أفضل من هذا. وحتى الآن، كان امتلاك فيراري نموذجية في حالة رائعة فكرة ترعبني.

"لا أريد أن أصطنع نقطة الاختيار لك يا دار -ستقاطع واحدة الطريق الذي أنت عليه- رحلة الباحث- بشكل طبيعي. وبينما تكمل فتح عينيك في البحث عن الحقيقة، لا بد أن تقدم نقطة الاختيار نفسها لك. لكنني بالفعل أريد أن أقوم بأفضل ما أستطيع كي أجلب المراحل السبع لإيقاظ الذات للحياة من أجلك، ولذا حاولت أن أصنع بعض الخبرات البارزة التي ستعلمك جوهر كل مرحلة. إنني أمنحك الخيار الآن - وأنا شديد الجدية: يمكنك أن تحصل على هذه الفيراري إذا كنت تريدها. وعميلي السابق راض تمامًا عن ذلك. قال إن أيًا ما أريده هو ما يريده هو. لقد قمت ببعض الخدمات الكبيرة للغاية في الماضي. لكن سيكون هناك عائق واحد صغير".

"دعنا نسمعه"، قلتُ مبتسمًا، وخائفًا من الأسوأ.

"حسنًا، لو أنك اخترت أن تأخذ السيارة، فلن يمكنني بعد أن أكون مرشدك. إما هذه السيارة وإما تدريبي. لا زال يمكننا أن نكون أصدقاء،

لكن سيكون عليّ أن أنتقل إلى مهمتي التالية. هل ترى، هذا هو كل الأمر فيما يتعلق بنقطة الاختيار: نوع من التضحية. ما من شيء جيد يأتي دون نوع من التضحية. نقطة الاختيار هي عن ترك العالم الذي عرفتَه والمغامرة نحو الجبهات المجهولة من حياتك العليا. ولكي تصل إلى هذه الحياة العليا، عليك أن ترغب فيها أكثر من أي شيء آخر في العالم. عليك أن ترغب فيها أكثر حتى من هذه الفيراري. معظم الناس يظنون أن الأمر يتطلب شهورًا وسنين لكي يغيروا حياتهم. في الواقع، يمكنك أن تغير حياتك حرفيًا في لحظة، باتخاذك قرارًا وحيدًا بألا تعود أبدًا إلى الطريقة التي كنت تعيش بها - مهما كانت. وما يأخذ شهورًا وسنوات وأحيانًا عقودًا هو عملية *الصيانة* التي تتطلب التمسك بهذا القرار".

قلت: "تمييز جيد يا جوليان".

"وهكذا هو اختيارك يا صديقي: سيارة السباق النادرة الغريبة تلك أو فرصة أن تكون صادقًا مع نفسك. الأمر راجع إليك بالكامل".

أجبته بتنهيدة: "أوه يا جوليان، إنك تقتلني يا رجل"، أضفت ضاحكًا، "أنت تعرف ما هي إجابتي - أنا لست مغفلًا. سأختار التدريب. سأختار حياتي الكبرى!".

صفق جوليان بيديه، مبتهجًا بقراري. "في الواقع، هذا هو الاختيار الوحيد الذي يمكن اتخاذه عند نقطة الاختيار - أن تختار الوصول للنجوم والتقدم نحو الحياة التي عليك أن تعيشها. لكنني سأخبرك بشيء، بما أنك قد أصبحت رفيقًا جيدًا، سأمنحك عرضًا آخر. إذا لم تكن تمانع توصيل هذه السيارة إلى بيت صديقي، يمكنك أن تأخذها في دورة حول المدينة. متفقين؟"

"متفقين".

منحني جوليان عناقًا وخرج من السيارة. ثم أدخل رأسه مرة أخرى. "لنلتقِ هنا بعد سبعة أيام من الآن، في الخامسة صباحًا تمامًا

من فضلك. أريد أن أشرح لك المرحلة الثالثة من المراحل السبع لإيقاظ الذات. سوف تحب ما ستتعلمه. وحتى ذلك الحين، كن لطيفًا مع نفسك. إنك تمر خلال الكثير من التغييرات، لذا ضع وقتًا للكثير من أنشطة الاهتمام بالنفس. اذهب في تمشيات طويلة بين الأشجار. استمع إلى موسيقاك المفضلة. احصل على جلسة تدليك. وبالطبع، خصص وقتًا لتجربة الصمت والسكون والعزلة. إنك تؤدي بشكل رائع. أراك قريبًا يا صديقي".

وبهذه التعليمات، سار المحامي السابق اللامع والذي تحوّل إلى راهب عارف ومرشد حياة حكيم إلى فندق الكيو إلى أن اختفى عن النظر. بقيت في مقعد الركاب في الفيراري لوقت طويل، مفكرًا في اليوم وملتزمًا من أعمق مكان داخلي بالاستمرار في السير على الطريق الواعي للحياة. فتحت هدية جوليان. كانت نسخة جديدة من كتاب الجمهورية لأفلاطون. وحين قلبت صفحات الكتاب، رأيت كتابة جوليان على صفحتين فارغتين في المقدمة. وها هو ما كان فيها:

عزيزي دار،

أولًا، دعني أحيك على شجاعتك. يتطلب الأمر تصميمًا وقوة عظيمتين لترك القوى المغناطيسية للحشد وبدء الحياة بصدق. يستخدم مكوك الفضاء وقودًا خلال أول ثلاث دقائق بعد الإقلاع أكثر مما يحتاج إليه خلال بقية دورانه حول الأرض بأكملها لنفس هذا السبب: هناك قوة جذب تُبذل من قبل العالم تحتاج لطاقة عظيمة لمواجهتها. لكن عليك أن تواجهها يا صديقي لكي تتجنب حياة الندم والحزن.

مع مرور الوقت وأنت تبحث داخل الكتاب، ستكون قد اتخذت بالفعل أعظم قرارات حياتك: أن تسير على طريق مصيرك وتصل إلى حياتك

العظمى (كنتُ أعرف أنك ستأخذ هذا الخيار - فقد كان والدك رجلًا حكيمًا وعظيمًا، ولا تسقط الفاكهة أبدًا بعيدًا عن الشجرة). إنني أدعوك الآن لأن تقوم ببعض الخيارات اليومية التي ستساعدك على لعب لعبتك الكبرى كإنسان. هذه خمس ممارسات مهمة لتدمجها في حياتك خلال الأسابيع والشهور القادمة إذا كنت تريد بالفعل أن تعيش الحياة الجميلة التي عليكَ أن تعيشها. سوف أسمّيها التكريسات الخمسة اليومية:

١. كرس نفسك للاستيقاظ في الخامسة صباحًا كل صباح. فهؤلاء الذين يستيقظون مبكرًا يحصلون على الأفضل من الحياة.

٢. كرس نفسك لتخصيص أول ستين دقيقة من يومك كـ "ساعة مقدسة". هذه هي ساعتك المقدسة للقيام بالعمل الداخلي المطلوب ليساعدك على أن تكون الأفضل. استعمل هذه الفترة لتقرأ من الأدب الحكيم، للدعاء أو الصلاة، لتتفكر في حال حياتك وتقدم أحلامك في دفتر يومياتك أو للتفكير بعمق فيما يجب أن يحدث خلال الساعات القادمة من اليوم لكي تشعر بأنه يوم ناجح. إن قيامك بهذا يوميًا سيساعدك على التألق بسطوع في العالم وأن تعيش بأروع ما يمكنك.

٣. كرّس نفسك لإظهار مستوى من الاهتمام والعاطفة والشخصية أبعد مما يمكن لشخص أن يتخيله منك أبدًا. بفعلك هذا، ستقوم بدورك في المساعدة على بناء عالم جديد.

٤. كرّس نفسك لإظهار مستوى من التميز في العمل أعلى بكثير مما كان لأحد أن يتوقعه منك. وسوف تتدفق إليك الوفرة والإنجاز مرة أخرى.

٥. كرّس نفسك لأن تكون الشخص الأكثر محبة من بين جميع معارفك، وأن تفكر وتشعر وتتعامل وكأنك أحد أعظم الأشخاص حاليًا على الكوكب (لأنك كذلك). سوف لن تعود حياتك كما كانت وستبارك حياة العديد من الناس.

دعني أختم حديثي بأن أخبرك بأنني معجب بك، كإنسان. لقد مررتَ بالكثير وسوف تأتي أوقات أكثر إشراقًا بكثير - كما يحدث دائمًا. "في قلب كل شتاء يربض ربيع ينتفض بالحياة... ووراء ستائر كل ليل هناك فجر باسم ينتظر)"، هذا ما كتبه الشاعر الحكيم خليل جبران. وأنت تعرف أنه كان على حق.

المعجب.. جوليان

لم يكن لديّ شك أن أسعد أوقات حياتي كانت لا تزال أمامي. لم يكن لديّ شك أن الأفضل كان لا يزال سيأتي.

الفصل السادس

الباحث يسير نحو العجائب والاحتمالات

أنا دائمًا في هجوم مع الحياة، فأبحث بلا راحة عن كل متعة، أبحث عن الإجابات، أنتزع منها حتى الألم. أنا أفتش عن الحياة وأصيدها.

ـ ماريتا جولدن

العالم كتاب عظيم، ولا يقرأ منه الذين لا يتحركون من بيوتهم سوى صفحة واحدة.

ـ سانت أوجستين

بدأت تغييرات عميقة في الظهور منذ الأسبوع الذي التقيت فيه جوليان في الزيارة الماضية. بدأت بالشعور باختلاف، وأحسست أنني بدأت في عيش الحياة بمفاهيمي الخاصة وبإدراك أعظم بكثير مما كان من قبل. كنت أعير انتباهي للاختيارات التي أتخذها من حيث كيف أفكر وأشعر وأتعامل وأتأكد من أن كلًا من هؤلاء قد جاء من استقامة تامة وشرف أصيل. وهذا بالتالي، قادني للشعور بثقة أكبر وسلام داخلي أكبر مما كنت قد مررت به في حياتي بأكملها. وبطرق عديدة، شعرتُ بأنني غير قادر على التوقف. شعرت أنني على قيد الحياة. شعرت بسعادة غامرة.

شعرت بأنني قد أصبحت نسخة أفضل من نفسي. كنت أعرف أنني أفيق.

ومع ذلك، ولكي أكون صادقًا، بدأت الكثير من المخاوف في الظهور. فالباحث على الـ [illegible] لبيته أو لنفسه الحقيقية عليه دائمًا أن يواجه مخاوف لم يكن يعرف أبدًا أنها موجودة. فبينما تعيش حياة غير واعية، تعيش الكثير من مخاوفنا داخل عالم عقولنا اللاواعية. وبشكل واع، لا نعرف حتى أنها هناك. لكنها تؤثر على كل اختيار لنا وتدير حياتنا على المستوى غير المرئي. وحين نفيق ونختار أن نرى حياتنا خلال إطار أكثر صدقًا، تبدأ مخاوفنا في رؤية ضوء النهار- وعلينا أن نواجهها. وهذا عادة ما يكون شيئًا مخيفًا.

لكنني قد تعلمت أن مخاوفنا وحوش من قش. لو أننا تجاهلناها، ستظل في الدور السفلي، تدمّر حياتنا بسرية وتبقينا نركض بعيدًا عن أحلامنا. أما إن واجهناها، بدعوة هذه الوحوش المخيفة لفنجان من الشاي بالطابق الأعلى -إذا كان لنا أن نتعرف عليها- فسندرك أنها أصغر بكثير مما ظنناها في البداية. بالضبط كما يتلاشى الظل حين يُجلب إلى ضوء الشمس، فإن الخوف حين يُدعى إلى ضوء الوعي الآدمي يبدأ في التبخر. هل ترى، إن ما نقاومه يصر على البقاء. ولو رفضنا أن نقوم بالعمل الداخلي المطلوب لكي ننظر إليها ثم نعمل خلال مخاوفنا، فدائمًا ما ستديرنا هذه المخاوف. أما لو كانت لدينا الشجاعة لاكتشاف الذات والتعرف إلى مخاوفنا، فستتحرك من خلالنا، ثم تحرر خارجنا. إن ما نقاومه سيستمر بالتأكيد. وما نصادقه، سنتعداه بلا شك.

أخبرني جوليان ذات مرة عن قصة عن متسلق جبال وصل إلى ذروة القمة التي كان يتدرج عليها عند الظهر. أصبح التحدي بعدها أن يعود لأسفل، لمكان آمن، قبل أن تغرب الشمس. وحين بدأ يهبط،

لاحظ أن الشمس تنخفض أكثر وأكثر. أسرع من خطواته لكن حين مرت الساعات، تلاشى الضوء وانخفضت الشمس أكثر على الأفق. بدأ بالشعور بالخوف وبدأت الكثير من المخاوف في السطوع. شعر أنه لو لم ينزل إلى أسفل الجبل، فسوف يُختطف في منتصف الطريق ويوضع في مكان شديد الخطورة وربما يلقى حتفه حتى.

وأخيرًا، غربت الشمس ووجد المتسلق نفسه في ظلام تام. وبشكل يائس، تلمّس طريقه ليعثر على شيء يتمسك به، وأخيرًا تمسك بفرع كان قد نما في صدع في الواجهة الصخرية للجبل. قضى المتسلق الليل متعلقًا بهذا الفرع، متجمدًا من الخوف، مؤمنًا أنه لو تركه سيلقى حتفه على الصخور بأسفل. كان الليل كابوسًا بالنسبة له - رعب تام.

لكنّه بدأ في الضحك حين ألقت الأشعة الأولى للصباح ضوءها مرة أخرى. لم يستطع تصديق ما رآه. *كان خوفه مجرد وهم*. فتحته بست بوصات فقط كان هناك إفريز من الصخور. لم يستطع رؤيته في الظلام. لكن في الضوء، أدرك أن كل ما كان عليه أن يفعله هو أن يهبط ست بوصات لأسفل وكان سيتمكن من قضاء الليلة بأكملها في أمان وراحة نسبية. كانت مخاوفه بلا أساس. ورعبه لم يكن له نصيب من الحقيقة. والمخاوف، كما تعلمتُ، هي كذلك. إنها تبقينا صغارًا مقيدين، وتفسد حياتنا. ومع ذلك فكل خوف واحد منها يقيدنا في الحقيقة ليس إلا بعمق ست بوصات لا أكثر. لا تدع هذه المخاوف تتملكك. لا تدعها تفسد حياتك.

وصلتُ إلى فندق الكيو في الخامسة صباحًا تمامًا. لقد أصبح الاستيقاظ مبكرًا أيسر بكثير وكنت أستمتع بالساعات الإضافية التي منحها لي نظام الاستيقاظ مبكرًا. وكما اقترح جوليان، فسأستخدم وقت "المخيم الأساسي" هذا عند طرف اليوم الأول لأخطط وأتصور

وأتأمل وأقرأ من الكتب العظيمة للحكمة. جعلني هذا أتصل بالحقائق الأساسية التي تكمن في أساس كل حياة عظيمة. ألهمتني القراءة يوميًا أيضًا، مذكرة إياي بأنه لا توجد حياة مهما كانت رائعة تخلو من المشكلات والتحديات. والأشخاص الوحيدون الذين ليست لديهم أية مشكلات هم من في قبورهم. في الواقع، إن وجود المشكلات والتحديات هو ما يجعلنا أكبر وأقوى وأكثر حكمة. يمكننا أن نركض منها، ونصبح أكثر مرارة، ونشكو من صعوبة الدنيا. أو يمكننا أن نتقبّلها ونصبح أفضل. إننا نكون، بصورة عامة، عند أكبر آلامنا أكثر ارتباطًا بمن نكون حقيقة - ومن كان يجب أن نكونه. قال مارتن لوثر كينج ذات مرة: "المقياس الحقيقي للإنسان ليس أين يقف في لحظات الثقة، بل أين يقف في أوقات التحدي والجدل".

وحين سرت خلال أبواب الردهة، رأيت جوليان يتحدث مع فريق مكتب الاستقبال. كان يُضحكهم ويقهقه معهم. ومجرد سماعي إياه وهو يضحك جعلني أضحك. كانت ضحكته شديدة النقاء والصدق والطفولة. لم يحدث أن التقيت بأي شخص مثل جوليان. كان حقيقيًا للغاية ولم يكن له وجه كاذب. بدا، بالنسبة لي، نوعًا من الأشخاص الذي يريد كل منّا أن يصبح مثله: مرح، محب، حكيم - وشجاع.

كنتُ مندهشًا لرؤية جوليان مرتديًا ثوبه اليوم. توقعت منه أن يرتدي شيئًا غير رسمي مرة أخرى، لكنني كنت مبتهجًا بزيّه وبالفخامة التي كان يعكسها. كنت أشعر أن جوليان فخور بارتدائه هذا الزي التقليدي لحكماء السيفانا. كان لدي شعور كذلك أن ارتداءه الزي لا يذكره بطريقه الذي اختاره فحسب، بل كان يذكره بهم.

صرخ وسط الردهة: "صباح الخير يا صديقي، إنني أمزح فقط مع هؤلاء المستيقظين مبكرًا هنا. ناد مهم ذلك الذي ننتمي له جميعًا

كما تعرف. لا شيء مثل وضع نظام ما في حياتك لجعلها حياة كبيرة ورائعة".

"إنني أسمعك يا جوليان. لقد بدأت أعتاد على ذلك".

"حسنًا، رائع"، قال وهو يسير نحوي ويضع إحدى ذراعيه البرونزيتين حولي بعاطفة كبيرة. "لقد افتقدتك، هل تعرف ذلك؟"

"افتقدتك أيضًا يا جوليان. يا له من يوم ذلك الذي قضيناه معًا الأسبوع الماضي. لا أستطيع الانتظار لأرى ما تدور حوله جلسة إرشاد اليوم".

"ستعرف اليوم عن المر ة الثالثة من المراحل السبع لإيقاظ الذات يا دار. والمرحلة الثالثة هي عن الرؤية بمجموعة أعين جديدة. أنت ترى يا صديقي كيف أن معظم الناس على الكوكب اليوم يسيرون خلال الحياة عميانًا، يتبعون الحشد فقط. إنهم يعيشون كذبة. يع ـون أنهم يرون الحقيقة بينما يتقدمون خلال أيامهم، لكنهم مجرد جزء من ذلك الحشد الذي يشاهد صورًا زائفة تبدو حقيقية على جدار الكهف. إنهم يرون وهمًا. والحياة أكبر بكثير مما يدركونه. ليس عليهم أن يخدعوا أنفسهم بالحياة بمعتقدات وقيم وافتراضات يعرفون، عميقًا بداخلهم، أنها ليست مناسبة لهم. ليس عليهم أن يعيشوا كما يتوقع الآخرون منهم أن يعيشوا. ليس عليهم أن يدفنوا أحلامهم ويعيشوا حياة عادية ومملة تمامًا. يستطيعون أن يكسروا قيودهم، ويدافعوا عن حياتهم الكبرى، ويروا العالم خلال مجموعة جديدة من الأعين، أعين ترى الحقيقة بدلًا من تلك التي ترى الكذب".

"إذن، هل يمكنك أن تذكرني باسم المرحلة الثالثة يا جوليان؟" سألته ونحن نغادر الفندق وندخل سيارة أجرة.

"المرحلة الثالثة تُدعى 'الوعي بالعجائب والإمـ ات' حين يترك

الباحث على الطريق إلى البيت، إلى نفسه الحقيقية -إلى مصيره- كذبة المرحلة الأولى ويأخذ القرار بأن يلتزم بالسير نحو الحياة التي قدّرت له عند نقطة الاختيار في المرحلة الثانية، فسوف يصل إلى المرحلة الثالثة حتمًا.

هذا هو الوقت الذي يبدأ يرى فيه أن هناك عالمًا مختلفًا تمامًا لم يكن يعرف عنه شيئًا من قبل. وهو مكان رائع للإنسان كي يصل إليه. فكر فيه فقط. لقد ترك الباحث قيود الحشد وقام بأشياء بطريقة أكثر حقيقية بكثير. لم تعد هناك حدود. إنه جاهز للتعامل بإمكانية. يفكّر في القيم والمعتقدات والسلوكيات التي تبدو صحيحة له. إنه يتعمق كذلك داخل نفسه أكثر مما سبق على الإطلاق، ناظرًا إلى مخاوفه، وسلوكياته، وكل أساليب تواصله في حياته التي علمه إياها من حوله لكي يصدق أنها أساليب النجاح في العالم. إنه وقت الكثير من التغيير بالتأكيد. لكنه كذلك وقت للمتعة الكبيرة".

"كيف ذلك؟"

"لأنه يبدأ بالفعل في رؤية الحقيقة. يبدأ في إدراك أن عالمنا هذا معجزة. إنه كون رائع من العجائب والإمكانيات. نعم، عند هذه المرحلة، يترك الباحث 'المعلوم'، المكان الذي عاش حياته فيه حتى الآن، ويسير مباشرة نحو المجهول، مكان من الشك والغموض. وبالطبع، سوف يوقظ ذلك الخوف، لأن البشر دائمًا ما يشعرون بالخوف حين يتركون مساحات الراحة. لكن الاحتمالات لا تعيش إلا في عالم المجهول. لا شيء جديد يعيش في عالم المعلوم، لأنه لو حدث لما كان جديدًا، أليس كذلك؟" سأل جوليان.

"أعتقد أنني أفهمك"، أجبته، مبصرًا إلى أين يذهب جوليان بهذا

السطر من الاستنتاج. "أنت تقول إنه فقط في هذه الأماكن المجهولة الغريبة، تعيش أعلى احتمالات حياتي. صحيح؟"

"بالضبط. لقد كان كولومبس أول أوروبي يرى العالم الجديد لأنه كان مستعدًا لترك الأماكن التي عرفها وزار الأماكن التي أخافته - الجديدة، أراض مجهولة. كل الاكتشافات والاختراعات هي نتيجة لنساء ورجال تجرءوا ليجربوا المجهول. أنت في حاجة للسير نحو مخاوفك وأن تكون مستعدًا للذهاب إلى أماكن جديدة لكي تكبر كشخص وتكتشف الكنوز التي تنتظرك كإنسان. ومعنى أن تعيش في العالم الذي دائمًا ما عشتَ فيه هو أن تبقى صغيرًا وجبانًا".

"فهمت"، قلتُ برضى.

"إذن بينما يترك الباحث، على الطريق إلى التنور، الكذبة التي عاش في ظلها ويأخذ الخيار الرئيسي بالمطالبة بقوته الأصلية وحياته الحقيقية، تبدأ الطريقة التي يرى بها العالم في التغير. سوف يرى العالم بالفعل خلال عيون جديدة. سوف يرى بالفعل خبرة جديدة تمامًا من الحقيقة تبدأ في التكشف أمامه. سيسير داخل عالم جديد رائع مليء بالعجائب والخيارات الجديدة. أعرف أن ذلك قد بدأ بالفعل معك يا دار. وكلما أكملت السير على الطريق الواعي الذي اخترته، فالكثير من ذلك سيتكشف أمامك".

"هل يمكنك أن تعطيني بعض الأمثلة؟"

"بالطبع. بينما تتحرك داخل المرحلة الثالثة، سوف تبدأ في الشعور بمشاعر لم تشعر بها قط من قبل. أو، لنكن أكثر دقة، سوف تبدأ في الشعور بالمشاعر التي شعرتَ بها ذات مرة كطفل صغير، لكنها بعد ذلك قُمعتْ حين علمكَ العالم من حولك أنه ليس من اللطيف أن تغني بصوت عال أو أن تسطع بشكل بارق للغاية. سوف تبدأ في الشعور بنوع من

السعادة التي تجلب الدموع إلى عينيك ونوع من الامتنان لكونك تعيش يومًا تتخلله الشمس يجعل قلبك يخفق بقوة أكبر".

"رائع للغاية"، قلتُ بتأثر، تواقًا للمرور بالعجائب التي كان جوليان يتحدث عنها وعارفًا أن بعض هذه العجائب قد بدأت دخول حياتي منذ بدأ إرشاده.

قال جوليان: "ستجرب مشاعرك على مستوى جديد تمامًا - وعليّ أن أذكر أنك لن تبدأ بالشعور فقط بالمشاعر المرتفعة التي لم تشعر بها لسنوات عديدة، وإنما بعض المشاعر المنخفضة أيضًا. نعم، في هذه المرحلة ستشعر بسعادة وبهجة أكبر مما شعرتَ به لسنوات. لكنك ستكون قادرًا كذلك على الوصول إلى نبع ألمك. سوف تبدأ في معرفة نفسك بشكل أكثر عمقًا من ذي قبل، لأنك تغادر الكذبة التي كانت عليها حياتك ذات مرة وتصحو للحقيقة. والحقيقة هي أنك قد تبرأتَ من الكثير من حزنك. ومع تركك الشخص الذي كنتَه مرة -مع تركك طبيعتك الأصلية خلال عملية خداع الذات- فإن جزءًا منك قد مات. وقد جرحك ذلك. حين تركتَ نفسك الأصلية وسرتَ للخارج نحو عالمنا هذا، عالم ممتلئ بالخوف بدلًا من الحب، نما بداخلك حزن كبير. ليس ذلك فقط، لكن العالم يجرحك بطرق عديدة. الناس يسحقون أحلامك. الناس يقيدون روحك. الناس يخطون فوق أحلامك. هم أخبروك أن تتعامل بطرق كنتَ تعرف أنها ليست لك. هم علّموك أن تخاف من الأشياء وأن تسلكَ طرقًا كان الجزء الأكبر والأفضل داخلك يعرف أنها خاطئة. لكنك فعلتها".

"لكي أُحب وأتلاءم مع الحشد"، اشتركتُ معه، متذكرًا ما علمني إياه جوليان.

"بالضبط. لذا عليك أن تتعامل خلال هذا الحزن. عليك أن تعمل خلال الآلام التي كنتَ تحملها والجروح القديمة التي كانت تتقيح داخل

الجزء اللاشعوري منك. وبفعلك ذلك، فإن العصبة الضيقة للشعور، التي تجعل معظم الناس يعيشون حياة رمادية وبلا لون، تبدأ في الاتساع. وكلما شعرتَ بالمزيد من الحزن والألم اللذيْن ابتلعتهما، كنت قادرًا كذلك على الشعور بالمزيد من البهجة والسعادة في الحياة. ستبدأ بالشعور بالتأثر بالشروق وتبتهج بقوس قزح. سوف تكتشف أن العالم أكثر غنىً بالألوان وأكثر حيوية مما ظننته يومًا. كذلك ستبدأ الشعور بحب أكثر مما شعرتَ به لوقت طويل. ولن يكون ذلك مجرد حب لمن حولك، بل وحب لنفسك".

"غير معقول".

"عند المرحلة الثالثة، وحين تترك الوهم الذي كانت عليه حياتك وتبدأ في رؤية العالم كما هو حقيقة -مكان من الجمال المدهش- سوف تزداد سرعة تزامنك في حياتك كذلك. هل ترى يا صديقي، كلما أظهرت مزيدًا من الشجاعة والاقتناع في عيش الحياة التي يريدك الكون أن تعيشها، أرسل إليك بركاته. سوف يمنحك أضواءه الخضراء. سوف تحدث أشياء تطيّر عقلك. سيظهر الناس في حياتك في توقيتات رائعة، وكأنهم ملائكة مبعوثون ليساعدوك على نيل أي مما تريد. وببعض الطرق ستشعر أنه يتم إرشادك تقريبًا بواسطة كفّين خفيتين تقودانك إلى الحياة الجميلة التي عشتها ذات مرة في عالم خيالك. سوف تبدأ أحلامك في التحقق".

وبينما كانت السيارة الأجرة تسير على امتداد شوارع المدينة الفارغة، أدخل جوليان يده في ردائه وسحب قطعة من القماش. وقبل أن أستطيع نطق كلمة، اقترب ووضعها على عينيّ.

"جوليان، ما الذي يجري؟" قلتُ بمزيج من الدهشة والإثارة. "لا أستطيع أن أرى شيئًا".

"اهدأ فقط يا صديقي. هناك قصد من ذلك. أنت ترى أن معظم الناس على الأرض اليوم يرتدون نوعًا من العصابة على أعينهم، بينما يخوضون خلال حياتهم. دعنا نقل إنهم في الظلام. هم في حالة من الجهل التام بالطريقة التي يعمل بها العالم بالفعل وبالدور الذي عليهم أن يقوموا به فيه. وأساسًا، ولا أقصد إظهار أي إهانة لأي شخص، إنني فقط أذكر بعض الحقيقة هنا - معظم الناس يعيشون بأسلوب يمكن وصفه فقط بأنه 'عاجز بلا وعي'".

"ما الذي تعنيه بذلك بالضبط يا جوليان؟ سألته ونحن نكمل داخل السيارة الأجرة إلى المكان المجهول.

"حسنًا، في تعلم أي مهارة -سواء كانت مهارة تعلم ركوب الدراجة أو مهارة أن تعيش حياة عظيمة- هناك أربع مراحل على المتعلم أن يتقدم خلالها على الطريق حتى مستوى من التمكن. المرحلة الأولى هي مرحلة 'العجز اللا واعي'. عند هذه النقطة، لا يكون التلميذ عاجزًا فقط، بل وغير مدرك تمامًا لكونه عاجزًا. بطريقة أخرى، في هذه المرحلة، لا يعرف التلميذ ما لا يعرفه. إذن باستخدام مثال الدراجة، لا يستطيع التلميذ أن يقود الدراجة وليست لديه فكرة عما ينقصه من المعرفة ليقود الدراجة. وللأسف، فالكثير من الناس يعيشون أفضل سنوات حياتهم عند هذا المستوى المبتدئ".

"إنهم يمرون خلال الحياة بعصابة مجازية على أعينهم، غير مدركين من هم حقيقة وكيف كان مقدّرًا لهم أن يعيشوا"، أكدتُ، مبقيًا عصابتي في مكانها.

"بالضبط. مثل هؤلاء الناس لا يخصصون وقتًا ليفكروا في كيف

يتعاملون مع أنفسهم، ونوعية وطبيعة الخيارات التي يأخذونها وما يحتاجونه كي يتطوروا لعيش أكبر لعبة لهم كبشر في ملعب الحياة. والآن، لو أن هناك استعدادًا للتطوير، فسيرتفع بعض الناس إلى المرحلة الثانية، والتي تُعرف باسم 'العجز الواعي'. عند هذا المستوى، يظل المتعلم عاجزًا فيما يخص المهارة، لكنه على الأقل أصبح مدركًا لكل ما لا يعلمه ويحتاج لتعلمه. في مثال الدراجة، لا يزال التلميذ عاجزًا عن ركوب الدراجة لكنه يعرف أن عليه أن يطوّر من توازنه، ويمسك بمقودي الدراجة بطريقة معينة ويستخدم الدواسات بشكل محدد، لكي يحرك الدراجة للأمام. ينمو الوعي. وحين ينمو الوعي بما لا تعرفه، يمكن اتخاذ خيارات جديدة. والخيارات الجديدة -والأفضل- تؤدي إلى تغييرات إيجابية".

"ماذا عن الإنسان عند مستوى 'العجز الواعي - فيما يخص مهارة عيش الحياة؟ كيف سيبدو ذلك؟"

"سؤال ممتاز"، قال جوليان بينما أسرعت السيارة الأجرة. "مثل هذا الشخص قد يبقى بعيدًا عن مكان التميز، لكنه على الأقل متيقظ للحقيقة فيما يتعلق بكونه مدركًا بصورة كبيرة لكل ما لا يعرفه ويحتاج لبذل الجهد فيه. رغم أنه قد يظل عاجزًا عن عيش الحياة، فقد يمتلك الوعي المطلوب ليرى كل الأخطاء التي كان يرتكبها. مثال على ذلك، يمكنه أن يرى كل مساحات حياته التي كانت مخاوفه تديره فيها أو كل الأوقات التي كان فيها خارج الكمال. يمكنه أن يرى كل اللحظات التي ليس حقيقيًا فيها أو يرسّخ للعادية بدلًا من الروعة. وبما أن الوعي يسبق الاختيار وبما أن الخيارات الجديدة تصنع تغييرات جديدة في حياة المرء، فقد يقوم ببعض الخطوات الهائلة إلى الأمام. هذا النوع من المعرفة قد يجلبه فيما بعد إلى المرحلة الثالثة والتي تُعرف باسم 'الكفاءة الواعية'.

عند هذا المستوى يكون التلميذ كفئًا. ورغم ذلك لا يزال عليه أن يبذل الكثير من الجهد في الانتباه إلى ما يفعله، هو لم يصل بعد إلى مستوى من التميز لكن لا شك أنه يتصرف جيدًا. وفيما يتعلق بمثال الدراجة، يستطيع المتعلم الآن أن يقود الدراجة بشكل مناسب. لكن لا يزال عليه أن يكون منتبهًا للغاية لكيفية الإمساك بالمقود، وبالطريقة التي يوازن نفسه بها على دراجته والأسلوب الذي يدفع به الدواسات".

"وكيف يبدو شخص عند طوّر 'الكفاءة الواعية' في حياته هو؟"

"إنـه يتعامل بشكل جيد. لقد وصل إلى العديد من القوانين الطبيعية التي تحكم العالم. ترك الكذبة التي كانت عليها حياته ذات مرة ويغدو واعيًا بشكل حاد بكل خديعته لذاته. لقد ترك الحشد ويعيش حياته الآن بمفاهيمه الخاصة، يستمع لهمسات قلبه الصامتة وينتبه لاقتراحات ضميره. لكن لا يزال عليه أن يقوم بخيارات يومية بأسلوب شديد الوعي والتعمّد. لا يزال عليه أن يلقي الكثير من الانتباه لكل شيء يقوم به. يصل العديد من الباحثين على الطريق إلى حياتهم العظمى إلى هذا المكان ويجب أن أخبرك أنه من الرائع الوصول لهذا المكان. لكنك إذا كنتَ مستعدًا ومخلصًا، يمكنك أن تصل حتى إلى مستوى أعلى من التعامل وهو مرحلة 'الكفاءة اللا واعية'. على هذا المستوى المرتفع، يصل التلميذ إلى مستوى من التمكن الحقيقي من المهارة التي تم تعلمها. عند هذا المستوى، ليس على قائد الدراجة أن يفكر في أي شيء بعد الآن. فقط يركض للخارج، ويثب على دراجته ويسرع بها في الشارع، ملقيًا الكثير من الانتباه للهواء على وجهه وأشعة الشمس التي على ظهره أكثر مما ينتبه لكيف يوجّه المقوّدين. والشخص الذي يعيش الحياة على هذا المستوى شديد الارتباط باللحظة الحالية. سيكون شديد التمكن في الطريقة التي يتقدم بها خلال أيامه. سيكون حكيمًا

ويقظًا بلا حد. وسيكون ذلك شيئًا جميلا"، قال جوليان بينما أصدرت سيارة الأجرة صوتًا عاليًا لتتوقف.

"لقد وصلنا يا صديقي. من فضلك اترك عصابة عينيك كما هي حتى ندخل المبنى".

"أين نحن؟"

"أحد أهم الأشياء التي عليك أن تقوم بها في المرحلة الثالثة من المراحل السبع لإيقاظ الذات هو أن تتخلى عن تحكّمك. *عليك أن تكون راغبًا في التخلّي. عليك أن ترغب في التنازل عن كل ما عرفتَه وتسير إلى حقيقة جديدة*. نعم، قد يكون ذلك شديد التحدّي، لكنه سيكون أيضًا من أفضل الخطوات التي ستقوم بها أبدًا، فاتحًا كونًا من الاحتمالات وحشدًا كاملًا من الهدايا القيمة. وصفها الكاتب مارسيل بروست بشكل رائع حين قال: 'لا تنتظر الحياة. لا تشعر بالتوق إليها. كن مدركًا دائمًا وفي كل لحظة أن المعجزة تكمن في هنا والآن.' ووصفها إي. إي. كامينجز بإحكام أكبر: 'يتطلب الأمر شجاعة أن تكبر وتصبح من تكونه بالفعل'".

خطونا خارج السيارة وقادني جوليان ممسكًا بذراعي إلى المبنى، والعصابة لا تزال تغطي عينيّ.

"حسنًا يا صديقي، يمكنك أن تخرج من الظلام الآن إلى مكان العجائب".

أزلتُ العصابة. وأدركتُ فورًا أننا كنا داخل إحدى قاعات العرض الرئيسية لعروض الفن المحلية الخاصة بنا. كان جوليان يبتسم.

"طوال الشهر سيكون المعرض مضيفًا لمعرض عالمي عن سيلفادور دالي. لديهم هنا بعض أشهر أعماله. إن أعماله رائعة - لقد أمضيتُ ساعات كل يوم هنا، محدقًا في لوحاته فقط. وقد أحضرتك هنا لأوضح نقطة ذات علاقة بالمرحلة الثالثة من رحلة الباحث. بمجرد أن تترك

الكذبة التي كانت عليها حياتك ذات مرة وتختار أن تصحو وتسير على الطريق الواعي، ستظهر المرحلة الثالثة في حياتك بلا شك وستبدأ في رؤية العالم من خلال أعين جديدة كما أخبرتك. والسفر على هذا الطريق لن يكون يسيرًا كما تعرف الآن. لكنه الطريق الوحيد الذي عليك أن تسير فيه إذا كنت تريد أن تعيش الحياة النبيلة التي وُضعتْ لك. 'إن الشجاعة اليومية لها شهود قلائل. لكن شجاعتك ليست أقل نبلًا لأنه لا تدق الطبول أمامك ولا تصرخ الجماهير باسمك'، هكذا كتب روبرت لويس ستيفنسن. سوف تسقط العصابة التي أعاقتك ذات مرة عن رؤية كم عالمنا هذا كبير وجميل وثري، وسوف ترى حياتك كقطعة من الفن. إن فن سيلفادور دالي ليس كعمل رسام آخر. لقد رأى العالم خلال مجموعة من العدسات المختلفة ولذلك أبدع قطعًا فنية تلهث لها الأنفاس لقوتها ولأنها فذة في تأثيرها المبتكر. أريدك أن تستمر في اتخاذ خطوات خارج الظلام الذي كانت عليه حياتك من قبل. أريدك أن تستمر في كونك كفئًا بإدراك الطريقة التي تدير بها أيامك بحيث، يومًا ما، تصل إلى مستوى من التمكن والقوة الحقيقية التي تعرف باسم 'الكفاءة اللا واعية'. أريدك أن تخلق حياة، بالفعل، تعتبر قطعة من الفن. أنت تملك هذه القدرة. كلنا لدينا إياها في الحقيقة. كل الأمر يعتمد على ما إذا كنت تريد القيام بالعمل الداخلي المطلوب لتصل إلى هناك. كن سيلفادور دالي الخاص بحياتك يا صديقي وشاهد فقط العجائب التي ستتكشف لك".

وخلال بقية الصباح، تجولت أنا وجوليان في المعرض، ندرس الفن ونستمتع بصحبة كل منّا للآخر. أصبح جوليان أكثر صراحة معي، وأخبرني عن التحديات الخاصة التي واجهها كمحام وعن بعض الظروف التي قادته إلى ترك المحاماة والرحيل إلى الهند بحثًا

عن إجابات للأسئلة التي كان يكافح من أجلها. جعلني أضحك أكثر مما حدث أن ضحكتُ لمدة طويلة حين شاركني بعض قصص الحرب الخاصة به ومغامراته وهو محام للصفوة. وأثار دموعي وهو يشاركني كيف أن انتهاء شهرته الواسعة كمحام قد ألحقتها ميتة مجهولة لابنه الوحيد بعد أن اصطدم سائق سكران بالسيارة التي كان يركبها.

"'سوف تجلب لك الحياة الألم كله من تلقاء نفسها'، قال جوليان مقتبسًا من عالم النفس الشهير ميلتون إريكسن، 'ومسئوليتك هي أن تصنع أنت البهجة'. لقد وضعت الحياة في طريقي بعض العوائق الكبيرة للغاية. لكنني نجوت منها ولا شيء يمكنه أن يبقيني لأسفل. لقد اكتشفت كذلك أنه لا شيء يحدث لنا في الحياة له أي معنى سوى المعنى الذي نلتصق به. والألم والمعاناة يأتيان فقط من الحُكم. وحين نتخلى عن الأحكام ونتوقف عن إلقاء الألقاب على الأشياء بأنها 'إيجابية' و'سلبية' ونتقبلها ببساطة كفرص للتطور نحو أنفسنا الكبرى، ستتحول حياتنا. لا يوجد بالفعل شيء اسمه 'خبرة سيئة' أو حتى خبرة جيدة. الحياة كما هي، إذا كنت تدرك ما أقوله. وخلال الطريق الذي نفسر ونعالج به خبرات حياتنا، نقوم بتشكيل حقيقتنا. وتشكل أفكارنا عالمنا بطرق عديدة للغاية. إنني أرى الحياة مغامرة رائعة. والأوقات العصيبة تدعم نموي وتجعلني أكثر حكمة. والأشياء المستقيمة السهلة تملأني بالبهجة وتبدو كمكافآت لكوني أعيش في انحياز للقوانين الطبيعية للعالم. وكما أخبرنا بيتر الأسبوع الماضي، الحياة قصيرة بالفعل يا صديقي ونحن نحتاج للقيام بخطوات يومية للوصول إلى العظمة التي تسكن بالداخل. الحياة رحلة مثيرة، وأنا، من جانبي، أنوي الاستمتاع بها".

الفصل السابع

الباحث يتلقى التعليمات من الأساتذة

أولًا قل لنفسك ما ترغب في أن تكونه؛ وبعدها قُم بما عليك أن تقوم به.

- أبكتاتوس

ماذا لو أنني اكتشفت أن أفقر الشحاذين وأوقح المذنبين جميعهم بداخلي، وأنني أقف في حاجة إلى صدقات من عطفي أنا؛ وأنني أنا نفسي هو العدو الذي يجب أن أحبه - ماذا إذن؟

- كارل يانج

لقد مر شهر كامل منذ آخر لقاء لي بجوليان في معرض الفن. كنتُ أستيقظ مبكرًا كل صباح وأقضي الكثير من الوقت في تفكير صامت، متعمقًا داخل نفسي أكثر مما فعلت من قبل أبدًا. أصبحت مدركًا تمامًا للكثير من الأنماط التي كنتُ عليها لسنوات، طرق التفكير والشعور والسلوك التي لم أعرفها أبدًا قبل تدرّبي مع جوليان. والإدراك بالفعل سبَقَ خيارات جديدة. كيف كان يمكنني أن أختار طرقًا أفضل للحياة إذا لم أكن حتى مدركًا لما يحتاج أن يتطور؟ وقد أدت اختياراتي الجديدة

بالفعل إلى تغير جديد. بدأت أرى كم كنتُ أدمر نفسي وأحدّ من حجم الحياة التي كنتُ أعيشها. بحثتُ خلف سلوكياتي ولأول مرة في حياتي قمتُ بفحص ذاتي جاد عن الأسباب الجذرية لها. وقد كان وقتًا مثيرًا للغاية لي حيث بدأتُ أعرف نفسي. وقد كان وقتًا لبعض الكآبة كذلك حيث بدأت ألاحظ كيف كنت أخدع نفسي كثيرًا.

وخلال الأسابيع التي كنت فيها بعيدًا عن جوليان، بدأت كذلك في تصيّد نفسي وأنا أكاد أسقط في أحد تلك السلوكيات القديمة من خداع الذات والتي أصبحت الآن قادرًا على رؤية كيف أنها أدت بي إلى الكثير من الألم والمعاناة. وبينما كنتُ سأتعامل في الماضي بأسلوب سلبي دون تفكير، فالآن قد أتوقف مؤقتًا قبل أن أقوم بفعل ما. لقد كان من الصعب أن أصدق إلى أي مدى كانت الناس والظروف تضغط أزراري في الأيام الخالية، كنت لألوم الأشخاص والظروف على مشاعري وأفعالي. والآن، بفضل نصائح جوليان الحكيمة، أخذت على عاتقي مسئولية ما أشعر وأدرك لأن الأمر كله يبدأ بي. كان ملاحظة ذلك أمرًا مدهشًا بالنسبة لي وجعلني أشعر بشيء أفضل تجاه نفسي. أعتقد أنني كنت بالفعل أنمو وأتجه أكثر نحو الشخص الذي يجب أن أكونه.

في مكالمة هاتفية قمت بها لجوليان، أكد لي أن ذلك بالفعل هو إحدى أهم علامات النمو الشخصي. أخبرني كذلك أن علماء الأعصاب قد اكتشفوا حديثًا أن لدى الإنسان فرصة ٠,٢٥ ثانية بين المثير والاستجابة الموازية لكي يمسك بتفكيره ويتخذ خيارًا أفضل. قال إنه خلال مساحة الـ ٠,٢٥ ثانية تلك يمكنني أن أعيد كتابة الكثير من سلوكي وهيكلة الكثير من حياتي، متخذًا قرارات أفضل مطلوبة لكي تقودني إلى حالة أعلى بكثير من اليقظة.

وكلما فكرت أكثر فيما شاركني إياه جوليان، بدأت أدرك أنه قد طوّر فلسفة حكيمة بشكل شديد العمق، ومع ذلك، عمليّة بشكل رائع لإدارة حياة جميلة. نعم، أصبح لخياراتي اليومية تأثير كبير على الطريقة التي أصبحت عليها حياتي. كان لي دوْر ضخم في خلق ما أردتُه. لكنّ الشكل الذي سيتضح عليه مصيري في النهاية سيكون نتيجة للكثير مما لا أستطيع أنا كإنسان أن أختاره أو أتحكم فيه. وكما كان جوليان يخبرني كثيرًا في جلساتنا الإرشادية: "قم بأقصى ما لديك ودع الحياة تقم بالباقي". كل ما كنت أستطيع القيام به هو أن أكون أفضل شخص يمكنني أن أكونه وأن أعيش بشكل حقيقي كما كنتُ أستطيع على كل مرحلة من الطريق. بعدها ستأخذ الحياة دورها وتقودني إلى المكان الذي كان مقدرًا لي أن أذهب إليه. قد لا أحب دائمًا المكان الذي أنتهي إليه لكن جوليان أكد لي أن عليّ أن أثق بأنه أينما يتم إرشادي هو المكان الذي سأمرّ فيه بأعظم نمو وأعلى معافاة وأكثر التعلم فعالية. هناك ترتيب أعلى بلا شك يدير العرض، ترتيب أعلى لم يكن من الممكن لي أن أفهمه خلال الإدراك المحدود المتاح لي كإنسان.

كنتُ قد تعودتُ أن أمارس التنس كثيرًا عندما تقدمت في العمر، وكانت فلسفة جوليان الشخصية عن الشراكة بين القدر والاختيار، كما يؤثران في الطريقة التي تتكشف بها مصائرنا، أحيانًا كانت تذكرني بتلك اللعبة. بدا لي أن الشيء الوحيد الذي كان يمكنني التحكم فيه هو ما يحدث على جانبي من الملعب. وكان التزامي الوحيد أن أقدم أقصى ما لديّ وأضرب أفضل ضربة. كان لديّ واجب فيما يتعلق بالحياة، وهو أن أدع ضوئي يشع وأن أقوم بشيء فيما يتعلق بأحلامي. وأنني إذا قمت بأي شيء أقلّ من ذلك فإنني أهين الهبات التي مُنحتْ لي. ولكن بمجرد قيامي بما عليّ، وانتقال الكرة إلى الجانب الآخر من الملعب، كان عليّ

أن أنفصل عن النتائج - وأهدأ. يجب أن أثق في الودّ غير المحدود للحياة التي نعيشها. كان خوفي وحده هو ما جعلني أقلق فيما يخص النتائج. وبمجرد أن تخليت عن الخوف، كما وعدني جوليان، ووثقت في الخُطة الأكبر، فسأرى كيف أن *الأشياء دائمًا ما تنتج الأفضل.*

قمت كذلك بتعميق فهمي لقاعدة المسئولية الشخصية ومفهوم المسئولية في الشهر الذي انقضى منذ التقيت أنا وجوليان آخر مرة. وبينما قدّرت بالفعل أن القدر قد أعد مصيرًا تحضيريًا لي، شعرت بالقوة التي كنت أمتلكها، وبثقة أكبر من أي وقت مضى، لملء الخانات فيما يتعلق بكيف سيبدو مصيري عن طريق الأسلوب الذي أتعامل به في لحظات حياتي. لو أنني كنت صادقًا، وقمتُ بما كان صحيحًا، واستخدمت مواهبي لتحقيق ما أردتُ وسعيت وراء أحلامي، لم يكن هناك شك داخل عقلي في أن حياتي ستكون أفضل مما كانت عليه من قبل. "السماء تساعد هؤلاء الذين يساعدون أنفسهم"، أخبرني جوليان بذلك. "يمكنك بالفعل أن تخلق الكثير من حظك". كان الأمر كله بالفعل عملًا ضخمًا من التوازن، بين قوة اختياراتي وأيادي القدر، لجعل الأشياء تحدث وترك الأشياء تحدث، أن أفعل وأن أكون.

وبين كل ما تعلمته حديثًا، ربما كان أكثر ما صدمني بقوة شديدة هو الإدراك المتنامي لكل ما كنت أقاومه في حياتي. كان جوليان معتقدًا بقوة في "مواجهة المرء لما يقاومه دائمًا" وكلما فكرت في ذلك، رأيت كل الأشياء التي كنت أركض منها. كتب المؤلف سام كين ذات مرة أن "الأشياء التي نركض منها هي تلك التي تصيدنا". كلمات صادقة.

طلب مني جوليان أن ألتقيه في مبنى مدرسة تملكه مؤسسة ستون للأطفال الموهوبين. وقد حدد وقت اللقاء متأخرًا نوعًا ما في المساء وتساءلت عما أعدّه لي مرشدي المغامر خلال هذه الجلسة التعليمية.

تساءلت كذلك كم من الوقت ستكون لي ميزة التدرب على يدي جوليان. لم يصل للإعلام خبر أن جوليان قد عاد إلى المدينة وكنت أعرف أنه كان يحافظ على ظهور ضئيل له. ومما أمكنني جمعه، أنه كان يقضي أيامه متطوعًا في المستشفى التي التقيت فيها ببيتر، متواصلًا مع سيلفادور دالي في معرض الفن ومشتغلًا معي حين يكون التوقيت صحيحًا، ومشتغلًا على نفسه بالتأمل والقراءة والتدوين والتفكير الصبور. أخبرني كذلك أنه قد قضى الكثير من الوقت يسير بين الأشجار ومتواصلًا مع الطبيعة. كان جوليان بالفعل رجلًا شديد البساطة. كان الأمر يتضح لي أكثر كذلك أن جوليان كان رجلًا عظيمًا بالفعل.

حين دخلت المبنى، رأيت قطعة من الورق، بخط يد جوليان، مثبتة على الحائط. كتب فيها: "الحياة مدرسة للنمو، صممتْ بشكل مثالي لتمنحنا فرصًا لنتعلم كل درس مما نحتاج لتعلمه على مدار حياتنا على الأرض. إننا نعيش على مدرسة كوكب الأرض. وأحد معلميك ينتظر وصولك بحماسة. إنني في غرفة ١٠١. برنامج اليوم عنوانه إيقاظ أفضل ما بالنفس". وفي نهاية الورقة كانت الحروف التالية "ر. ا. ب. س. ف." كنت أعرف أنها تعني الراهب الذي باع سيارته الفيراري. وبجانب الحروف كان هناك وجه مبتسم.

سرت نحو الساحة المظلمة. وفجأة، سمعت صوت طبول تضرب. وحين سرتُ تجاهها، أصبح من الواضح أنها كانت تنطلق من الغرفة ١٠١. لم تكن لديّ فكرة عما أتوقعه لاحقًا. كان الباب مغلقًا وصوت الطبل يرتفع وأنا أقترب. بدأ قلبي يقرع بإثارة قلقة. ما الذي كان يجري على الجانب الآخر من الباب؟

"زُر الأماكن التي تخيفك" كانت تلك إحدى العبارات التي التزمت أن أعيش بها، مستندًا إلى تعليمات جوليان. لذا، فتحت الباب ببسالة

وسرت للداخل. كانت الغرفة مظلمة إلا من الوهج المنبعث من مئات الشموع الصغيرة المرتبة في دائرة كبيرة. ولم يكن يقف في مركزها إلا جوليان، مرتديًا ثوبه وعازفًا على طبلة بطريقة إيقاعية مسرحية. كانت عيناه مغمضتين وكان يغني الشعار التالي بهدوء: "داخل قلبك تقطن كل الأجوبة. سر نحو خوفك، بعدها ستتعلم أن تطير". ظل يكرر ذلك مرارًا. ولم يفتح عينيه لمرة واحدة. كان يبدو كثيرًا وكأنه في غشية عميقة. أغلقت الباب خلفي ووقفتُ هناك ببساطة. وبعد نحو خمس دقائق، توقف جوليان عن قرع الطبل. كانت الغرفة هادئة تمامًا. وفتح عينيه.

"مرحبًا دار. عفوًا لأساليبي التعليمية غير التقليدية"، قال مبتسمًا. "وكالعادة احكم بالنتائج. سوف تكتشف مع مرور الوقت، أن أسلوبي الإرشادي سيقوم بالعجائب في حياتك. فقط ابقَ واثقًا. لقد كنتَ تلميذًا رائعًا حتى الآن. وأنا أريد أن أقر لك بذلك. وأنا أعرف أنك بالفعل ترسم حياتك الكبرى".

"أين تريدني أن أجلس يا جوليان؟" سألته في حالة من العجلة الكبرى للتدريب الحياتي الذي كنت على وشك استقباله.

"تعالَ هنا، داخل مركز دائرة الصدق. يؤمن الهنود الأمريكيون الأصليون أن الحياة تُعاش في دائرة، 'دائرة الحياة'، كما يطلقون عليها. وفي نهاية حياتنا، نعود للمكان الذي بدأنا عنده الرحلة. الدائرة هي رمز الاكتمال والنزاهة. وداخل هذه الدائرة الليلة، سنقول الصدق فقط. تذكّر، *إن هدف الحياة كله هو القيام برجلة العودة إلى التمام، العودة إلى مركز الكمال، العودة إلى نفسك الحقيقية - تلك التي لا تخاف، النفس شديدة الحكمة وذات الحب غير المحدود. هدف الحياة أن نغلف فجوة الكمال*".

"أنا لا أعرف مفهوم فجوة الكمال، هل كان من الواجب أن أكون على دراية به؟"

"لا يا صديقي. إنني أقدمه لك الآن فقط لأنك مستعد له. لقد أخبرتك منذ التقينا أول مرة عما يحدث للإنسان بعد أن يولد - عملية يفقد على إثرها الارتباط بمن هو بالفعل. إننا نولد حقيقيين وأنقياء. نولد شجعانًا وذوي قلوب مفتوحة للغاية. نولد عارفين بالقوانين الطبيعية التي تحكم العالم وبسبب كوننا هنا. لكننا -وأنا أعرف أنك تعرف ذلك الآن- نريد أن نرضي من حولنا ونتواءم مع الحشد".

"الحشد الذي يشاهد أجزاء زائفة من الواقع ترقص على جدار الكهف، بدلًا من التصوير الدقيق للحقيقة"، تدخلتُ، مشيرًا إلى تشبيه الكهف من جمهورية أفلاطون التي شاركني إياها جوليان خلال جلسة التدريب في كهوف كامدن.

"صحيح"، صرخ، وهو يضرب كفّه في الهواء. "إن العملية التي نترك على إثرها نفوسنا الحقيقية ونصبح الأناس الذين ليسوا نحن -بتقبّل المعتقدات والقيم والسلوكيات ممن حولنا- تعرف باسم التثاقف. وحين نترك نحن أنفسنا الصادقة ونتحول إلى أنفسنا الاجتماعية، تبدأ الفجوة في التشكل. نترك طبيعتنا الأصلية ونرتدي القناع الزائف للشخصية. نسقط خارج الكمال، وبالتالي، تظهر فجوة الكمال. وكلما اتسعت الفجوة بين من نكون بالفعل وبين الشخصيات العامة التي نقدمها للعالم، نقصت قدرة حياتنا على النجاح. كلما كبرت الفجوة، قلّت مساندة الكون لنا لأننا نسينا من نحن ولم نعد نلعب بالقوانين التي علينا أن نلعب بها. ومع فجوة الكمال المتسعة، سنشعر بالقليل من

البهجة، وسيكون لدينا القليل من الطاقة وسنعيش حياة ضئيلة. سنعيش في 'طائفة الشخصية،' والتي هي ليست الطريقة التي كان علينا أن نعيش بها. إن شخصيتك تلك غير حقيقية. إنها ببساطة شيء قمتَ أنت بخلقه لكي يرضى الناس عنك - لا، بل لكي يحبوك. أنت ارتديتَ قناعًا اجتماعيًا بسبب الخوف".

"جديًا؟"

"جديًا. إن الطفل الصغير الذي يتوق إلى الحب يدير العرض بالنسبة لمعظم الناس. الطفل الصغير خائف من ألا يُحَب. الطفل الصغير خائف من ألا يتواءم. هذا الطفل الصغير يتخيل أمه وأباه في كل الراشدين الآخرين حوله ويتمنى لو أنه يتصرف مثلهما -مثل الحشد- وسوف يجد الاستحسان لذا يبحث بشكل مفرط. هل بدأت ترى لمَ يخاف كثيرون للغاية بيننا من السير على طريق الصدق هذا؟ على مستوى شديد العمق وغالبًا ما يكون غير ملحوظ، يكونون خائفين من ألا يحَبُّوا. ولدى كل إنسان رغبة أساسية بأن يتدلل. لذا نسقط في الفخ. نخدع أنفسنا، ونتخلى عن أحلامنا ونتبنى طرقًا نكون بها غير ما كان مخططًا لنا أبدًا".

"وينشئ ذلك فجوة الكمال التي تُغلقنا وتحدّ من حياتنا. وكل ذلك مدفوع بالخوف. الآن أرى لمَ هو من الضروري للإنسان أن يعمل على نفسه. بمجرد أن نقوم بالعمل الداخليّ المطلوب بأن نتحرك خلال المخاوف التي تديرنا، نحرّك هذه الخيالات نحو ضوء الوعي الإنساني. وكما ذكرت، فإن تحريك الظِل إلى النور يجعله يختفي. فيتركنا الخوف".

"في الواقع يا دار، لن يختفي الخوف فحسب، بل وسيتم استبداله بالحُب. مثلما أخبرتك، ليس الخوف أكثر من غياب للضوء: بمجرد أن

تسكب ضوء الوعي الإنساني وإدراكه على أحلك التجاويف في كيانك، سوف تصبح كيانًا ممتلئًا بالنور. فأينما وُجِد الخوف ذات مرة، وجد الحب. وتذكر ما يعنيه أن تكون 'متنوِّرًا': شخصًا ممتلئًا بالنور. كل خطوة تأخذها لتغلق فجوة الكمال هي خطوة في اتجاه العودة للبيت، نحو حالة التنور التي أنت عليها في الحقيقة. كل حركة يمكنك أن تقوم بها لكي تكون محبوبًا حين يتملكك الخوف، فإنك تطالب وتتذكر طبيعتك الأصيلة. كل شيء تقوم به لكي تظهر نفسك الكبرى للعالم له تأثيره المقابل في مساعدتك على أخذ المزيد من قوتك الأصلية التي كنتَ قد ولدتَ بها. وهذا هو السبب في كوني أخبرتكَ أنني أظن مفهوم تطوير الذات بأكمله هراء. إن وظيفة كل إنسان ليس أن يتطور - فنحن في الحقيقة في كمال، على المستوى الأعمق، ولا يمكنك أن تتطور أكثر من الكمال. هل أخبرتك عن قصة الزاهب الذهبي يا صديقي؟"

"لا، لا أظنك فعلت".

جلس جوليان في مركز دائرة الصدق ووضع ساقًا على الأخرى. بدت الحجرة غامضة وشعلات الشموع تومض. بدا جوليان مسالمًا بشكل كبير وبدا وكأن نظرته تتصل بجزء عميق منّي. وكأنه كان ينظر داخلي، داعيًا أنبل وأكثر الأجزاء حقيقة داخلي للكشف عن نفسها.

"منذ سنوات عديدة مضت، في الشرق، كانت هناك جماعة من الراهبين لديهم تمثال ذهبي ضخم. كانوا يصلون ويتأملون بالقرب من هذا التمثال ويشعرون بالامتنان لوجوده بجوارهم. ثم جاء وقت أصبح المكان الذي كانوا يعيشون فيه يواجه خطر الهجوم عليه من غزاة أجانب. خشى كل من الرهبان أن يفقدوا ملكية جماعتهم الثمينة، لذا بدءوا جميعًا في التفكير في طرق لحمايته. أحد الرهبان أتى بخطة بسيطة غير

أنها بدت فعالة: أن يعمل الرهبان سويًا على وضع طبقات من الطين على هذا التمثال الذهبي في محاولة لتغطيته وإخفائه. وأفلحت الخطة: لم يجده الغزاة".

"مثير للغاية".

"لكن هناك المزيد يا صديقي. بعدها بسنوات، كان ناسكٌ شاب يأخذ تمشيته الصباحية، حين رأى شيئًا يومض وسط تراب الجبل الذي مرّ عليه مرات كثيرة من قبل. فنادى على إخوته من النسّاك وبدءوا الحفر داخل الطبقات. وكلما تحركوا داخل كل طبقة من طبقات الطين التي تغطي التمثال الذهبي، بدأ الذهب يظهر أكثر وأكثر. وأخيرًا، ظهر تألق التمثال الذهبي. ورءوا كنزًا لا يقدّر بثمن".

قلتُ: "قصة رائعة".

"حسنًا، يمكننا استخدامها كتشبيه قوي في مبنى المدرسة ذاك، هذه الليلة. فكما ترى، الحياة بأكملها تدور حول تحصيل التعليم. كل يوم، ستعلمك الحياة الدروس التي تحتاج لتعلمها لو أنك انتبهتَ لها. المشكلة أن معظم الناس لا يفعلون. المشكلة أن معظم الناس غافلون، غير واعين. وكما تعرف الآن، يبقون عند المرحلة الأولى من المراحل السبع لإيقاظ الذات. ولكنك حين تصحو وتتحرك خلال المراحل نحو البحث عن أفضل ذاتك والحالة النهائية التامة من التنوّر، فسوف تبدأ في التعرف على طبيعتك الأصلية. سوف يزودك كلُ يوم بفرص لتتحرك نحو طبقة جديدة من الطين الذي يغطي الروعة والذهب الذي أنت عليه في الحقيقة. وهذا هو السبب وراء كون الطريقة الأولية للعودة للبيت وإغلاق فجوة الكمال هي اكتشاف الذات والقيام بالعمل الداخلي الذي كثيرًا ما أحدثك عنه. عليك أن تضع الوقت لمواجهة ما تقاومه وتفحص

نفسك حين تظهر الإحباطات والمخاوف، بدلًا من إلقائها على الآخرين وتجنب تحميل نفسك المسئولية. حين تلوم الآخرين على الأشياء التي تغضبك أو تزعجك، تفقد فرصة ثمينة في معرفة المزيد عن الظلال التي تديرك. تفقد الفرصة لتذهب عميقًا وتجلب ما بداخل عالم اللاوعي إلى عالم الوعي، حيث يمكن التعافي والتحرر. كل شخص حي اليوم لديه طبقات من الطين تغطي نفسه الحقيقية. وبعضنا لديه طبقات ليحركها أكثر من الآخرين. نحن نكتسب هذه الطبقات حين نترك أنفسنا الحقيقية ونلحق بالحشد".

أضفتُ: "وهذه العملية تُسمى التثاقف".

"صحيح. إن غاية الحياة هي إزالة الطبقات لكي يسطع المزيد من الذهب بداخلنا ويرى نور النهار، بالضبط كما ظهر المزيد من التمثال الذهبي عندما كان النسّاك يزيلون الطبقات. والشيء المثير هو أن *كل فعل جسور، وكل فعل جيد، وكل فعل من تحمل المسئولية سيحمل فائدة فورية لك: كل مرة تقوم بما تعرف أنه الشيء الصحيح وتتبع الصدق بدلًا من إملاءات الحشد، يبدأ جزء بسيط من الطين الذي يغطي حقيقتك في السطوع. كل مرة تتعامل بالحب بدلًا من الخوف، ستقترب ممن قدّر لك أن تكونه أكثر. كل مرة تقترب من أحلامك وتنصت لقلبك، تتذكر جزءًا قليلًا أكثر عمّن تكون.* هكذا تعرف نفسك. هكذا تلعب أهم لعبة لك. هكذا تعيش مصيرك".

توقف جوليان. "إذن ما يجب عليّ أن أعلمك إياه اليوم -أهم درس يمكنك تعلمه في مدرسة الأرض- هو أن *غاية الحياة هي أن تغلق فجوة الكمال*. بشكل مثالي، لن تكون هناك فجوة وسيصبح الشخص الذي تقدمه للعالم هو الشخص الذي أنت عليه حقيقة. بشكل مثالي، سيكون

الشخص الذي تقدمه للعالم انعكاسًا رائعًا لنفسك الأصلية. لن يكون لديك خوف يتطلب منك أن تتظاهر بشيء، في جهد لكي تتواءم وتُحَب. سيكون لديك الكثير من حب النفس بحيث لن يهم ما يظنه الآخرون بك. وطالما كنت صادقًا مع نفسك، كل شيء سيكون على ما يرام. وهذا يا صديقي هو النجاح الحقيقي للإنسان".

"فلسفتك عميقة يا جوليان. تبدّل الحياة في الواقع. وما هي بعض الأدوات الخاصة التي عليّ أن أستخدمها هنا في مدرسة الأرض كما تطلق عليها، لكي أغلق فجوة الكمال؟"

"إن الكتابة في دفتر يومي بشكل منتظم شيء شديد التأثير. يساعدك ذلك على معرفة نفسك وتعميق علاقتك بذاتك. يجب أن يكون دفترك مكانًا تزوره وتفحص نفسك فيه. ومع الوعي الذي يجلبه، تستطيع بعدها أن تتعهد بالقيام بخيارات أفضل. ذكرتُ لك التأمل والسكون كذلك. إن قضاء الوقت وحدك في سكون كل يوم أداة ستساعدك على إيقاظ وإعادة قوتك الأصلية. بالطبع لكي تنجح في مدرسة الأرض، ستحتاج كذلك لمعلّمين جيدين. ويأتي بي ذلك إلى المرحلة الرابعة من المراحل السبع لإيقاظ الذات، بشكل رائع.

"إن الباحثين على طريق اليقظة مثل مسافرين يتركون عالمًا قديمًا ويدخلون آخر جديدًا. حين تزور مكانًا جديدًا تحتاج لمرشدين يوجهونك ويظهرون لك الطريق. إن المرحلة الرابعة هي البحث عن 'تعليمات الأساتذة'. في هذه المرحلة، يحوّل الباحثون انتباههم إلى المعلمين والكتب والأنواع الأخرى من مصادر التعلم. عند المرحلة الرابعة تلك، يدوّن الكثير من الباحثين لساعات متصلة ويقرءون كتابًا بعد كتاب. وأحيانًا، قد يظهر شعور من الرعب داخلك. تشعر بالإحباط والخوف

لأن عالمك يتغير. هناك الكثير لتتعلمه في وقت قليل للغاية. كل شيء في تحوّل. وبتعلّمك من مصادر مختلفة، تقوم بدور التلميذ الجيد. وتكون أكثر التزامًا مما كان من قبل في بحثك عن حقيقة كيف تعمل الحياة وعن دورك فيها".

"جوليان، هذا بالضبط ما أمر به. كلما تنازلت عن التحكم وسرت نحو الأماكن المجهولة من حياتي، ظهرت المزيد من الأسئلة. أتساءل من أنا بالفعل. أتساءل عن مصيري. أتساءل عمَ هي قيمي الأعمق حقيقة. أصارع الفروض التي صنعتُها عن الطريقة التي يعمل بها العالم وأريد أن أعرف القوانين الحقيقية للطبيعة والتي بُني على أساسها العالم. كنت أتساءل كذلك لمَ عليّ أن أعاني كما يحدث. وأريد أن أعرف كيف ستتبدل حياتي وماذا عليّ أن أفعل بالضبط لكي أعيش أفضل وأصدق حياة لي".

"كل هذه الصراعات جيدة. وواقع أنك تسأل هذه الأسئلة الكبيرة يعني أنك تكبر وتستيقظ. إنك تغادر الحشد وتصبح أكثر وعيًا. ولذا تتساءل عن كل شيء. رائع! إن طرح السؤال الصحيح هو غالبًا تسعين في المائة من إيجاد الإجابة الصحيحة. وبقيامك بذلك، فأنت تكتشف حقيقتك وحياتك الأصلية. وتذكّر، إن التساؤل يفك قيد المعرفة التي لا تزال كامنة داخل قلبك. اسأل السؤال الصحيح وأنا أعدك أن تظهر الإجابة التي تبحث عنها على السطح - حين يحين الوقت الصحيح".

"ما الذي تعنيه بـ 'حين يحين الوقت الصحيح' يا جوليان؟"

"حسنًا، أحد القوانين الطبيعية المهمة هو: *نحن لا نحصل على أكثر مما يمكننا التعامل معه*. لقد خُطط الطريق بشكل رائع لك ولن تستقبل أبدًا المزيد من المعرفة أو الحقيقة أكثر مما أنت مستعد له. لذا تأتيك

كل الأجزاء فقط حين تكون مستعدًا لاستقبالها. على التلميذ أن يكون صبورًا. لكنّ الإجابات سوف تأتي".

أكمل جوليان: "ثِق أنك بالفعل في المكان الذي يجب أن تكون فيه. أنت على الطريق الذي سار عليه الكثير من الأرواح الحكيمة قبلك. إن ما تمر به ليس استثنائيًا. فقط حافظ على إيمانك واستمر في اختيارك أن تذهب أعمق وأعمق داخل نفسك. فكل الإجابات التي تبحث عنها بداخلك. نعم، ستساعدك الكتب والمعلمون والمؤتمرات. لكن تذكر شيئًا واحدًا: إن قراءة كتاب شخص آخر هو انعكاس لحقيقته هو. وسماع متحدث في مؤتمر يعني أنك ستستمع إلى حقيقته هو وفلسفته هو عن العالم وعن الحياة نفسها. وهذا جيد عند هذه المرحلة من الرحلة. فتعلّم ما يعتقده الآخرون سيساعدك على معرفة ما تعتقده أنت بالفعل. لكن، لا تقم بخطأ أن تعتقد أن حقيقة شخص آخر هي بالضرورة حقيقتك أنت. لا تكن تابعًا لهذه الدرجة. كن قائدًا. القادة يذهبون حيث لم يذهب أحد ويفجرون طرقهم الخاصة. وهذه المغامرة بأكملها هي عن أن تكون أصليًا. وكلما انتقلت إلى مراحل أعلى وأعلى على طريق التحكم في الذات، سوف تنشئ فلسفتك الخاصة عن الطريقة التي تسير بها الحياة وعن مكانك فيها. سوف تختار حقائق الآخرين التي تجلب الصدى من أعمق جزء منك. سوف تدمج حكمة الآخرين التي تظهر صحيحة بالنسبة لك. وعليك أن تطرح هذه الأفكار التي لا تتحدث عنك وتخفق في أن تكون منطقية بالنسبة لك. وبفعلك ذلك، سوف تصوغ شفرتك ودستورك الأصلي لتعيش أكبر حياة لك. هذا هو تعريفي للنجاح - أن تعيش حياتك بطريقتك الخاصة. والنجاح الأصيل يعني أن تكون داخل العملية كذلك، في كل لحظة من حياتك، أن تخلق الحياة التي تختارها. فلن تعيش حياة وضعها لك الآخرون، بل تعيش حسب حقيقة

قلبك. وبفعلك هذا، ستكبر لتكون طاقة تجعل منك قوة من قوى الطبيعة في العالم".

"هذا رائع بالفعل يا جوليان. كما أقول لك، هذا هو بالضبط ما أمر به الآن. لقد استيقظ النهم للمعرفة بداخلي. تخليت عن الرغبة في السيطرة أكثر من ذي قبل وأنا مدرك للغاية لجهلي. والنتيجة هي أنني أقرأ كتاباً بعد الآخر. أبحث عن كل تلك الإجابات. أعتقد أنني قد أصبحت باحثًا بالفعل".

"نعم يا دار. إنك تصبح واعيًا. أنت تستيقظ. تبحث عن طرق للعودة. بعض الكتب تبشّر بالطريق إلى التنور أو على الأقل، حياة سعيدة خلال التفكير الإيجابي. وكتب أخرى تقول لك اخرج من رأسك وعِش داخل قلبك. ومع ذلك، فبعض المرشدين يشجعونك على أن تكون سريع التطور، أن تضع مئات الأهداف، وتركض خلف ما تريد. وكتب أخرى تدعوك أن تعيش اللحظة الحالية، وأن تدع الحياة تريك برفق ما قد حفظته لك".

"بالضبط. من عليّ أن أصدق؟ كل شيء يبدو شديد التناقض. هل أعيش في العالم أم أختار الطريق الروحاني؟"

تأوه جوليان: "آه، هذه هي الأسئلة التي يجب أن تُسأل لكي تجد حقيقتك. إنك تكبر بالفعل. وكل ذلك جيد. أنت تبحث عن طرق لتغلق فجوة الكمال، لكي تجد من أنت حقيقة وتتذكر نفسك الأصلية. لذا تمر بالكثير من الوسائل العلاجية المختلفة وتكون منفتحًا للكثير من المعلمين، وهذا رائع"، أشار جوليان بابتسامة واثقة.

"يبدو أن هناك الكثير للغاية سيأتي. لقد بدأت ألاحظ كم أنا بعيد عن الكمال – يبدو أن فجوة الكمال الخاصة بي شديدة الاتساع، ويبدو أنني أرتدي قناعي الاجتماعي في كل لحظة ممكنة. أعتقد أنني عشت حياتي ببساطة لإرضاء الآخرين: ووالديّ وبقية الأشخاص من حولي.

لا أعتقد أنني أصبحتُ أعرف من أنا بعد الآن. أنت تتحدث عن أن تكون لديّ علاقة بذاتي و'معرفة النفس' كوسيلة للتنوّر. وأنا ليس لديّ فكرة بالفعل عمّن أكون. وهذا يملأني بقدر كبير من الحزن، لكي أكون صادقًا". وبدأت الدموع في الانهمار من عينيّ. لم يحدث أن شعرتُ بهذا الشعور من قبل.

"فلتشعر بهذا الحزن يا دار. لقد ذكرتُ لك ذلك من قبل"، أجاب جوليان وهو يضع يده على كتفي برفق.

"كلما أحسست بمشاعرك، بدأت في إكمال نفسها بداخلك. فالمشاعر كالأمطار العاصفة: لها بداية ووسط ونهاية. وحين تكمل أحد مشاعرك -سواء كانت هذه المشاعر هي الغضب أو الحزن أو الاستياء أو الإحباط- ستتحرك خلال الطبقات لكي تتذكر التمثال الذهبي بداخلك".

انتظر جوليان بصبر إلى أن استعدت هدوئي.

"حسنًا، يا دار. لو أن غاية الحياة في غلق فجوة الكمال، يصبح السؤال ما الطريقة التي تدفعك بها الحياة لتقوم بذلك. هل ترى، كما أخبرتك، يريدك الكون أن تربح. لقد صُممت الحياة بحيث تكون مخلوقًا للسعادة ومصممًا للعظمة".

أجبت: "لكنني أحتاج للعب بقوانين اللعبة، ولو أنني غافل عنها -عند المرحلة الأولى- فمن المستحيل أن تنجح حياتي".

"رائع"، هتف جوليان وهو يعانقني. بدأ في قرع الطبل مرة أخرى، أولًا برفق - ثم بإيقاع جميل. كنتُ أعرف أن تلك هي طريقته في تكريمي للحكمة التي كنتُ أستوعبها. توقف جوليان وغلف الصمت الحجرة مرة أخرى.

"الطريقة التي يحثك بها الكون على غلق فجوة الكمال الخاصة بك تُعرف باسم 'التدوير'. والتدوير مصطلح يشرح كيف يعمل الكثير داخل الحياة. بشكل أساسي، هي تصف الظاهرة التي بينما نتقدم خلال

الحياة، سيتم إرسال أشخاص وظروف مخصصين لنا لكي يعلمونا الدروس التي نحتاج أن نتعلمها عند هذه المرحلة على الطريق. دعنا نقُل إن الدرس الذي يجب أن ندركه عند نقطة محددة من رحلتنا هو عن التسامح. حسنًا، في هذه الحالة، فهذا الكون الخاص بنا المصمّم بشكل رائع سوف يرسل لنا شخصًا، مثلًا، ليخدعنا. وكالعادة، سيكون لدينا خيار حول كيف سنستجيب لما يظهر في حياتنا. لو أننا جعلنا الأمر كله يتعلق بهذا الشخص الآخر ونلعب لعبة اللوم، فسيُظهر لنا أشكالًا مختلفة لنفس 'المعلمين' في حياتنا. أنواع مختلفة من الناس ستدور. والمشكلة الوحيدة أنك كلما قاومت الدرس المصمم، أعاد زيارتك بشكل أقوى وأكثر شدة وألمًا".

"لكي يلفت انتباهي، صحيح؟"

"نعم. تذكر فقط أن ما تقاومه سيستمر، لكنّ ما تصادقه، سيمرّ في نهاية الأمر. تريدك الحياة أن تغلق فجوة الكمال، أن تتعلم دروسك بينما تسير في مدرسة كوكب الأرض وبقيامك بذلك، تعود لمكان الأصالة. يظهر التدوير لتدعيم هذه الحركة، هذه الرحلة لإيقاظ أفضل ما في ذاتك. لكن لو أنك غافل عن عملية كيف تعمل الحياة، فسوف تضربك الحياة بقوة أكبر. إذا انتبهتَ واستيقظتَ وعشتَ حياة واعية بتحمل المسئولية الشخصية نحو معافاتك ونموك، فسوف تتعلم الدرس المعدّ وتقترب أكثر من نفسك الحقيقية. حين تقبل -بدلًا من أن تقاوم- دروسك وتعلمك، ستنغلق الفجوة وستصبح الحياة أفضل".

"غير معقول"، كان ذلك الرد الوحيد الذي أتاني على سماع إدراك جوليان لكيف تسير الحياة. أدركتُ أنني لو لُمت الآخرين على ما يثير غضبي أو إثارتي أو الغيرة بداخلي، فإنني أقاوم فرصة لتعلم درس مخطط لي. سوف يعيد الدرس ظهوره في حياتي، بحدة ومعاناة أكبر.

بالنسبة لي، كانت النقطة الأساسية ببساطة هي تلك: *بتحمل المسئولية الشخصية عما جرى داخلي وبمعرفتي نفسي وبالجذور التي سببتْ أفعالي السلبية، يمكنني حرفيًا أن أقلل من عملية التدوير في حياتي.* وبرفضي إلقاء اللوم على الآخرين على استجاباتي غير الودودة، يمكنني أن أقلل كثيرًا من جروح الحياة. سأتعامل وفق قوانين الطبيعة بحيث تساندني الطبيعة. سأكون يقظًا لحقيقة الطريقة التي تسير بها الحياة بالفعل، بحيث تمنحني مكافآت أكبر.

وقف جوليان وترك دائرة الصدق، وسار نحو السبورة على الجانب الآخر من الفصل. كان قد وضع سلسلة من الشموع قرب السبورة بحيث أمكنني رؤية ما رسمه عليها. لقد استخدم الطباشير في صنع دائرة كبيرة. وقسمها إلى أرباع. وكتب في الربع الأول "العقل". وفي الثاني كتب "الجسد". وفي الثالث كتب "المشاعر". وفي الرابع كتب "الروح". وفوق الدائرة كتب الكلمات التالية: "اليقظات الأربع". نظر إلي وأكمل محاضرته.

"كما ذكرت لك من قبل، إن أخذ رحلة القائد في العودة إلى نفسك الأصلية -وهذه رحلة قيادة- هي عن إغلاق فجوة الكمال. والكمال يعني التمام. تُظهر الدائرة هذا التمام. وغاية الحياة هي العودة إلى التمام. والعملية التي تدعم بها الحياة هذه العودة يطلق عليها التدوير. يتضمن الجزء الأخير الممارسات الخاصة التي تغلق فجوة الكمال. وعند مرحلة التعليمات على الطريق إلى اليقظة -المرحلة الرابعة- ستبدأ في اتخاذ خيارات واعية للعودة إلى التمام. هناك أربعة أبعاد لنفسك الأصيلة يجب إيقاظها لكي تعود أنت كاملًا مرة أخرى. عندما توقظ هذه الأبعاد الأربعة، سوف تتذكر من أنت في

الحقيقة. وإذن ها هي اليقظات الأربع"، قال جوليان وهو يشير إلى السبورة. "بينما تأخذ رحلتك للعودة، عليك أن توقظ عقلك وجسدك ومشاعرك وروحك".

"هذا مشوق للغاية يا جوليان. لقد كنتُ في صراع مع هذه النقطة. فكما ذكرتَ، بعض الكتب تقول إننا نجد أفضل حياة لنا حين نصقل أعلى إمكانيات عقولنا. هؤلاء الكتّاب يقترحون أن نقرأ المزيد من الكتب ونتعلم المزيد لكي نستمر في استكشاف نوعية تفكيرنا. يقولون إن أفكارنا تخلق الحقيقة. يقولون إن حياتنا ستتحول حين نغيّر ما نعتقده".

"هذا صحيح إلى حد بعيد يا دار. لكنها ليست نهاية القصة. إن إيقاظ العقل له *خمسة وعشرون في المائة* فقط من استعادة التمام واسترجاع الكمال. نعم، عليك أن توقظ العقل، مما يعني استكشاف لُب معتقداتك وافتراضاتك ومخاوفك. ويمكن القيام بذلك من خلال التعلم واكتشاف حقائق الآخرين من كتبهم وأقراصهم المضغوطة ومؤتمراتهم. يمكن إيقاظ العقل -والذي أشير إليه باسم اليقظة الأولى- بالتدوين كذلك، والتأمل الصبور وبأن تبقى صامتًا بحيث تنتبه أكثر للطريقة التي تعيش بها وتصبح مدركًا لكل ما لا تعلمه. إن اليقظة الأولى تتحدث عن التراكم والمعرفة والتعلم وأن تكون واعيًا بالخيارات العليا المتاحة لك. هذا هو العمل العقلاني الذي يجب القيام به من قِبل تلميذ على الطريق الروحاني. لكن وفي موازاة إيقاظ العقل، هناك ثلاثة أبعاد أخرى يجب إيقاظها لكي تعود لحالة التمام وتغلق كل فجوة في الكمال: الجسد والمشاعر والروح. عليك أن توقظ الجسد بالطبع. فالعقل السليم دون جسد صحّي لا يعكس أي كمال. لا يوجد تمام هنا. لذلك، فبموازاة اليقظة الأولى، عليك أن تقوم بالإيقاظ الثاني كذلك".

"إذًا، ما الذي يمكنني القيام به لكي أوقظ جسدي؟"

"تمارين منتظمة، نظام غذائي رائع، ضوء الشمس، تدليك، هواء منعش، الكثير من الماء، فيتامينات ومكملات غذائية، العلاج بالطاقة، اليوجا..."

أجبتُ: "فهمت هذه النقطة يا جوليان، هناك سلسلة كاملة من الأدوات المتاحة لي، أليس كذلك؟"

"بالطبع. الإيقاظ الثاني -مداواة الجسد- هي في تأكدك أن البُعد البدني لديك في حالة رائعة. وبينما توقظ العقل إلى جانب الجسد، كن متأكدًا أن توقظ مشاعرك. وهذا هو الإيقاظ الثالث. من المهم أن تتعامل خلال أي غضب كنت تحمله خلال الحياة. من المهم أن تصفح عن أي شخص جرحك وآذاك. إن التسامح شيء تقوم به لنفسك، هل تعرف ذلك؟"

أجبتُ بصدق: "لم أكن أعرف ذلك".

"إنه كذلك. حين لا تسامح شخصًا ما، فكأنما أنت تحمل ذلك الشخص على ظهرك - وهو حِمل ثقيل للغاية. وبمجرد أن تعفو عنه، تتخلص من هذا الحمل. يمكنك أخيرًا أن تتحرك مع الحياة. لم يعودوا يجذبونك إلى الأسفل وتكون أكثر حرية بكثير كإنسان. ولكن عليّ أن أخبرك أن الصفح عن شخص ما يختلف عن مجرد تغاضيك عن تصرفاته. فالصفح عنه يعني ببساطة أن تدرك أن الناس يأتون بتصرفات مؤلمة لأنهم أنفسهم يتألمون، كما ذكرت لك سابقًا".

سألتُه: "لكن هل هو شيء صحي بالفعل ألا أتحدث صراحة عن السلوك المؤذي؟".

"أعتقد أن ما أحاول إخبارك به أن على المرء أن يذهب أعمق ويدرك الحقيقة خلف حكمك على الآخرين. إنني أدعوك لفهم أن

الأشخاص الذين يجرحون الآخرين يجرحون أنفسهم بذلك. هؤلاء الذين لا يحبون أنفسهم، لا يمكنهم إظهار الحب لغيرهم. وهؤلاء *الذين ليس لديهم احترام للذات ليست لديهم فكرة عن كيف يمنحون الاحترام للآخرين*. استمر في تذكّر ذلك وسوف تتحرر. استمر في التدوين عن هذه الحقائق والوقائع الخالدة بحيث تترسب عميقًا داخل وعيك. استمر في وضع صوت لمخاوفك وسوف تتحرك خلالك. تذكر، المشاعر مثل الأمطار العاصفة، لها بداية ووسط ونهاية. لو أننا قيدناها، فسوف تتقيح كالجروح. لو أننا انتبهنا لها وجلبناها لضوء وعينا، سنمر عبرها وسوف تكتمل. وسوف نتحرك نحو صحة أفضل وأفضل".

"وماذا عن اليقظة الرابعة، تلك الخاصة بالروح؟" سألت وأنا أسير نحو السبورة وأشرتُ إلى الربع الأخير.

"سؤال ممتاز. حين نوقظ الروح، فإننا نغذي نفسنا العليا. يبدو هذا شيئًا مختلفًا من شخص لآخر. فبالنسبة للبعض، قد يتضمن إيقاظ الروح الدعاء أو الصلاة. وبالنسبة لآخرين، قد ينعكس الاهتمام بالروح بالتواصل مع الطبيعة أو الاستماع إلى الموسيقى المؤثرة. ومع ذلك يتضمن إيقاظ الروح لآخرين الخدمة والتطوع والحياة من أجل قضية أكبر من ذات المرء. أيًا كانت الوسائل أو الأدوات التي تستخدمها، تذكر فقط أن علينا أن نبدأ عملية إيقاظ الأبعاد المركزية الأربعة في الوقت نفسه".

"ذلك يبدو وكأنه كثير من العمل يا جوليان"، قلت بصدق.

"تذكر أن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة. ليس عليك أن تقوم بكل ذلك في أسبوع أو شهر. فقط تأكد أنك في كل يوم تقوم بشيء لتستيقظ على من تكونه بالفعل، ولا يهم كم يبدو الأمر بلا أهمية. إنني

أنصحك بشدة أن تضع التزامًا لنفسك هنا، في هذه الحجرة. استغل الكثير من أول ستين دقيقة في كل يوم -ساعتك الروحانية- لتعمل على اليقظات الأربع. هذه طريقة مؤثرة بشكل لا يصدق لكي تعيش حياتك العظمى وتدرك مصيرك".

تعهدتُ قائلاً: "يمكنني القيام بذلك، لقد بدأت قضاء الوقت كل صباح بالفعل، كما أخبرتني أن أفعل، محسنًا العمل الداخلي الخاص بي. وهذا يجعل الأمر شديد المنطقية يا جوليان".

"تعهد لنفسك هنا في هذه الغرفة أنك ستمضي الوقت في بدء يومك مشتغلًا على المناطق الأربعة الأساسية من حياتك الداخلية. قد تستغرق ذلك الوقت في التدوين أو القراءة أو التأمل. تستطيع أن تستخدم جزءًا من هذا الوقت في الدعاء وجزءًا آخر من الساعة في التدرّب. هذه الاستراتيجية وحدها بالفعل ستحوّل حياتك، لو أنك تبنيتها ودمجتها في حياتك. ثق بي في ذلك. فكما ترى يا صديقي، إذا لم تسعَ للتأثير في الحياة فستنساب الحياة من بين أصابعك. فستنقضي الأيام إلى أسابيع والأسابيع إلى شهور... وقبل أن تدرك ذلك، ستكون حياتك قد انتهت. لا تدع الكنز الرائع والجميل في حياتك يتسرب بعيدًا. استمر في القيام بالخيارات التي ستساعدك على تذكر من أنت. خذ ستين دقيقة من بداية يومك لتقوم بالعمل الداخلي المطلوب لكي تعمّق نفسك وتوقظ التمثال الذهبي داخلك. سوف تكون تلك هي هديتك الأعظم الوحيدة التي منحتها لنفسك".

عاد جوليان إلى دائرة الصدق.

"هناك جزء واحد نهائي حول المرحلة الرابعة -مرحلة تعليمات الأساتذة- والذي أريد أن أشاركك إياه. إنها فلسفة شديدة الحكمة لكي

تربطك كل يوم بأخلاقياتك. تذكر أن الحياة قصيرة وأنك لا تعرف متى ستنتهي. كلانا ربما يموت غدًا يا دار. والمفتاح أن تلعب لعبتك الأهم وأن تعيش أعلى احتمالاتك الآن. يذكّر الحكماء أنفسهم بأن كل يوم قد يكون آخر يوم لهم. وبقيامهم بذلك، يضعون لأنفسهم التزامًا بأن يعيشوا بالحب وليس الخوف خلال ساعات يومهم". اقترب جوليان من مكتب قريب منه وزفع قطعة أنيقة من ورقة مكتوبة.

أكمل. "جميعنا لدينا الخيار والفرصة لنكتب قصة حياتنا لو أننا أردنا ذلك. كل يوم هو فرصة لصنع فارق في كيف تسير حياتنا. لا يجب أن تنساب الحياة سهوًا من بين أصابعنا. نستطيع أن نختار أن نأخذ خطوات واعية خلال ساعات يومنا لنغلق فجوة الكمال ونقلل من التدوير. يمكننا أن نتخذ قرارًا يوميًا بأن نقوم بشيء ما لكي نتقدم في اليقظات الأربع. يمكننا استخدام كل يوم كنقطة انطلاق لنعيش حياة أكبر وأعلى. فمن خلال اختياراتنا، يتشكل مصيرنا *المحدد*".

"أحد أكثر الأشياء تأثيرًا مما يمكنك فعله هو أن تكتب قصة حياتك مقدمًا. قد لا تتحقق بالضبط كما فصّلتها، لكن وكما يقول المثل القديم: 'لو لم تكن تعرف إلى أين أنت ذاهب، فأي طريق سيأخذك إلى هناك'. فمن الأفضل أن تكون لديّ خطة موضوعة من ألا تكون لديّ خطة على الإطلاق. أنت تعرف فلسفتي: على المرء أن يقوم بأفضل ما يمكنه ثم يترك الحياة تقوم بالباقي. حاول أن تقوم بالأفضل، ضع أهدافًا واضحة، سر خلف أحلامك، ثم تقبّل ما يأتي. الحياة توازن لطيف بين القيام بالأشياء وترك الأشياء تحدث. قم بأفضل ما تعرفه. حدد أهدافًا وصرّح بنواياك، تتبع أحلامك إلى ما ترغب في استقباله من الحياة. ثم تحلّ بالشجاعة والحكمة لكي تتخلى عن النتائج. سلّم أهدافك وتقبّل أيًا

مما يأتيك، عارفًا أنه لصالحك، حتى لو لم يبدُ كذلك حينها. الحياة نسيج مزدان نُسِج بإتقان بشكل متصل. نحن في الغالب لا نتلقى ما نريد، وإنما دائمًا نتلقى ما نحتاج إليه. دائمًا ما نحصل على ما فيه مصلحتنا القصوى. هذا هو أحد الدروس *العظمى* في الحياة".

"إذًا ما الذي تريد مني أن أفعله؟"

"أريدك أن تكتب قصة حياتك. أريدك أن تكتب نعيك. أريدك أن تحلم بقوة من جديد وتتعامل مع القدرات الكامنة المحتملة التي قُدِّر لحياتك أن تكونها يا صديقي. هذه خبرة شعورية، حتى إنها قد تجلب الدموع إلى عينيك. لكنني أريدك أن تكتب بكامل إحساسك وكل أوقية من حبِّك. افتح قلبك لهذا التدريب".

في هذه الغرفة، في هذه الليلة من الربيع، كتبت قصة حياتي، محاطًا بالشموع وبشخص محب أراد الأفضل لي. كتبتُ عن الشخص الذي أردت أن أكونه وعن الحياة التي أردت صنعها. كتبت عن المرأة التي سأجدها والزوج الذي سأكونه. كتبت عن حياة الأسرة التي طالما شعرتُ بأنني أستحقها. وكتبت ما أردتُ حياتي أن تمثله كإنسان. كتبت بقوة عن القيم والمعتقدات الحقيقية والمبادئ التي سألتزم بها. كرستُ نفسي، في هذا المساء الساحر، للعب أكبر لعبة لي كشخص وترك الضوء الذي اكتشفته بداخلي يخرج ليرى ضوء النهار. ستزول الطبقات الطينية من فوق تمثالي الذهبي. ستستمر القيود التي كانت تقيدني بالتحطّم. سأستمر في التحرك نحو الحقيقة والتنوّر. سأستمر في السير نحو الحياة.

بدأت الدموع في التدفق من عينيّ. بدأت أصرخ بصوت مرتفع. بعدها كنت أنشج كطفل صغير. بدأ جوليان في البكاء كذلك، متأثرًا بوضوح بشجاعتي إلى جانب رغبتي في "زيارة الأماكن التي تخيفني"

والتعمق أكثر من أي وقت مضى. كنت أستطيع الشعور بأن قلب هذا الرجل متسع بلا حدود. وقد ضع ذراعيه حولي وواساني. ثم طلب مني السماح بأن يقرأ ما كتبته. وكنتُ سعيدًا بأن أشاركه ما يتوق إليه قلبي.

وبعد أن وضع الورقة، نظر إليّ وقال ببساطة: "جميل. إنك على الطريق إلى العودة".

الفصل الثامن

التلميذ يبدأ في التحويل وإعادة تجديد نفسه

"الحالم هو الشخص الذي يمكنه إيجاد طريقه فقط في ضوء القمر، وعقوبته هي أنه يرى الفجر قبل بقية العالم".

- أوسكار وايلد

شك قليل، تنوّر قليل. شك كبير، تنوّر كبير.

- من أقوال الزن

في الوقت الحالك، تبدأ العين في الرؤية.

- ثيودور رويتك

كان ذلك هو أصعب أوقات حياتي. لقد مرت ستة أسابيع منذ التقيت جوليان في مبنى المدرسة. الآن أرى العالم من خلال أعين جديدة وبدأت الأساسات التي استقر عليها عالمي القديم في الانهيار. معظم الوقت، أتساءل ماذا كان يجري وأحيانًا كنت أشعر بالارتباك. ومع تركي عند نهاية آخر جلسة لنا، أوضح لي جوليان أنه حين أتحرر من طريقتي القديمة لرؤية الأشياء، ستظهر مخاوفي الكبرى على السطح وسأتمسك

بما عرفته في الماضي، وبرؤيتي لعالمي القديم. قال إنني، كالعادة، كان لديّ خيارات حول كل شيء. كان يمكنني الاستمرار في التحرك أبعد على امتداد طريق العودة نحو من كنت فعلًا، أو كان يمكنني أن أقاوم رحلة القيادة تلك وأن أبقى راكدًا. اقتبس جوليان قول الفيلسوف جوزيف كامبل الذي قال: "الحياة البطولية هي أن تعيش المغامرة الفردية. ومعنى أن ترفض الدعوة هو الركود". وفي أعمق مكان داخلي، أردتُ أن أستمر في التقدم طوال الرحلة التي بدأتها حين التقيت جوليان لأول مرة في المؤتمر التحفيزي، لكن الأمر أصبح أصعب أكثر وأكثر.

كنت أتساءل بعض الأحيان ماذا لو أن جوليان كان مخطئًا. ماذا لو أن الطريقة التي يرى بها العالم وكل نظرياته كانت على خطأ؟ ماذا لو أن طريقتي القديمة لرؤية العالم كانت صحيحة والتخلي عن هذا النموذج المعتاد كان سيأخذني إلى مكان مجهول، حيث ستصبح حياتي أسوأ؟ ماذا لو أن كل هذه المعتقدات والفروض التي اعتمدتُ عليها طوال حياتي -مثل "لو أعطيت الكثير للآخرين، فسوف يستغلونك"، أو "الطريقة الوحيدة للنجاح هي أن تسيطر على المنافسة" أو "كلما جمع المرء، شعر بسعادة أكثر"- كانت الحقائق *الحقيقية* التي تحكم العالم؟ وإذا لم ألتزم بها، فربما تفشل حياتي بشكل كامل. ربما كان جوليان -رغم حسن نيته- غير متزن ومتطرفًا في فلسفته.

كان معظم الوقت الذي أقضيه في العمل غير واضح. كنت مستهلَكًا بالصراع الداخلي الذي كنت أواجهه. وفي لحظات الوضوح، أدركتُ أنه ربما ظهر ارتباكي من حقيقة أن إحدى قدميّ لا تزال في عالمي القديم والأخرى تدخل عالمًا جديدًا تمامًا. وجدتُ جملة مقتبسة من أرسطو جعلت من التحديات التي كنت أمر بها شيئًا

منطقيًا في هذه الرحلة للعودة إلى الأصل وإلى حياتي الكبرى. وقد قمتُ بوضعها على مرآة الحمام بحيث أتمكن من قراءتها كل صباح. وإليك ما بها:

يسطع جمال الروح حين يتحمل المرء سوء الحظ مرة بعد الأخرى بهدوء، ليس لأنه لا يشعر بهذا، وإنما لأنه شخص ذو مِزاج عال وبطولي.

كان من المرعب أن أتخلى عن العالم الذي عرفتُه وأن أنفتح على عالم آخر جديد لم أعرفه من قبل. لكن جوليان أخبرني أننا سنكون في غاية الحيوية حين نسير نحو المجهول ونملك الشجاعة لنسير نحو جدران مخاوفنا. ظللتُ كذلك أذكّر نفسي بما علمني إياه جوليان عن أن الارتباك سيفسح الطريق دومًا للوضوح، وأن الفوضى ستؤدي حتمًا إلى الثقة. كان عليّ أن أثق في جوليان. لم يفهم أحد من أصدقائي ما كنت أتحدث عنه في تلك الأيام وظن زملائي في العمل أنني قد جننتُ. وخلال هذه الفترة، شعرت أنني وحيد للغاية وقررتُ أن أقضي المزيد من الوقت في الطبيعة. كنت أخرج وأسير بين الأشجار. وشعرت بالارتياح نوعًا ما. أحسستُ أنني جزء من كون أكبر وملأني إحساس بالسلام.

خلال هذه الفترة من الفحص الذاتي والتحوّل الشديد، كنت أستيقظ في منتصف الليل، متعرقًا ومرتعشًا، وأحيانًا شاعرًا بألم حاد يحرق قلبي. "ما الذي جلبته لنفسي بهذه العملية الإرشادية؟" كنت أتساءل. كانت الأشياء أيسر كثيرًا من قبل. يمكنني أن أرى لمَ قال الفلاسفة إن الجهل نعيم. ربما لم أكن قد عرفت الحقيقة قبل أن ألتقي جوليان، لكن كان هناك بعض الراحة في وهم حياتي القديمة.

ومع ذلك، مع كل المخاوف الضخمة والارتباك التي بدأت في إظهار نفسها وكل الأسئلة التي تتسابق داخل عقلي وكل الألم القديم الذي بدأ يظهر بينما أتعمق داخل رؤيتي للعالم، اكتشفتُ إحساسًا جديدًا بالبهجة. في البداية لم يكن ذلك يحدث كثيرًا، لكنني بدأت أشعر بالمزيد من الحياة أكثر مما شعرتُ به طوال حياتي. ربما كنتُ أفيق للحياة بالفعل كما لم يحدث من قبل. كل ذلك حدث حين بدأت أتقدم خلال هذه "الجروح القديمة" التي تحدث عنها جوليان، وأتحمل مسئولية الأخطاء التي فعلتها في الماضي. وحين تفكرتُ في طفولتي إلى جانب خبراتي الراشدة، بدأت مشاعري وذكرياتي القديمة المنسيّة منذ زمن في الظهور. كنت أكتب عنها بشكل يومي. كنت كذلك أكتب خطابات لنفسي كطريقة للتقدم خلال المشاعر. وكلما بدأت بالشعور بأحاسيسي، تعمقتُ داخل نفسي. كان الأمر بالفعل وكأنني أتحرك خلال طبقات مختلفة، مقشرًا القديم لكي أتمكن من الوصول إلى الحقيقة. كنت أتعرف على من أكون بالفعل. وقد قال جوليان إن ذلك "عمل نبيل".

ومرة أخرى، عليّ أن أكون صادقًا معك: لم تكن هذه العملية يسيرة. لكنها أشعرتني بإحساس كبير بالرضا، كلما تعمقتُ. وكما أقول، أكثر وأكثر، بدأت أشعر بالسعادة التي لم أشعر بها من قبل. وكان مكان المعرفة الموجود عميقًا بداخلي يعرف أن هذه كانت السعادة الحقيقية.

في صباح ما، استيقظتُ على انفلاج الفجر وشاهدتُ الشمس تشرق. وجدتُ نفسي أبكي مبهورًا بجمال هذا المشهد الطبيعي من الطبيعة. وفي أحيان أخرى، أصبحت الموسيقى التي تعودت أن أستمع إليها بشكل يومي شيئًا جديدًا أشعر به على مستوى جديد تمامًا. تظهر الابتسامة على وجهي بينما أتأثر بأوبرا مكتوبة ببراعة أو أشعر بالإلهام بسبب أغنية شعبية. تغيرت طريقة تعاملي مع الناس كذلك.

رأيت أصدقائي وأفراد أسرتي إلى جانب زملائي خلال عدسات جديدة وشعرتُ بحُب لم أشعر به تجاههم من قبل. والأشياء التي فعلها الناس وكانت تغضبني في الماضي، أصبحت تزعجني أقل كثيرًا، لأنني أدركتُ أنهم ببساطة يتعاملون من منطلق جروحهم ومخاوفهم. لقد كانوا يفعلون أفضل ما يمكنهم باعتبار ما يعرفونه، وكما قالت مايا أنجلو: "حين نعرف أكثر، يمكننا أن نقوم بما هو أفضل". كنتُ أذكّر نفسي أنه عميقًا داخل كل واحد منهم، يرقد الذهب والروعة والإنسان المحِب. وفي كل مرة يقوم شخص ما بشيء يجرحني، حتى بأقل الأساليب، كنتُ أتذكر فكرة جوليان من أن "الأشخاص الذين يتألمون، يقومون بأشياء مؤلمة". والأشخاص الذين يخافون يقومون بأشياء مخيفة. كانوا يحتاجون لعفوي، لا لغضبي. ولو لم أستطع إيجاد العفو داخلي، فقد كان عليّ أن أتحمل مسئولية ذلك وأتعمق أكثر حتى أصل إلى المزيد من قلبي. فداخل كل شيء كان يزعجني من شخص آخر، كانت تكمن هدية لنمو ذاتي. وفي كل ظرْف سبب لي الإحباط، تكمن هناك فرصة رائعة للتحرك خلال إحدى طبقاتي، وبقيامي بذلك، بتذكري المزيد عن أفضل ما بنفسي - أجد المزيد من قوتي الأصيلة. لقد كان الخيار خياري: *أن ألوم أو أستعيد قوتي.*

كان من الواضح أن هذه فلسفة جديدة بالنسبة لي. قليل من الناس في العالم الذي أتيتُ منه كانوا يفكرون بتلك الطريقة. لكن الأمر بدا صحيحًا: فموقع المعرفة داخلي كان يعرف أنه كلما تقبلتُ هذه الطريقة للعيش، أصبحت حياتي أفضل. كانت غرائزي تخبرني أن طريقة العيش تلك هي طريقة الحكمة.

طلب منّي جوليان أن أقابله في حديقة الحيوان. وبالتحديد، طلب

مني أن أكون في المنطقة المعروفة باسم جنّة الفراشات، والتي كانت موطنًا لآلاف الفراشات، من الأكثر محلية إلى أكثرها غرابة.

وبينما اتخذتُ طريقي إلى المكان المحدد، جلبت لي رائحة الزهور الجميلة التي تحدّ طريق السير شعورًا رائعًا وذكرتني بجمال الحياة. الحياة بالفعل نعمة رائعة. كثيرًا ما نستغرق في الأشياء التي لا تفلح في حياتنا ولا ننتبه لما يفلح. أخبرني جوليان أن أحد قوانين الطبيعة التي تسيّر العالم هو أنك حين *تركز على ما لا تريده في حياتك، فإنك في الحقيقة تمنع ما تريده من أن يأتي*. وما تستثمر انتباهك فيه سيكبر داخل حياتك. ركز على ما لا ترغب فيه وسوف تحصل على المزيد منه. العالم مرآة. وكما علّمني، فنحن نحصل من الحياة ليس على ما نريد، بل على من نكونه ككائنات روحانية. لقد أصبحتُ أدرك، وبطرق عديدة للغاية، أن المتع البسيطة من الحياة هي الأكثر إرضاءً. لذلك هذا ما بدأتُ في التركيز عليه.

أخذتُ أبحث عن جوليان، لكنه لم يكن هناك. سألت القليل من المرشدين الموجودين هناك ليساعدوا السائحين، في الواقع، إن كانوا قد رأوا شخصًا حسن الهيئة يرتدي زي راهب. قلتُ لهم "لا يمكن أن تروه ولا يلفت انتباهكم". ابتسموا وقالوا إنهم لم يروا مثل هذا الشخص. استغللتُ الفرصة بينما أنتظر وصول جوليان لكي أراجع بعض النقاط التي دونتُها في دفتري. وجدتُ أن فعل الكتابة لم يكن يدوّن خطوات الرحلة الرائعة التي أنا فيها فقط، بل إن دفتري كان يقدم لي وسيلة للتعرف على نفسي، لمحاولة جني الشفافية فيما يخص اليقظة التي تحدث في حياتي.

لقد أتاح لي التدوين أن أفكر على الورق، ثم أخطو خارج نفسي وأقيم بموضوعية أفكاري وأفعالي. أتاح لي التدوين فرصة للتفكير

بموضوعية في نوعية تفكيري. لو أن طريقة ما كنت أفكر أو أتصرف بها لم تكن تتاسب الحياة التي كرستُ نفسي لصنعها، فقد كان يمكنني أن أقوم بخيارات جديدة تتماشى أكثر مع الشخص الذي أريد أن أصبح عليه ومع ما أريد أن أحصل عليه. شعرت بالروعة فقط لكوني قادرًا على التعبير عن نفسي، وكما وصفه جوليان، أن يكون لي حوار مع نفسي. وقد كانت الفكرة جيدة: لو لم تكن لدينا حوارات مع أنفسنا، فكيف يمكننا أن نتعرف عليها؟ وكلما عرفنا أنفسنا بشكل أعمق، استطعنا القيام بخيارات حقيقية للقيام برحلة القيادة عائدين إلى المكان الذي دائمًا ما عرفنا، في صميم نفوسنا، أننا نريد أن نكون فيه. في المعابد الإغريقية الرومانية القديمة، وفوق المدخل، كان المرء يجد الكلمات التالية: "اعرف نفسك وسوف تعرف الكون بأسره". أصبح ذلك أكثر منطقية لي من ذي قبل.

قمتُ وأكملت البحث عن جوليان، لكن بعد نحو عشر دقائق، لم أجد له أثرًا. وفجأة، سمعتُ طرقة عالية آتية من إحدى الغرف الزجاجية حيث تسكن الفراشات النادرة. نظرت هناك ولم أستطع أن أصدق عينيّ. لم يتوقف جوليان أبدًا عن إدهاشي! لقد كان داخل الغرفة المغلقة، مغطىً بمئات الفراشات الجميلة الأروع مما رأيت في حياتي قط. كان هناك العديد من الألوان والكثير من الحياة في تلك الغرفة. كان لا يزال يرتدي زيّه الأحمر. ولا يزال يرتدي خفيه. لكن جوليان هذه المرة، كان يرتدي إحدى تلك القبعات التي يرتديها حراس حديقة الحيوان غالبًا، بشَبَكة كانت تغطي وجهه تمامًا. كان يضحك وهو ينادي عليّ خلال الزجاج: "تعالَ إلى هنا يا صديقي. درس اليوم رائع! وأنا أعرف أنك مستعد لاكتشافه. هناك واحدة من تلك القبعات لك خارج الباب، لقد أعددتُ كل شيء مع الحديقة".

ذهبت نحو الباب وارتديتُ القبعة تتدلى منها الشبكة، كما طلب مني مدربي الذي يتميز بالغرابة والفعالية العالية. دخلت الغرفة وذهلتُ من معجزة الطبيعة التي كانت تلك الفراشات تمثلها. ربما يكون العالم كاملًا وكل شيء يحدث طبقًا لخطة بارعة بشكل هائل. نحن نحاول أن نفهم لماذا تسير حياتنا بالطريقة التي تسير بها، لكن ربما نحن نحاول أن نمنطق شيئًا خلقه عقل أكبر بكثير من الإدراك البشري. ربما هناك كمال في حياة كل منّا، كمال لا ندركه حين ننظر من خلال عدسات الحُكم والخوف. نعم، لدينا الكثير من القوة لنحت الطريقة التي تبدو عليها مصائرنا. لكن هناك قوة أكبر تأثيرًا تكون في نهاية الأمر هي من تسيطر وتتحكم.

بدا جوليان كطفل صغير، يلعب مع الفراشات مبديًا شعورًا بالذهول والسعادة. كان يضحك ويصفق بيديه وهو يتنقل داخل الغرفة، والفراشات منجذبة. بعدها فرّق الفراشات، بدت وكأنها تفعل ما يأمرها به. وسار نحوي.

"كيف حالك يا صديقي؟" سألني بسعادة وهو يسير نحوي ويعانقني، والقليل من الفراشات لا تزال تقف على كتفه.

أجبته بصدق: "حسنًا، لقد مررتُ بأسابيع أفضل. لقد حدث الكثير للغاية لي. لا أدري إن كنتُ آتيًا أو ذاهبًا في بعض الأحيان يا جوليان، هناك بالفعل الكثير من الألم أمر به. لم أكن أعتقد أن طريق اليقظة سيتضمن المعاناة".

"كل ذلك جزء من المراحل السبع يا دار. هذا الطريق يتطلب شجاعة هائلة. إنك تتعلم ذلك خلال خبرة مباشرة، وهي أفضل طريقة للتعلم. لا يوجد كتاب يمكنه أن يقترب من تعليمك ما تستطيع الحياة نفسها أن تعلمك إياه لو أنك عشتَها بعينيك مفتوحتين وكنتَ مدركًا

لدروسها. المغامرة هي الحياة يا صديقي. إننا نتصرف كصغار ظنًا منا أن هذه هي الطريقة الآمنة للعيش، في حين أنها أكثر مكان غير آمن يمكن أن تكون فيه. وهذا جزء من الوهم".

"أتفق معك يا جوليان. قال نيل دونالد والش: 'أنت شديد الخوف من أن تعيش، شديد الخوف من الحياة نفسها، لأنك تخليتَ عن طبيعة كيانك الأصيلة من أجل الأمان'".

قال جوليان: "جميل. لم أسمع بهذا القول من قبل". أغلق عينيه، متأملًا كما كان يبدو، ومستغرقًا فيما أخبرته به للتو. كان جوليان منصتًا رائعًا. وأنا أحببتُ تواجدي معه. كان يُشعرني بأنني مميز.

"ألقِ نظرة على هذه"، قال جوليان ذلك وهو يشير إلى شرنقة. "كتب ريتشارد باتش مرة أن 'ما تراه الدودة كنهاية للعالم، يراه المعلم فراشة'".

تحدثت هذه الكلمات إليّ على مستوى الروح. فقد بدت الكلمات صادقة.

وأكمل جوليان: "إنك تمرّ خلال مرحلة التحول. تعاني من تحوّل عميق. لقد عشتَ حياتكَ بأكملها ككذبة كبيرة. خدعت نفسك وعشتَ بشكل غير حقيقي، لكي تتواءم مع الحشد ببساطة. كانت خياراتك وتصرفاتك تستند إلى وهم. هل تذكر هذه الصورة الزائفة التي بدت حقيقية على جدار الكهف؟"

أجبته: "وهل يمكن أن أنساها أبدًا يا جوليان؟".

"سوف تتذكر أن المرحلة الثانية من طريق الباحث عن الحقيقة تتضمن خيارًا أساسيًا: أن تبقى نائمًا وصغيرًا أو أن تركب رحلة واعية نحو التنوّر والنفس الكبرى. ولو اتخذ الخيار الأخير، فسيتحرك الباحث حينها إلى المرحلة الثالثة، حيث سيرى حقيقة جديدة تمامًا تبدأ في

الانكشاف، والمرحلة الرابعة، حيث يتوق إلى الإجابات التي يقدمها الأساتذة عما يحدث له ويبحث عن فهم أكثر صدقًا للعالم الذي يوجد خلف الوهم. وهذا يجلبنا للمرحلة الخامسة، مرحلة 'التحول والميلاد الجديد'. إنه وقت عسير، عسير على الباحث، لأنه وقت التحوّل العميق. وهو أشد الأوقات أهمية وإثارة في حياته كذلك. وأحيانًا ما يأتي النمو بطرق عسيرة. غير أن النمو دائمًا ما يكون جيدًا. 'الطريق إلى أحلامك يمكن إيجاده فقط وإحدى قدميك في الأبدية والأخرى على أرض متصدعة'، هكذا ذكر المفكر ريك تاركينو".

أكمل جوليان: "أنا أعرف كم تشعر بالارتباك هذه الأيام. وأتفهم الألم الذي تتحمله. هناك معاناة بينما تسير على الطريق. وأنا لا أريد أن أقلل مما تمر خلاله. لكن عليّ أن أخبرك أنك لو استطعت أن تنظر إلى حياتك من منظور أعلى بخمسين ألف قدم، لرأيت أن كل شيء رائع للغاية".

"رائع؟ أنا لم أعانِ بهذا القدر في حياتي من قبل. لم يحدث أن كنت بهذا الارتباك في حياتي. إن حياتي تبدو وكأنها تتحرك نحو الفوضى، وليس نحو مكان أفضل".

أجاب جوليان: "ليس هذا سوى إدراكك الآن فقط. عيناك الآدميتان تريان ارتباكًا وفوضى. لكنك في عملية اكتساب رؤية جديدة. وحين تفعل، سوف ترى أن كل ما يحدث لك هو جزء من عملية التخلي عن نموذجك القديم للحياة. وكل ما يظهر أمامك هو انعكاس لحقيقة أنك تمرّ بتوقيت للنمو الشديد. أنت تتخلى عن كل شيء تعرفه وكل طرق الرؤية والتصرف التي حكمت حياتك السابقة. وبينما تتخلى وتفرغ نفسك من كل ما كنت عليه، فإنك تنشئ مساحة في حياتك لأشياء جديدة لتدخلها. أنت تخصص مكانًا لوعي جديد وطريقة جديدة للتعامل والكيان. نعم،

إنها فوضوية في بعض الأحيان. كيف لا تكون كذلك؟ فالأساسات التي عشتَ على أساسها حياتك يتم اعتراضها وتمزيقها. لكن ثق بي حين أخبرك أن هذا هو أفضل شيء حدث لك أبدًا. إن عقلك يستيقظ. قلبك ينفتح. مشاعرك تتعافى وروحك تطير. إنك تستعيد قوتك الأصلية، والتي هي مختلفة كثيرًا عن القوة الخارجية التي تشترط ألقابًا كبيرة وحسابات مصرفية ضخمة ومكاتب مميزة. فهذه الأشياء تأتي وتذهب مع تيارات الحياة. وحين تذهب، تذهب قوتك مثلها. لكن أحدًا لا يستطيع أن يأخذ منك قوتك الحقيقية يا دار. أنت تكسبها ثم تمتلكها - للأبد. لذا كل هذا جميل. أنت تتخلى عن التحكم الذي سيطر على أيامك من قبل. ومثل دودة تمر خلال شرنقة، أنت تمر خلال الظلمة لتصبح شيئًا جديدًا. ونعم، الحياة مظلمة داخل هذه الشرنقة وفي بعض الأيام، قد يبدو وكأنه لا يوجد طريق للخارج. لكن الحقيقة أن الدودة ستصبح فراشة. والركود سيتحول إلى حرية. هذا هو ما يبدو عليه التغيير العميق وأنا أسمعك حين تقول إن ذلك ليس سارًا. عند هذه المرحلة من رحلتك كباحث، يبدو الأمر كثيرًا وكأنما السيطرة الداخلية الكاملة التي أدرتَ بها حياتك من قبل قد سقطت وتم استبدالها بنظام جديد تمامًا. هناك ثورة تجري في أعماقك. تتشكل معتقدات جديدة. تُصاغ افتراضات جديدة من حيث الطريقة التي يعمل بها العالم. المخاوف تُطلق وتُدرك. والتزامٌ أكبر بالأصالة الشخصية يتحقق. هل ترى كم هذا شيء رائع؟ حاول ألا تقاوم ما يحدث. إنك تتجه نحو مكان رائع يا صديقي. إن أطوار الانتقال في حياتنا هي أوقات ثرية من الحياة. أنت تسير نحو النور. والظلام سيمضي. الفراشة آتية".

"حقًا؟" لم يسعني إلا أن أسأل.

قال جوليان: "إن قوانين الطبيعة توضح قوانين الحياة. أنت تعرف ذلك. لا تستطيع الدودة أن تبقى في الشرنقة للأبد. يجب أن تخرج الفراشة *في الوقت الصحيح*. ثق فقط في توقيت الطبيعة: وهو لا يسير بنفس الساعة التي تسير أنت بها. تذكر ذلك دائمًا. سوف يمر ألمك - كما يفعل دائمًا. وكما قال كارل يونج: 'لا يمكن الوصول للوعي دون ألم'. ومرة أخرى، تحلل من التحكم وأدرك فقط أن تطورًا ما يحدث. وكل شيء على ما يرام".

"كيف تعرف أن ذلك صحيح؟"

"لأنني سرتُ هذا الطريق لليقظة في حياتي الخاصة. تذكر ما قاله ت. إس. إليوت: 'فقط هؤلاء الذين سيغامرون بالذهاب بعيدًا جدًا ربما يستطيعون أن يكتشفوا إلى أي مدى يستطيع المرء أن يبتعد'. إنك تمر بما أطلق عليه الصوفيون ليل الروح المظلم. أنا أعرف أنك تتساءل عن كل شيء. وهذا جيد. التساؤل عن كل شيء يعني أنك لم تعد خروفًا يتبع السرب على نحو أعمى. أنت تستيقظ وتكبر. وهذا ما يفعله القادة. إنهم يتركون الحشد للأبد ويصنعون طرقهم الخاصة. المهاتما غاندي لم يتبع الحشد. لقد وضع رؤيته الأصيلة ثم كانت لديه الشجاعة ليلتزم بها. هيلين كيلر، أميليا إيرهارت، الأم تريزا، مارتن لوثر كينج الابن، وكل القادة الآخرون -من قادة الأمم إلى القادة في الفنون مثل سيلفادور دالي وبيكاسو- قاموا بنفس الشيء. لم يحاول دالي أن يكون مثل ريمبراند أو مايكل أنجلو. لقد عاش من خياله وكانت لديه الشجاعة لسكب البراعة الخلّاقة التي طُمرت في قلبه داخل العالم".

"صحيح للغاية"، سلّمتُ، تاركًا فراشتيْن تستقران على إحدى يديّ.

"لم تعد تعيش حياتك لترضي الآخرين وكي تتواءم لأنكَ خائف من أن تتعرض للهجران. وبدلًا من ذلك، تتحرك داخل قلبك وتبدأ

في سكب المزيد من الحب إلى العالم بالطريقة التي تظهر بها تمامًا كإنسان. إنك تستعيد أصالتك بالفعل. تتحول إلى فراشة وتسترد حريتك. إنني شديد السعادة من أجلك. ونعم، تسبب هذه العملية الألم في حياة المرء".

أكمل جوليان بتشبيه مفيد آخر: "حين يخرج الطفل من قناة الولادة، يكون هناك ألم رهيب. لكنّ الطفل والأم لا يستسلمان. إنهما يثابران خلال طور الانتقال، عارفيْن بأن النتيجة ستكون معجزة. وسوف تمر بمعجزة لو أنك راغب وحافظت على اتخاذ الخيارات الصحيحة. دائمًا ما ستكون لدينا خيارات، كبشر. كل منا لديه خيارات أكثر بكثير مما نعيه. نحن نعتقد أننا محدودون للغاية في الحياة التي علينا أن نعيشها ونفعل ما نقوم به بالفعل. وهذا ليس سوى المزيد من اللغة التي يميل الضحايا لاستخدامها. الأمر دائمًا يرجع إليك - إلى أي مدى تريد أن تذهب على طول طريق العودة من نفسك الاجتماعية إلى نفسك الحقيقية. بعض الناس لا يصعدون على الطريق الواعي أبدًا ويظلون نائمين طوال عمرهم. وآخرون يخطون خطوات للعودة ويذكرون بعضًا من حقيقتهم. وعدد قليل من النساء والرجال قد أكملوا طريق العودة ويذكرون من هم بشكل كامل. هذه الأرواح الشجاعة قد استعادت قوتها الحقيقية بشكل كامل، تلك القوة التي يملكها كلٌّ منّا في داخله، وهم يُعرفون في العالم كـ 'أشخاص متنورين'. هؤلاء كانوا قادة حقيقيين على الكوكب، العمالقة الروحانيون كما تستطيع وصفهم. إن الألم الذي تعاني منه الآن سببه أنك تخرج من قناة الولادة. أنت تمر بميلاد جديد وسينشأ كيان جديد تمامًا عندما يحين الوقت الصحيح. إن هذا الكون أذكى بكثير مما نعتقد، إنه كذلك بالفعل. هناك ترابط رائع يُدير حياتنا.

وكلما استطعنا أن نوقف محاولة دفع النتائج ونبقى ببساطة مع التيار، ظهر السحر الذي يجب أن تكون عليه حياتنا. إن محاولة إحداث كل شيء ودفع النتائج دون وزن الأشياء مع الرغبة في ترك الأشياء تحدث ليس سوى المزيد من التحكم. فقط كن مدركًا لكونك تمر بوقت التحول وعِش لحظتها. اتخذ قرارًا بالاستمتاع وتقدير ما تمر خلاله والمكان الذي سيأخذك إليه. مر بها ببساطة دون أن تصفها بأنها سيئة. تحرر من كل الأحكام - فليست سوى جزء من الوهم. ليس حقيقيًا. علمك الحشد أن هذا النوع من الأشياء 'سيئ'. فليكن لديك إيمان. اشعر بالأحاسيس التي تظهر وتصرّف خلالها حتى الاكتمال. ومع مرور الوقت، ستنظر للخلف نحو تلك *كنقطة محددة* في حياتك بأكملها".

والآن، جذب جوليان كتابًا كثير الاستخدام من حقيبة ظهره. قال: "انظر إلى هذا، هذه بعض قصائد رومي. إنني أحبها". وقرأ من صفحة ما: "رأيتُ الأسى يشرب فنجانًا من الحزن وصِحتُ، 'مذاقه حلو، أليس كذلك؟' 'كشفتَني،' أجاب الأسى 'ودمرت تجارتي. كيف يمكنني أن أبيع الحزن حين تعرف أنه نِعمة؟' إن حزنك في حقيقة الأمر نعمة. إنه يتقدم بك ويوقظك. أرجو أن تتذكر ذلك بينما تدخل المرحلة الخامسة".

"حسنًا، كيف أدخل هذه المرحلة إذن يا جوليان؟ عليّ أن أكون صادقًا معك. أشعر وكأنني أستسلم. لم أعد أعرف إلى من أنصت. أصدقائي وزملائي من عالم مختلف. وجزء مني يعرف أنهم ينتمون إلى الحشد ومعتقداتهم مبنية على وهم. لكن من الصعب أن أتجاهل ما يقولونه لي. أعني أنه من العسير في بعض الأحيان أن أتذكر أن الطريقة التي اعتدتُ أن أرى العالم بها مبنية على كذبة وأن هناك طريقة جديدة بالكامل

وأكثر صدقًا للتعامل كإنسان. أشعر أنني مقيد بين عالمَيْن. وأحيانًا أجد نفسي أتساءل إذا ما كان كل شيء تخبرني به هو الحقيقة بالفعل. أنا لا أشك في أمانتك واستقامتك على الإطلاق. ليس هذا ما أعنيه يا جوليان. إنني أتساءل فقط - ماذا لو أنك مخطئ؟ ماذا لو أنني أجعل حياتي أكثر سوءًا وأتسبب في المزيد من التعقيد لنفسي؟"

"عمل ممتاز يا دار. كلما وضعتَ صوتًا لخوفك، تحرك الخوف خلالك. كلما استطعتَ أن تتحدث عن ذلك، خرجت الظلال الخفية للنور، حيث يمكن فحصها وتحريرها. شكرًا لأنك قلت الصدق: فقليلون يفعلون ذلك. وتذكر، إن التحدث عن خوفك والتصريح به يبدو كثيرًا مثل دعوة الوحش الذي يعيش في السرداب إلى أعلى إلى منضدة المطبخ لاحتساء فنجان من الشاي. يبدأ الوحش في الذوبان بمجرد أن تأتي به إلى نور إدراكك. وما كان مخفيًا ذات مرة داخل عالم اللاوعي، يدخل الآن منطقة العقل الواعي، حيث يمكنك أن تفحصه وتقيّمه، متخذًا الخيارات حوله لو أردتَ ذلك. معظم المخاوف ليست أكثر من مجرد وهم. وأنت تعرف ذلك الآن. ومع ذلك تسيطر على حياتنا. تبقينا صغارًا. تبقينا مقيدين وتملأ حياتنا بالعجز بدلًا من الإمكانية. إن كل ما أطلبه منكَ هو أنْ تبقى على ثقتك بي. فدائمًا ما يكون الليل أكثر ظلامًا قبل الفجر. ويأتي وقت في حياة كل شخص يكون عليه أن يتعامل على الحواف ويأخذ بعض المخاطرات الكبيرة. *يأتي وقتٌ لكل باحث، حيث يعرف هو، عميقًا جدًا داخل قلبه، أن رفض المخاطرة سوف يجعله يستسلم لحياة من العادية. لكن القيام بالوثبة، رغم أنها تتضمن خوفًا كبيرًا إلى جانب شجاعة كبيرة، سوف يسمح له بالرحيل إلى أرض جديدة*

تمامًا. أرض من الممكنات والسعادة والحرية. تعمّق وأنصت لصوتك الداخليّ لك. ثم ثق في توجيهه. الحياة تنكمش أو تتمدد في تناسب مع شجاعة المرء، هكذا كتبت أنايز نين".

"هل تعرف يا جوليان؟ لقد بدأت أسمع نوعًا من الصوت الداخليّ يعلو صوته في نفسي هذه الأيام. وهذا شيء آخر يتغير. قبل ذلك كنت ببساطة أسترشد بحكمتك. إن تدريبك هو ما أدى بي إلى هذه النقطة. يبدو الأمر كثيرًا وكأنني لم أكن أستطيع أن أصل إلى حكمتي الداخلية وحقيقتي الشخصية. لكن ذلك يبدأ في التغير الآن وأنا أفكر في الأمر".

"رائع للغاية ما قلته يا دار. وهذا سبب آخر لرغبتك في استكمال المحادثات، ليس مع نفسك فقط بل ومع أشخاص آخرين ممن يسيرون على نفس الطريق الذي أنت عليه أيضًا. وكثير من الناس في العالم اليوم كذلك. وكما ذكرت لك سابقًا، فالتحادث يعمّق الاقتناع. كلما استطعت أن تتحدث عن الأشياء التي تريد أن تصبح عليها، أصبحتَ قادرًا على تكريس نفسك للقيام بما تحتاج أن تقوم به".

بدأ جوليان في اللعب مع الفراشات. كان الطفل بداخله يبدو حيويًا وعلى ما يرام بشكل واضح. بدا وكأن الفراشات تحبه، وهي تسكن على ذراعيه وكتفيه. وأنا شاركته. بدونا كطفلين يمرحان في فناء المدرسة، يعيشان اللحظة بالكامل، في شدة الحيوية، متحررين من أي وعي أو كبح ذاتي. ربما كنتُ أتعامل مع الحياة بشكل شديد الجدية في الماضي. ربما كان هذا هو أهم وأثرى وقت في حياتي. كنتُ أعرف أن هذه هي الحقيقة كلما تفكرت بشكل أكثر عمقًا. كنت أشعر بها في جسدي، في مركزه المطلق. وكان اللغو الموجود في عقلي يرغب في إخباري بشيء آخر. غير أن جوليان كان على حق: فغالبًا ما لا يكون ذلك اللغو أكثر

من صوت الخوف. إن الدماغ مقيَّد، والقلب محرِر. وأكثر من ذي قبل، أردت أن أتصرف كقائد في حياتي. أردت أن أظهر بشكل كامل وأتصرف بشكل رائع مع أيامي الباقية. أردتُ أن أتخلى عن فيودي وأذهب في رحلة العودة. أردت أن أرجع وأتذكر وأعيد الشخص الذي هو أنا حقيقة، تحت كل الطبقات التي انبنتْ حين اخترت المعتقدات والافتراضات والمخاوف المقيِدة للعالم من حولي. كانت عظمتي تبدأ في الخروج.

إننا خائفون بشكل حرفيٍّ من حقيقة من نكون. خائفون من نورنا. خائفون من روعتنا. خائفون من أعلى إمكانياتنا. خائفون من أن نقف فنبدو طوالاً وندع نورنا يضيء العالم. فمع الهبات العظيمة تأتي المسئوليات العظيمة. وما أظنه أن معظم البشر لا يرغبون في النظر إلى هباتهم لأنهم لا يرغبون في التعامل مع المسئولية التي تعرضها تلك الهبات. مسئولية أن يعيشوا شجعانًا وأن يقوموا بشيء مميز في هذا العالم. وبفعلهم ذلك، يتقلصون بعيدًا عن العظمة. وقد أقسمتُ ألا أدع ذلك يحدث معي.

في الأيام التي تلت لقائي بجوليان في حديقة الحيوانات، كان المزيد والمزيد من الأفكار يأتيني. بدأت الأشياء في الظهور بشكل أكثر منطقية. كان الصبر ضروريًا في رحلة البحث عن الخقيقة وإيقاظ الذات تلك. ولو أن كل ما أردت أن أعرفه وأن يظهر في حياتي قد حدث على الفور، أعتقد أنه لم يكن هناك شيء ليبقى للرحلة. فالسبب التام لأن نكون أحياءً، كما أدركت، هو أن نقضي حياتنا باحثين عن طريق عودتنا. إنها رحلة. غير أن العديد من الإجابات قد بدأت بالفعل في الظهور. لاحظتُ أنها قد بدأت في الظهور فقط حين كنتُ مستعدًا لاستقبالها. والأسئلة التي كنت أصارعها بدت وكأنها أجيبت بطريقة أكثر تناسقًا. كلما بذلت المزيد من العمل

الداخليّ، جاءني المزيد من الحلول والنضج. كلما تعمقتُ داخل نفسي، بدأ خارجي في التغيّر.

في عالمي القديم، كنتُ أظن أن الطريق للنجاة والسعادة هو التركيز على المظاهر الخارجية. بشكل آخر، كنتُ أعتقد أن سيارة أغلى أو بذلة أكثر شياكة قد تجعلني أشعر بشكل أفضل من الداخل. غير أنه كلما قضيتُ المزيد من الوقت مع جوليان، تعلمت أن السعادة عملٌ داخلي. ليست عن السعي وراء قيمة نهائية أكبر - إنها حول حصد قيمة أكبر للذات. ليست بامتلاك المزيد من المال، وإنما عن إيجاد المزيد من المعنى. وهي ليست فقط عن كون المرء ناجحًا بل بأن يكون ذا مغزى حقيقة - أن يكون شخصًا يُحدِث قيمة دائمة في العالم. وأنا أعني بذلك كل شيء بدا وكأنه يتكشف أمامي بشكل طبيعي: كأن هناك قوة أعلى تقودني. كنت دومًا أصارع الحياة. وأعرف أن كل ذلك كان بسبب التحكم. والآن أنا أعيش بشكل مختلف: أترك الحياة تقودني. ولا يعني ذلك أنني لا أتصرف بشكل مسئول. فكل شيء في الحياة في توازن دقيق. لا زلت أحدد أهدافي، أفعل ما عليّ أن أفعله وأتصرف بشكل عمليّ. لكنني بدلًا من مقاومة الحياة، هدأت. استسلمت أكثر. قمتُ بما عليّ وتركتُ الحياة تقوم بالباقي. ولو أخفق شيء بعد أن قمتُ بما عليّ، فأنا أشعر بأنه لم يكن ليحدث. وأن شيئًا أكثر انضباطًا لتطوري الشخصي سيظهر نفسه. حين ينغلق باب، دائمًا ما ينفتح آخر وكل نهاية بالفعل هي بداية جديدة.

بدأت أوازن بين فعل الأشياء وترك الأشياء تحدث. بدأت أوازن بين الفعل والكينونة. بدأت أوازن بين استخدام عقلي والإنصات إلى قلبي. العقل مع العاطفة.

الفصل التاسع

الباحث يخضع للاختبار

إن كان هناك شيء عظيم بداخلك، فلن يظهر عند ندائك الأول. ولن يظهر ويأتيك بسهولة، دون أي عمل ومجهود.

ـ رالف والدو إيمرسون

في الأسابيع الأربعة منذ زيارتي وجوليان لحديقة الحيوان، ظهرت الكثير من البركات في حياتي. أصبحت علاقتي بأطفالي، الذين كنت أراهم كل أسبوع، أكثر انفتاحًا وحُبًا. بدأت أستمع إليهم على مستوى لم يكن متاحًا لي أبدًا من قبل في الحياة التي عشتها قبل لقائي بجوليان، ونمت روابط الحب بيننا بشكل كبير. قالوا لي إنني كنتُ هادئًا أكثر بكثير، وأكثر اهتمامًا، وأكثر مرحًا مما كانوا يعرفون عني. كنت في النهاية أتحول للأب الذي دائمًا ما حلمتُ بأن أكونه.

إلى جانب ذلك، بينما كنتُ أحضر محاضرة عن اكتشاف الذات والتحول الشخصي في مساء ما في مكتبتنا المحلية، التقيت بساشا، أخصائية العلاج بتقويم العمود الفقري، وهي جميلة وذكية. وقعتُ في حبها، ولم أعتقد أبدًا أنني قد أشعر بذلك تجاه امرأة. لقد كانت هادئة وثابتة للغاية وعاقلة جدًا وحنونة ومرحة. كنت أعرف عند لقائي بها، أنه

مقدّر لنا أن نقضي ما بقي من أيامنا معًا. كان مجرد شعور لديّ - شعور انتويتُ أن أمنحه الكثير من الاهتمام بينما أمضي في حياتي.

وبفضل تدريب جوليان إلى جانب مفهوم "ساعته الروحانية"، أعيد بناء عالمي الداخلي. ولكي أحسّن من أول عملية استيقاظ لدي (استيقاظ العقل)، قرأت الكثير من الكتب لكي أطّور وأهذب من أساس الحكمة لديّ. قمتُ بالتدوين بشكل يومي كذلك، منقيًا فلسفة الحياة التي اعتزمتُ اتباعها. قررتُ، بفضل نصيحة جوليان، أن أفكر لنفسي بدلًا من ترك الآخرين يفكرون لي. رفضتُ بشكل مباشر أن أعيش حياة شخص آخر - الحياة التي دعلني الحشد إلى أن أعيشها. لكن بما أن إيقاظ العقل ليس سوى خمسة وعشرين في المائة مما تتطلبه العودة للتمام ولغلق فجوة الكمال، فقد ركزتُ كذلك على تغذية الجسد وشفاء مشاعري والاهتمام بروحي. أذهب أربع مرات أسبوعيًا لجلسة يوجا. أحدد وقتًا ثلاث مرات أسبوعيًا للتفكير في نفسي الشعورية والتصرف خلال أي غضب مكبوت أو حزن كامن كنتُ قد خزنته، بحيث لا يؤثر بشكل غير مباشر على الطريقة التي أفكر وأشعر وأتعامل بها. وفي كل يوم كنت أقوم بشيء، لا يهم مدى صغره، لكي أوقظ جانبي الروحاني. وفي بعض الأيام كنت أصلي؛ وفي أيام أخرى كنتُ أذهب وأجلس في الحديقة لجزء من ساعتي الروحانية، أشمّ الأزهار فقط وأشعر بأشعة الشمس على وجهي. وبالطبع، دائمًا ما التزمت بأن أظل صادقًا مع نفسي وأن أعيش بالقيم التي أراها حقيقية لي بدلًا من أن أترك نفسي أنجذب إلى الحشد بجزء من وعيي فقط.

قد يبدو كل ذلك وكأنني بذلت الكثير من الوقت والطاقة في إيقاظ حياتي الكبرى. وحقيقة الأمر أن الوقت الذي أمضيته على العمل الداخليّ لي كان قد استعرته من كل الوقت الذي كنت سأضيعه في تجسيدي

السابق، منهمكًا في مشتتات عديدة تتراوح بين مشاهدة التلفاز إلى الاستغراق في النوم. كذلك أصبحت أكثر ثقة بأن سبب قضائي الكثير من الوقت في القيام بهذه الأشياء كان أنني، على مستوىً عميق وغير واع، كنتُ متألمًا. كنتُ أعاني من حقيقة أنني كنت أخادع نفسي بعدم عيش الحياة الجميلة بشكل رائع والكاملة التي قُدّر لي أن أعيشها. وإلى أن بدأتُ في معرفة نفسي وزيادة وعيي بما كان يحدث بالفعل داخل نفسي، لم تكن لديّ فكرة لمَ عشت كما حدث أن فعلت. اتبعت الحشد فقط ولم أفكر كثيرًا في الأمر. لقد تورطت في الكذبة. وقعت في شرك الوهم. وكان ذلك يقتلني. "كم من الناس وقعوا في شرك عاداتهم اليومية: جزء مخدَّر، جزء خائف، جزء غير مبال؟ لكي نحصل على حياة أفضل"، كمل يقول أينشتاين، "علينا أن نستمر في اختيار كيف نعيش".

لقد أصبحت الحياة متعة. كان لديّ من الطاقة أكثر مما شعرت به في أي وقت من قبل. جميع أصدقائي أخبروني أنني كنت أبدو أصغر بعشر سنين. شعرت بأنني شديد الارتباط بالبشر الآخرين. وتفجر إيماني ورغبتي في أن أكون كيانًا عظيمًا. وحلّقت أعمالي. أعتقد أن ما أخبرني جوليان به كثيرًا كان صحيحًا: "إننا نجذب لحياتنا ما نحن عليه وليس ما نرغب فيه". عندما أصبح أكثر حبًا وحكمة وحقيقية، فإن العالم الذكي هذا سيقترب منّي ويمنحني الفرص بين يديّ.

أعطاني جوليان نسخته الشخصية من كتاب The Saint, The Surfer and The CEO، وهو الكتاب الذي لاحظته في غرفته بفندق الكيو. وهي قصة عن رجل في رحلة لاكتشاف حياته الكبرى، ويدور الكتاب حول ثلاثة معلمين مميزين يكشفون دروسًا قوية تساعده على القيام بتحوّله. لقد كانت قراءة شديدة الإلهام وأنا أحببت الكثير من الجمل التي احتواها. أستطيع أن أرى لمَ كان جوليان مرتبطًا به. وقرب

النهاية، أصبحت إحدى الجمل المقتبسة تأكيدًا يوميًا لي خلال هذا الوقت من حياتي. كتبتها على مرآة حمامي إلى جانب جملة أرسطو التي ذكرتها سابقًا وقرأتها بصوت عالٍ كل صباح. كانت الكلمات لهنري فريدريك إيميل وكانت تقول التالي:

يجب أن تكون الحياة ميلادًا للروح.

هذه هي الكيمياء العليا، وهذا يبرر وجودنا على الأرض.

هذه هي دعوتنا وفضيلتنا.

كتبٌ أخرى قرأتها خلال هذه الفترة التي حركتني نحو الاستمرار في الحفر عميقًا والتألق أكثر سطوعًا في العالم، تضمنت Hope for the Flowers لترينا بولوس، Siddharta لهيرمان هيس، Synchronicity لجوزيف جاورسكي، Scared Hoops لفيل جاكسون، وكتابًا صغيرًا رائعًا عن عدم الاستسلام أبدًا اسمه The Go-Getter لبيتر بي. كاين. لم يحدث أن قدّرت بشكل كامل قوة الكتب العظيمة في تقديمي للنفس الأفضل.

في هذا الوقت من الفحص العظيم والنمو الشخصي، كرست كذلك الكثير من الوقت لأفهم بشكل كامل العملية التي كان جوليان يعلمني إياها. فهمت أن مراحل إيقاظ الذات السبع مثّلت نموذجًا ممتازًا للطريق الذي على كل باحث أن يسافر عليه لكي يعود لنفسه الأساسية. لقد جمعت الكثير للغاية من أفكار حضارات مختلفة وكثيرة ومن كثير من الصوفيين عن لمَ نحن هنا وعن الطريقة التي تنجح بها بتركيب بسيط وسهل الفهم. كانت الرحلة التي وصفها لي جوليان هي رحلة العودة للصدق والتنوّر، هدفان يسعى إليهما البشر منذ فجر الجنس

البشري. أدركتُ كذلك أنه بينما كان جوليان يجذبني خلال العملية على مدار شهور قليلة ويضع سيناريوهات تساعدني على فهم ما كانت تعنيه كل مرحلة، كنت أختبر بشكل طبيعيّ كلًا من المراحل السبع للطريق وأنا أتحرك خلال حياتي، طوال محافظتي على رغبتي وتكريس نفسي للسفر على هذا الطريق لإيقاظ الذات والأصالة: كما ذكر مرة، "إن المراحل السبع لإيقاظ الذات هي العملية التي يجب أن يسير عليها كل باحث بينما ينطلق عائدًا إلى المكان الذي دائمًا ما أراد قلبه أن يكون فيه". وبدلًا من إمضاء بضعة أشهر، أوضح جوليان أن الرحلة قد تأخذ -في الواقع- عمرًا لاستكمالها. وفي حقيقة الأمر، فليس كل شخص يلحق بطريق العودة سيصل للهدف. فكثيرون لا يفعلون. غير أن كل يوم يقدّم لنا الفرصة للخطو أقرب قليلًا للمثاليّ ولنصبح أكثر قربًا ممّن قدّر لنا أن نكون. كل يوم على الطريق يجلب بركات أكبر والمزيد من القوة الشخصية. وكل لحظة على رحلة الإدراك تسبب المزيد من الطبقات التي تغطي التمثال الذهبي بداخلنا ليسطع خلال طين مخاوفنا، ومعتقداتنا المقيِّدة وافتراضاتنا الخاطئة. لقد قلص جوليان من العملية ببساطة ليساعدني على فهمها بسرعة. كان يحاول أن يقدم لي إطارًا واضحًا وقويًا يشرح لي الطريق الروحاني. كان يحاول أن يمنحني أكبر قيمة يمكنه أن يعطيني إياها ويساعدني قدر ما يستطيع بالوقت المحدود الذي كان يملكه.

لقد أدركت أنه كان هناك كثير من الناس حول العالم يريدون أن يخدمهم جوليان وكنتُ أعرف أنه في حاجة للانتقال إلى مهمته التالية. وكثيرًا ما عبّرت له عن امتناني لبحثه عني ومساعدتي على تحويل حياتي، كما قد فعل بكل تأكيد. لقد كان صديقًا وفيًا لوالدي وقد أخبرته

بذلك بشكل منتظم. وجعله ذلك سعيدًا. "الصداقة شيء شديد الأهمية لي يا دار. وأنا أقدّر وأحب أصدقائي. لقد كان والدك رجلًا رائعًا. وإنها لمتعة لي أن أساعدك بالطريقة الوحيدة التي أعرفها".

ومؤخرًا، أخبرني جوليان كذلك أنه كان يريد الانضمام إلى حركة السلام العالمية وكان يستكشف طرقًا ليكون في الخدمة في هذه الساحة. فقد كان قادة سياسيون متعددون يزدادون إدراكًا لعمله حيث تنتشر رسالته، وذكر جوليان أنه كان يرحب بفرصة أن يساعد قدر ما يستطيع. كان يشعر بقوة بأن حكمته وفلسفته يمكنها أن تقلل بعمق من الصراع في كثير من بقاع العالم المقلقة مثل الشرق الأوسط وأيرلندا الشمالية، على سبيل المثال. اتفقت كلية وانتظرتُ اليوم الذي يظهر فيه جوليان على مسرح العالم كرجل دولة، معلمًا الرؤساء ورؤساء الوزراء كيف أن فتح قلوبهم والسعي خلف أنفسهم الفضلى كان هو المفتاح الحقيقي لإنهاء الحروب، وإنشاء تحالفات تستند إلى المكسب المتبادل وجعل العالم مكانًا أفضل وأكثر امتلاءً بالحب. "لكي نزيل الكراهية من العالم، علينا أولًا أن نزيل أي كراهية نحملها في نفوسنا"، أخبرني جوليان بذلك في مساء اليوم الذي كنا فيه نتبادل الحديث على الهاتف. كنت أعرف أنه مستعد للتضحية بحياته دفاعًا عن هذه الحقيقة.

كذلك روى لي جوليان عن منتج أفلام استطاع بطريقة ما أن يعثر عليه منذ عدد من الشهور. وقد أخبره أن هناك اهتمامًا كبيرًا بعمل فيلم عن حياته وما يقوم به لبناء عالم جديد. كانت أشياء عظيمة تظهر لجوليان. وكنتُ أعرف أنه لم يكن يسعى لأي انتباه وكان يقوم بكل ما

كان يقوم به بأنقى النوايا. غير أنني كنت سعيدًا لرؤية جوليان يحصل على بعض التقدير الذي كان يستحقه. لقد كان مبشّرًا بالمعنى الحقيقي للكلمة - كان ينشر الأخبار الطيبة على كوكب في حاجة شديدة لها.

كان من المفترض أن أقابل جوليان في مبنى المحكمة في التاسعة صباحًا. أخبرني هو أنه قد رتّب جلسة إرشادية شديدة التميز من أجلي، جلسة ستجلب الدرس التالي للحياة بشكل لا يمكن نسيانه.

وبينما كنت أسير في خطوات محددة نحو المحكمة، أسرع ضابط شرطة نحوي. واندهشتُ حين وجدته يعرف اسمي.

"السيد ساندرسن؟"

"إمم.. نعم"، قلت متسائلًا عما كان يجري. "ماذا هناك؟"

"تعالَ معي فقط، من فضلك. أنا الضابط بيريز وقد طُلِب منّي أن أرافقك إلى المبنى. ولا يمكنني قول شيء آخر - فقد أقسمت على السرية".

كان جزء مني يشعر بأن جوليان هو من وراء ذلك. غير أن جزءًا آخر منّي أصبح أكثر قلقًا. بدا ضابط الشرطة شديد الجدية. ومع ذلك فقد كنت مواطنًا محترمًا، أرعى القانون وأهتم بعملي وأبقى بعيدًا عن المشاكل، فما الذي قد يرغب فيه هذا الشرطي منّي؟

قادني الضابط بيريز إلى ردهة مصفوفة باللوحات القديمة لقضاة في عباءات وأردية قانونية. كان شديد الصمت وشديد الرسمية: سرت خلفه خطوة أو اثنتين. لم أذهب إلى مبنى المحكمة من قبل وكنتُ مأسورًا بالبيئة بأكملها. اعتدتُ أن أستمتع بمشاهدة كل أحداث الدراما

القانونية التي تملأ شاشات التلفاز اليوم. فقد كانت أمي ترغب في أن أكون محاميًا.

"لقد وصلنا يا سيد ساندرسن. أتمنى لك يومًا رائعًا يا سيدي". قالها بابتسامة رقيقة.

تم توصيلي إلى قاعة المحكمة رقم ٦ ووقفتُ أمام بابيْن خشبييْن ضخميْن. كانت رائحة المبنى عفنة وكانت السجاجيد في حاجة شديدة لاستبدالها منذ سنوات عديدة من كثرة السير عليها. لم يكن أحد هناك. دفعت الأبواب لأفتحها ودخلت المكان، بلا أدنى فكرة عما أتوقع حدوثه. كان قلبي يخفق بشكل سريع.

كانت قاعة المحكمة خالية إلا من شخصيْن اثنين. في مقدمة المسافة الكهفية كان يجلس قاض كبير السن خلف المنصة. وأمامه كان محام طويل يرتدي بذلة رمادية مخططة، يقابلني ظهره. وكوني خبيرًا في البذلات عالية الجودة، كنت أعرف أن تلك التي يرتديها المحامي كانت غالية للغاية. كان القاضي والمحامي يناقشان قضية ما، رغم أنني لم أستطع سماع ما يقولونه. بدا كلاهما شديد الحيوية، والقاضي يحرك يديه للأمام وللخف بينما المحامي يومئ برأسه. خطوت بضع خطوات للأمام وجلست على أحد المقاعد الخشبية الطويلة المحجوزة لأفراد الشعب الذين يرغبون في حضور المحاكمات. وألقيت نظري على الأرض.

"ليس هنا يا سيد ساندرسن- بل هنا"، أمرني القاضي، مشيرًا إلى المقعد المحجوز بشكل طبيعي للمسجونين.

"ما الذي أخطأتُ فيه؟" سألته، مناضلًا لأُبقي على هدوئي. "لقد طلب مني صديق لي أن ألتقيه هنا في مبنى المحكمة في التاسعة صباحًا. وحين أتيت، أوقفني ضابط الشرطة، بيريز، وقادني إلى قاعة المحاكمة تلك. ليست لديّ فكرة عما يدور حوله كل هذا. لا بد أن صديقي يبحث

عني، وأنا أشعر بالإحباط لأنني لا أعرف لماذا طُلب منّي أن آتي إلى هنا. هل أنا متهم بجريمة ما؟"

"جريمة خداع النفس يا صديقي"، قال المحامي الطويل بشكل قوي وهو يستدير حول نفسه وقد بدأ في الضحك. لقد كان جوليان! أسرع نحوي ومنحني أدفأ معانقة منحني إياها من قبل. نظرت نحو القاضي الذي كان يضحك كطفل في المدرسة.

"أتمنى ألا نكون قد أخفناك يا دار. هذا والتر... أعني القاضي فورد"، قال جوليان، وهو يغمز لشريكه، "لقد وافق أن يشترك في هذه اللعبة التمثيلية الصغيرة ليساعدني في تعليمك درس اليوم. لقد اعتدتُ أنا ووالتر أن نمضي الكثير من الوقت معًا حين كنت أمارس المحاماة وقد أصبحنا أصدقاء للغاية. استدعيته ليلة أمس وطلبتُ منه خدمة صغيرة"، شرح لي جوليان مبتسمًا.

والآن تحدث القاضي، مخاطبًا جوليان بعاطفة ودفء كبيرَين. "لقد كنتَ أفضل محام قابلته يا جوليان. لم يكن أحد يستطيع أن يضاهي مهاراتك في رفع الدعوى. بالفعل لم يحدث أن التقيتُ بعقلية قانونية أفضل في مهنتي بأكملها في المحكمة. وقد رأيت بعض المحامين الرائعين بالفعل في زمني، غير أنه من الرائع أن أراك ثانية يا صديقي القديم. كلنا تساءلنا أين ذهبتَ بعد أن تركتَ ممارسة المحاماة. إنها لقصة رائعة عن تحولك في جبال الهيمالايا - شكرًا لأنك شاركتني إياها. والهيئة التي تبدو عليها الآن تتطلب بعض الوقت لأعتاد عليها. أعني أنك شاب مرة أخرى! غير معقول - فلم أرَ أو أسمع عن أي شيء كهذا. إذا رغبتَ أن تأتي للعشاء في أي ليلة، فبيتي دائمًا مفتوح لأجلك وأنت تعرف ذلك، أليس كذلك يا جوليان؟"

"أعرف. شكرًا لك يا والتر"، أجاب جوليان بشكل مهذب.

"جوليان، جماعة القانونيين بأكملهم يفتقدونك. أما بالنسبة لك يا سيد ساندرسن، فلا أعرف ما الذي يعلمك إياه جوليان هنا، لكن لدي شعور بأنه سيغير حياتك".

"لقد فعل بالفعل يا سيدي. فعل ذلك بالفعل"، أجبتُ شاعرًا بالمزيد من الراحة وقد وجدتُ دعابة في أفعال جوليان الإشكالية التي لا تنتهي. كنتُ أعرف أنه يحب أن يبقي الأشياء مسلية ومقلقة.

نزل القاضي من مقعده وصافح جوليان بذراعيه الاثنين، تلك المصافحة التي يمنحها السياسيون في حملاتهم ويسعون للتأييد بإظهار الدفء للمصوّتين. بعدها ترك قاعة المحاكمة من مدخل خاص بالخلفية.

"بالطبع لم تقم بإثم يا صديقي. أنا أعرف أنك قد تركتَ مرحلة خداع الذات منذ عدة أسابيع مضت. أردتُ فقط أن أجلب المرحلة السادسة من المراحل السبع لإيقاظ الذات للحياة من أجلك. انظر، المرحلة السادسة كلها تدور حول اختبار".

"في قاعة محاكمة؟"

"لا يا دار، إنه اختبار من نوع مختلف. قبل أن يصل الباحث إلى غايته النهائية لنفسه الكبرى، سوف يُقدّم أمام محاكمة. قبل أن يصل إلى الكنز الذي تاق إليه، سوف يُمنح اختبارًا. فهذه هي الطريقة التي تسير بها الحياة على الطريق. لو أنك درستَ أي كتاب عظيم عن الحكمة التي تصف هذه الرحلة من اليقظة الشخصية، فسوف ترى أن هذا الباحث -أو البطل- دائمًا ما يواجه بعض الاختبارات أو الشدة، مباشرة قبل أن يحصل على الجائزة: الحياة التي دائمًا ما تمناها".

"لماذا يسير العالم بهذه الطريقة يا جوليان؟ لمَ وُضعت قوانين الطبيعة بهذا الشكل بحيث ترسل اختبارًا للباحث قبل أن يصل إلى نهاية رحلته؟"

"سؤال جيد. هناك سببان لأن ترسل الطبيعة اختبارًا. أولًا، لضمان أن الباحث قد تعلم ودمج بشكل كامل كل الدروس التي كان عليه تعلمها في حياته. وثانيًا، لاختبار عزيمة الباحث. *معظم الناس يستسلمون قبل أن يصلوا لأحلامهم مباشرة. معظم الناس يرحلون على بُعد خطوات فقط من الحصول على كل شيء أرادوه.* يبدو ذلك مثل القصة القديمة لحفّار الذهب. أمضى حياته بأكملها يبحث عن كتلة كبيرة من الذهب ستجعل منه رجلًا ثريًا. يومًا ما، بينما كان يكسّر في قطعة كبيرة من الصخر بمطرقته، قرر أنه قد لاقى ما يكفي. خمس وثلاثون سنة وكان لا يزال يصارع ليحصل على ما يكفي من المال. لذا ألقى بالصخرة بعيدًا، ووضع مطرقته وترك المنجم إلى الأبد. وفي الصباح التالي، التقط شاب في يومه الأول للعمل الصخرة الكبيرة التي ألقى بها الحفار العجوز. ولاحظ أن تكسيرًا كثيرًا قد تم بالفعل، لذا قرر أن يُحدث صدعًا قويًا وجيدًا فيها. وبفعله ذلك، لم يستطع الشاب أن يصدق ما حدث. انقسمت الصخرة اثنتين، كاشفة عن أكبر قطعة ذهب رآها الحفارون الآخرون من قبل. وأصبح الشاب ثريًا بشكل مفاجئ فقط لأن الحفار العجوز لم تكن لديه الحكمة والشجاعة ليثابر حتى يصل إلى ما يريده.

كان جوليان يتحدث بشكل شديد التأثر الآن. "'المحنة تُظهر شجاعة الروح لتحمّل ما ترسله السماء أيًا كان بلا خوف'، كما علّق يوربيدس. عليكَ ألا تستسلم أبدًا حين يُظهر الاختبار نفسه على الطريق. وسوف تظهر الكثير من الاختبارات طوال الطريق. نعم، فقبل انتصارك الأعظم سوف تواجه بلا شك أعظم تحد لك. قبل أن تصل لأعلى نقطة في تطورك الشخصي مباشرة، يمكنك أن تتأكد من مواجهتك اختبارًا شديدًا. هذا هو ما تتناوله المرحلة السادسة. دعني أخبرك بذلك، قبل أن

تتسلم بعض مكاسبك التي ستكسبها بذهابك أعمق وأعمق وتذكر المزيد عن حقيقتك، سوف ترسل إليك العديد من الاختبارات. ومع وعيك بأن كل ذلك جزء من الطريق الذي عليك أن تسافره لتعود لنفسك الأصلية، سوف يكون الأمر أسهل بالنسبة لك: سيتم إعدادك".

"فهمت. وأنت على حق. فمجرد معرفتي أن عليّ توقّع بعض العوائق أو أنني سأواجه بعض العقبات، يمنحني فهمًا أكبر للطريقة التي تعمل بها هذه العملية. حيث يظهر هذا الشَرَك، سأعرف أن كل باحث آخر على الطريق قد مر بنوع مماثل له. وسيجعله ذلك أكثر سهولة. ولدي شعور بأن العوائق تأتي كذلك لتقويني. فالأوقات الصعبة تجعلنا أناسًا أقوى"، قلتُ ذلك ثم أضفت مبتسمًا: "بذلة رائعة بالمناسبة".

"لقد اقترضتُها لهذا الصباح فحسب. فلم يكن بإمكاني أن أظهر في مبنى القضاة هذا دونها. إن العودة لهذه المحكمة تجلب لي العديد من الذكريات. تعرف يا صديقي، أنا أحب حياتي الجديدة، تلك التي عشتها منذ عودتي من الهند. لم أشعر أبدًا بهذه الراحة بداخلي. أشعر أنني محدد الهدف تمامًا وأعيش الحياة التي دعيتُ لأن أعيشها. أصحو كل صباح بشعور رائع من البهجة والطاقة اللا محدودة، تواقًا للخروج إلى العالم والقيام بشيء بالهبات والمواهب التي مُنحتُ لي. إنني لا أفتقد طريقتي القديمة في العيش كثيرًا بالفعل. فلم تكن أنا. فظاهريًا، أعرف أن الأمر كان يبدو وكأنني امتلكتُ كل شيء. من حولي نساء جميلات، وأسلوب حياة فخم، وانتصارات قانونية تبرز على الصفحات الأمامية للجرائد، وأموال أكثر مما كنتُ أعرف ما أفعله بها. أما داخليًا، فكنتُ أشعر كأنني شخص ميت يسير على قدميه. ما من شرارة بداخلي. كان ضوئي الداخلي معتمًا. لم تكن تلك طريقة للعيش، وصدقني، أنا لا أفتقد

هذه الحياة. لكن المجيء هنا اليوم بالفعل يجلب العديد من الذكريات. لقد كان لي الكثير من الأصدقاء في مهنتي. والتقيتُ كثيرًا من الأشخاص الطيبين بالفعل. تعرف يا دار، كل شخص بداخله طيب. وحين يتعامل الناس بطرق دنيئة أو مؤلمة، لا تخطئ بتصديقك بأن ما تراه هو تمثيل دقيق لحقيقتهم. فلا أحد سيئ في أصله - إنهم يتعاملون بأساليب سيئة فقط. وأنا لا أقول بأي شكل بأن عليك أن تظل حول أناس يسيئون معاملتك. بالطبع عليكَ أن تضع حدودًا لتحمي نفسك. إنني ببساطة أقول إن عليك ألا تقع في وهم أن هناك شيئًا اسمه إنسان سيئ. فهؤلاء الذين يقومون بأفعال مؤلمة أو شريرة قد تعرضوا للأذى بأسلوب سيئ وشرير من قِبَل آخرين. لا تفهم ما يفعلونه على أنه بسببك، لأنه ليس كذلك".

"إنني أسمعك يا جوليان. نقطة مثيرة. في مجتمعنا، نتسرع في الحكم على الكثير من الأشياء. يقوم شخص بشيء لا نحبه، فتنطلق عليه في لحظتها اسم 'سيئ' أو 'قاس' أو 'أناني' أو 'مسيطِر'. إن ما أفهمه من كلامك أن هذه طريقة شديدة السطحية لرؤية الموقف. نحتاج أن نتعمق أكثر لنكتشف الحقيقة. فأن تكون باحثًا يعني أن تصل إلى حقيقة ما يحدث بالفعل في موقف معين أو في الحياة بشكل عام، أليس كذلك؟"

أومأ جوليان وابتسم. كان سعيدًا بكل ما كنتُ أتعلمه.

"وعلى مستوى أكثر عمقًا، فالأشخاص الذين يتصرفون بطرق قاسية لا يقومون في حقيقة الأمر بأكثر من إعادة الأشرطة القديمة التي لطالما أدارتهم. إنهم يمثلون أنماط وطرق التعامل التي اكتسبوها في طفولتهم، جاهدين لكي يتواءموا ويبقوا في العالم. لا يعرفون أي شيء أفضل. ولأنهم غافلون عما يحدث معهم داخليًا، فإنهم يلومون العالم

الخارجي على عدم الفلاح في حياتهم. وبفعلهم ذلك، لا يجلبون ظلالهم أبدًا، تلك التي تديرهم، إلى نور إدراكهم الواعي. لذا يظلون ضِئالًا مقيدين في الكذبة التي هي حياتهم. وحين يتعلم الناس طرقًا أفضل وأكثر حكمة لفعل الأشياء، يمكنهم أن يبدءوا في عيش حياة أفضل وأكثر حكمة. حين يدركون أنهم لكي يغيروا حياتهم، عليهم أن يتغيروا، يستيقظون ويبدءون في الخطو نحو حياتهم الكبرى".

صفق جوليان بيديه. ثم وقف على المنضدة اللامعة أمامه وقام برقصة صغيرة غريبة. لم أكن متأكدًا إن كان قد تعلمها هناك في جبال الهيمالايا أم من أحد الأشخاص الآخرين الذين قام بإرشادهم. لم أرَ أبدًا شيئًا كهذا. رآني جوليان وأنا أضحك لكنه لم يهتم. استمر فقط في تحريك يديه في الهواء وتحريك قدميه من جانب لآخر. وبعد عدة دقائق، نزل من على المنضدة وقادني خارج قاعة المحاكمة.

"دع هذه القاعة والمحاكمة الساخرة التي وضعتها لك تذكرك بالمرحلة السادسة من المراحل السبع لإيقاظ الذات. قبل أن تحدث الأشياء العظيمة، تأتي الأوقات العصيبة. وأرجوك أن تدع رقصتي الصغيرة المتلوية تذكرك بأن الحياة لعبة. لا تأخذها بجدية شديدة. امرح. ارقص. اضحك. حافظ على نظرة صحية للمشهد. أنا أعرف أنك واجهتَ أوقاتًا مؤلمة في الماضي القريب. وأنا حساس تجاه ذلك. لكنني أدعوك لأن تتذكر أن لديك الكثير والكثير من النِعَم في حياتك. هل تعرف أن على كوكبنا اليوم أكثر من مليار شخص يذهبون للنوم جوعى هذه الليلة. هناك أطفال بلا طعام. هناك أشخاص محبوسون ويُعذبون في السجون. هناك بشر آخرون -إخواننا وأخواتنا في هذه القبيلة التي تُدعى الإنسانية- مسجونون في غرف المستشفيات، ويصارعون للبقاء بسبب إصابتهم بالأمراض. هناك أناس كثيرون للغاية لديهم ما هو

أقل كثيرًا مما لدينا. وقلبي يصرخ من أجلهم"، قال جوليان وصوته يضعف. "أتمنى لو أن بإمكاني أن أساعد كل واحد منهم. تذكر ما قالته الأم تيريزا: 'ليست هناك أفعال عظيمة، فقط أفعال صغيرة تُفعل بحُب كبير'".

أضفتُ: "قالت كذلك 'لو أنني لم ألتقط ذلك الشخص الأول في كالكوتا، لما وصلتُ للاثنين والأربعين ألفًا'، قرأت ذلك في أحد الكتب التي كنتُ أدرسها. وأنت على حق يا جوليان. في الماضي، كنت دائمًا ما أركز على ما كان ينقصني في حياتي، بدلًا من كل الأشياء الجيدة التي كانت لديّ. أعتقد أن النضج للإنسان هو أن تحب ما تملكه بدلًا من القلق الزائد على امتلاك ما تحب. أعرف أنك تؤمن بأننا في حاجة لأن نكون فاعلين وأن نسعى وراء أحلامنا. لكنني أسمعك تقول كذلك بأن جلب شعور عميق بالامتنان لحياة المرء شيء مهم".

"يجعلني ذلك أفكر في تلك الحكمة الفارسية القديمة: 'لعنت حقيقة أن ليس لي حذاء، إلى أن رأيت رجلًا بلا قدمين'" أشار جوليان.

تركنا قاعة المحاكمة في صمت. ونظر جوليان في اللوحات التي تصطف على جدران الرواق بينما نسير في اتجاه الخروج. وعند ترك البناية، توقف جوليان ونظر باهتمام إلى الحديقة المورقة عبر الشارع. أدخل يده في سترته وناولني قطعة ورق مسطرة من الحجم القانوني، ذلك النوع الذي يفضله المحامون وهم يدونون ملاحظاتهم خلال قضايا المحكمة. كان مكتوبًا في مقدمتها: "قواعد الفوز في المحاكمات".

"هاك يا صديقي، هذه لك"، قال جوليان وهو يناولني الورقة. "أريد منك أن تحفظ هذه القواعد بحيث حين عندما تظهر أوقات التحدي على طريق يقظة نفسك الكبرى والعليا، ستكون لديك بعض الأفكار والأدوات المحددة التي تساعدك على التحرك خلالها". توقف

جوليان ونظر للسماء. وسمعته يقول الكلمات التالية: "أرجوك امنحني القوة لأخدم الناس بأروع ما أستطيع".

بعدها نظر إلي مرة أخرى. كان الحزن في عينيه، وقال: "أنت رجل قوي، منذ شهور قليلة فقط، كنتَ مستعدًا لإنهاء حياتك. لكنّ شيئًا بداخلك لم يدعك تفعل ذلك. وبدلًا من ذلك، بدأت تترك الحياة تقودك، وبدأت تنفتح على طريقة جديدة لرؤية الأشياء. وهذا يتطلب شجاعة هائلة ويوضح بقوة حقيقة شخصيتك. منذ بدأت إرشادك، وأنت تستثمر ثقتك في وتبعت تعليماتي رغم ما تبدو عليه من غرابة في بعض الأوقات. لقعد تعمقتَ وواجهتَ ما تقاومه، وتحققتَ من ظلالك وفتحتَ قلبك. أنت رجل طيب يمر بعملية تحول إلى رجل عظيم، يا دار. إنني أشعر بعمق بأن العالم في حاجة للمزيد من الأشخاص مثلك، المزيد من الرجال والنساء الذين سينتبهون لدعوة قلوبهم ويوقظون حياتهم الفضلى. إن ما يكسر قلبي أن أرى الناس يعيشون في كسرة ضئيلة فقط من قوتهم وقدراتهم. يؤلمني أن أرى الناس يتعاملون بطرق أنانية ويضعون مصالحهم الخاصة فوق مصالح الآخرين، في حين عليهم أن يعيشوا بطرق تساعد الآخرين وتساعدهم هم أنفسهم. هل تعرف كم سيشعر كل فرد على الكوكب بالسعادة لو خصص القليل من الوقت كل يوم ليكون في خدمة أكبر للآخرين؟ هل لديك أي فكرة عن البهجة التي تدخل كيان المرء حين يكرس نفسه لخلق قيمة حقيقية ودائمة لأشخاص آخرين؟ إن مساعدة الآخرين على الوصول إلى أحلامهم، حين تراها من هذا الإطار، لهي هدية عظيمة تمنحها لنفسك. لكن معظم الناس لا يرون هذه الحقيقة".

هدأ جوليان.

"معظم الناس يعيشون بعصابات على أعينهم، معتقدين أن العالم

الذي يشاهدونه هو الحقيقة الوحيدة. أنت تعرف ذلك الآن. وهم يعتقدون أن الحياة العادية والصغيرة التي يعيشونها هي الحياة الوحيدة المتاحة لهم. إن كل حياة مقدر لها أن تكون عظيمة. وهذا جزء من 'المصير التحضيري' الذي نُقِش لنا. غير أنه يهبط إلينا لنبني عليه تفاصيل المصير. إنها تلك الشراكة التي تحدثت عنها في جلسة إرشادية سابقة. الحياة عملية مزدوجة الخلق. قم بأفضل ما لديك. تتبع أحلامك. افتح قلبك. قم بعملك الداخليّ. قم بالكثير من الأفعال. استيقظ مبكرًا وكن منظمًا. قم بكل ما يمكنك لتغلق فجوة الكمال، توقف عن التدوير وتعرف على عمليات الإيقاظ الأربعة. حينها -وحينها فقط- انطلق وتقبل ما يأتيك، عارفًا أنه الأفضل لك".

أثارني إيمان جوليان بقدرة البشر. لقد كان مؤمنًا في مجتمع تخلى فيه الكثير للغاية من الناس عن أن كل واحد منّا يمكنه أن يكون عظيمًا. في مكان ما على الطريق، كثيرون بيننا صدقوا هذه الكذبة التي تقول إن العظمة محجوزة لقِلة مختارة. في مكان ما على الطريق، باعنا شخص ما قائمة بضائع تقول إن حياتنا ليس من المقدر لها أن تكون استثنائية. وكان جوليان يعرف أن هذا غير صحيح. كان يعرف أنه مقدّر لنا أن نعيش كبارًا. فهم أننا قد خُلقنا نسطع بتألق. كان يقظًا لحقيقة أنه لا يوجد أشخاص إضافيون على الكوكب وأنه من واجبنا جميعًا أن يكون لنا تأثير وأن نبارك حياة من حولنا.

"عليّ أن أترك المدينة غدًا. فمهمتي التالية في إنجلترا ولديّ رحلة لألحق بها في التاسعة مساءً. أشعر بالحزن لأن عليّ أن أتركك يا صديقي. وأنا شديد الفخر بما أصبحتَ عليه وبما تتحول إليه. أنت تستحق كل ما يحدث معك. لقد قدمت لك الطريق وسلمتكَ الحكمة. غير أنك كانت

لديك الشجاعة والإحساس الطيب لتطبّق المعرفة التي شاركتك إياها. *فالحكمة دون تطبيق لا قيمة لها*".

لم أستطع أن أصدق أن جوليان سيرحل. لقد أصبحت أحب هذا الرجل ذا الممتلكات القليلة الذي قاد السيارات السريعة وارتدى البذلات الرائعة. لقد أصبحت أكن له احترامًا بالغًا وأهتم بسعادته بعمق. ولكي أكون صادقًا، لاحظتُ أنني أشعر قليلًا بالخوف الآن لعلمي أنني سأكون وحدي دون مرشد على الطريق. وكالعادة شعر جوليان بما كنتُ أمر به.

أشار جوليان: "أنت تعرف أنك لن تكون وحيدًا أبدًا يا دار. فلديك ساشا الآن. وعليك أن تعرف أنك كلما غامرتَ أكثر على الطريق، فإنك ستجذب المزيد من الباحثين بشكل طبيعيّ إلى حياتك. ستجد المزيد من المساندة طوال الطريق أكثر مما يمكنك تخيله. أرجوك لا تقلق. وأيضًا تذكر أنه بشكل أساسي، تكمن كل الإجابات بداخلك. أنت لا تحتاج لمرشد. فهذه الرحلة ليست بالفعل عن تعلم أشياء تحتاج لتعلمها بقدر ما هي عن تذكر الأشياء التي نسيتها. بداخلك تمثال ذهبي. وكل ما تحتاج لفعله هو أن تزيل الطبقات وكل شيء سيكون على ما يرام في عالمك".

"شكرًا لك جوليان. إنني أحبك كأبي. هل تعرف ذلك؟"

أجابني: "أعرف. وأشكرك. سوف أشاهد نجمك وهو يرتفع. إذن دعنا نلتقِ غدًا صباحًا في الخامسة. أريدك أن تقابلني في مقابر رولينج هيلز. أعرف أن لديك أسئلة عن سبب لقائنا هناك، لكن الأجوبة سرعان ما ستظهر".

أعطاني جوليان أحد عناقاته الكبيرة المعروفة ثم سار ببطء في المحكمة. راقبته وهو يلقي التحية على الشحاذ ثم دخل الحديقة. ملأت

الدموع عيني وأنا أراقبه. ستكون هناك فجوة كبيرة في حياتي بدون جوليان.

ألقيت نظرة على الورقة الموجودة في يدي والتي أعطاني إياها جوليان. قرأت: "قواعد الفوز في المحاكمات". كانت هناك سبع قواعد في الورقة، وعرفت أنها ستكون مفيدة لي في اجتياز الأوقات الصعبة. كانت هذه القواعد كما يلي:

قاعدة رقم ١ : تذكر أن الحياة سلسلة من الفصول. على كل إنسان أن يتحمل قسوة فصول الشتاء لكي يحصل على تألق أفضل في فصول الصيف. لا تنس أبدًا أن الشتاء لا يدوم.

قاعدة رقم ٢ : انضم إلى نادي الأمل. فالأهداف الكبيرة والجميلة والتي تبدو مستحيلة كلها وسائل رائعة لتبقيكَ ملهَمًا بينما تسير خلال المحن. ذات مرة اقتبستُ كلمات دافينشي لك: "حدد طريقك مسترشدًا بالنجوم، وسوف تتمكن من اجتياز أي عاصفة". حين تسعى إلى أهداف عظيمة ونبيلة تعبّر عن أفضل نفس بداخلك، سوف تجذبك رغبتك للوصول إليها خلال الأوقات العسيرة التي ستواجهها على امتداد طريق الباحث.

قاعدة رقم ٣ : تذكر دائمًا أننا نمو أكثر من المعاناة الأكبر. بينما نمر بهذه المعاناة، فإنها تؤلمنا. غير أننا ونحن نمر بها نتعافى كذلك. حين يسقط إبريق من الماء على الأرض وينكسر، يبدأ ما كان مخفيًا بداخله في الانسكاب. حين ترسل لك الحياة أحد المنحنيات الصعبة، تذكر أن هذا المنحنى قد جاء ليساعدك على التفتح بحيث ينسكب كل الحب والقوة

والقدرات التي كانت غافية بداخلك إلى العالم الخارجي. ومثل عظمة مكسورة، فإننا نصبح *أقوى في الأماكن التي تتعرض للكسر.*

قاعدة رقم ٤ : الفشل اختيار. لا شيء يمكنه أن يوقف رجلًا أو امرأة يرفض ببساطة أن يُقمع. سيكون الكتاب الذي ذكرته لك The Go-Getter مفيدًا للغاية في هذه النقطة. اقرأه كثيرًا. قم فقط باختيار من لُب قلبك بأنه *مهما يحدث لك*، ستظل تسير على الطريق الحقيقي. قيامك بذلك سيضمن لك حياة من النجاح الحقيقي.

قاعدة رقم ٥ : خلال الأوقات العصيبة، هناك نزعة لأن تحرر نفسك. وبينما تمر بالمحنة، فليكن لديك القدرة على المحافظة على نظامك. استيقظ مبكرًا. قم بساعتك الروحانية. تغذّ جيدًا. اقضِ بعض الوقت في الطبيعة وتأكد أنك تقوم بكل ما يمكنك لتحافظ على أبعادك المركزية الأربعة -العقل، والجسد، والمشاعر، والروح- في حالة جيدة.

قاعدة رقم ٦ : اشعر بأحاسيسك. حين تواجه أوقاتًا عصيبة، سيخبرك بعض الأشخاص "فكر أفكارًا إيجابية فقط". ومثل هذه النصيحة ليست مفيدة. فبينما أتفق على أنك لا تستطيع تحريك السيارة للأمام وأنت تحدق في المرآة الخلفية وأن العيش في الماضي غير صحيّ، فلا يجب على المرء أن يتسرع في إعادة تسمية حدث سلبي بأنه إيجابي. فالقيام بذلك سيلقي بك إلى حالة من الإنكار. اشعر بقوة بمشاعر الألم والغضب والحزن التي ستظهر بشكل طبيعي على السطح. فليس من السيئ أن تشعر بها. إنه أمر صحي في الواقع أن تفعل ذلك. فمرورك خلالها يسمح لك بالتحرر منها. فقط لا تعلق بها. الفكرة في إحراز توازن بشكل

حقيقي. أن تمر بالمشاعر التي تظهر بحيث لا ينتهي الأمر بك وأنت تبتلعها وتسمح لها بالتقيّح. وفي الوقت نفسه، استخدم قدراتك العقلية لترى البطانة الفضيّة التي تجلبها كل سحابة داكنة. هذه ليست مسألة علمية وإنما تحتاج أن تقوم بما تشعر بأنه صحيح في النهاية.

قاعدة رقم ٧: تذكر أنه مهما أصبحت الأشياء عسيرة، فأنت لست وحدك أبدًا.

طويت الورقة. كانت حكمة جوليان عميقة إلى جانب كونها عملية، رغم أنني لم أكن واثقًا تمامًا مما كان يعنيه بأنني لن أكون وحدي أبدًا. خمنتُ أن الوقت والخبرة سيجلبان لي الإجابة. لقد بدأت أكتشف أن الحياة هي أروع معلم.

جلستُ على درجات المحكمة تلك لساعة أو يزيد. شاهدتُ الناس يسيرون والطيور ترتفع في السماء. شعرت بأشعة الشمس على وجهي وبنسيم رقيق يفسل شعري. سيتركني جوليان غدًا. سيذهب معلّمي. لقد جلب إلى حياتي الكثير. وأنا تعهدتُ بالبذء في العطاء.

الفصل العاشر

الباحث يستيقظ

حين يلهمكَ هدف عظيم، مشروع غير عادي، تكسر كل أفكارك قيودها، ويتعدى عقلك الحدود، ويتمدد وعيك في كل اتجاه وتجد نفسك في عالم جديد وعظيم ورائع. تعود القوى والقدرات والمواهب الساكنة إلى الحياة وتكتشف أنك شخص أعظم بكثير مما حلمتَ بأن تكونه أبدًا.

- باتانجالي

كانت الشمس تشرق وأنا أقود للخارج إلى مقابر رولينج هيلز. هذه المقابر الصغيرة المجهولة التي كانت تقع خارج المدينة في مكان معروف بمساحاته الواسعة ومروجه الجميلة. ومع استدارتي على الطريق السريع، تبعتُ طريقًا ملتفًا أخذني إلى ما بعد بحيرة اعتدتُ أن أصطاد بها مع أبي حين كنتُ صبيًا صغيرًا.

وحين صعدت إلى المقبرة، أمكنني سماع إنشاد عال. وعندما وصلتُ إلى مكان الوقوف وخرجتُ من السيارة، أدركتُ أن شخصًا ما كان يعزف ما بدا وكأنه اسطوانة أناشيد. ومع الإنشاد وضباب الصباح المبكر الذي

يطفو على الهضاب الممهدة، كانت البيئة بأكملها تبدو في جو ساحر. ولم أتمكن من رؤية جوليان في أي مكان.

سرتُ على امتداد الطريق غير الممهد نحو المبنى الصغير الذي يقع على قمة تل أخضر. وبينما كنت أنطلق لأعلى المنحدر، حدقتُ في شواهد القبور وفكرتُ مليًا في حياة أصحابها. وأكثر من ذي قبل، أدركتُ أنه حتى أطول حياة هي قصيرة بشكل لا يصدق حين تقارن بمعيار الأبدية. نحن نقوم بالكثير من الأشياء التافهة بينما نتقدم خلال الحياة، ناسين الأهم ومخفقين في تقدير أن الحياة ستمر بنا إن لم ندخل اللعبة. وغالبًا مع وقت استيقاظنا، يكون الوقت قد تأخر للغاية وتكون أفضل سنواتنا قد مضت.

لقد قضيت الكثير من حياتي سعيًا وراء الشهرة والثروة. ومع ذلك فمهما كان ما حققته، لم يكن كافيًا. كان ذلك أشبه كثيرًا بالإدمان. لم يستطع شيء أن يخلصني من هذه الرغبة؛ ولا يهم كم حاولتُ أن أحاربها، كنتُ دائمًا ما أنجذب إليها ثانية. وطوال الطريق، فقدتُ ما كان لي. كنتُ أعرف أنني لن أقوم بهذا الخطأ مرة ثانية. بالطبع كان النجاح المادي مهمًا. أحببتُ حقيقة أن فلسفة جوليان للإشباع الشخصي تسمح بجمع المال والحصول على أشياء طيبة وأن تكون "داخل العالم". في الواقع، لقد اقترح أن مثل هذه المساعي شديدة الإيجابية. إننا كائنات روحانية، غير أننا نعيش في عالم إنساني للغاية ولم يكن هناك من سبب للاعتذار عن الاستمتاع بالهبات المادية التي يقدمها لنا العالم. وفكرة جوليان الكبرى كانت أن السعي وراء هذه الأنواع من المكافآت الزائلة لا يجب أن يكون هو الهدف الأساسي في الحياة. فمسألة الأولويات أفضل ما في نفسي في الواقع هي التي يجب أن تظل المهمة الأولى.

وحين اقتربتُ من المبنى، علا صوت الإنشاد. عرفتُ أن جوليان في

مكان ما بالقرب. كان ذلك بلا شك أحد هذه السيناريوهات الإرشادية الاستثنائية. وارتسمت ابتسامة على وجهي.

ناديتُ: "جوليان، أعرف أنك هنا. من الأفضل أن تخبرني أين أنت".

لم تكن هناك استجابة. تحدثتُ بصوت أعلى. "تعالَ يا جوليان. أعرف أنك هنا. أين أنت؟"

ثم رأيت شخصًا يقترب مني بين الضباب. لقد كان جوليان مرتديًا رداءه، والغطاء يغطي رأسه. كانت يداه تحملان باقة من الزهور المنعشة. وعلى ظهره كانت حقيبته.

قال بجدية: "صباح الخير يا دار، سأرحل إلى المطار لاحقًا اليوم. لكنني كنتُ في حاجة للقائك. هذه آخر جلسة إرشاد لنا معًا. وعليّ أن أشاركك المرحلة النهائية من المراحل السبع لإيقاظ الذات. من فضلك اتبعني"، أمرني جوليان وهو يقودني خارج المبنى إلى مساحة من الأضرحة. واستمرت موسيقى الإنشاد في العزف.

سرنا لنحو دقيقة فقط قبل أن يتوقف جوليان عند قبر محفور حديثًا. نزل بركبتيه وأحاط موقع القبر بالزهور المنعشة التي كان يحملها. كان في شدة الصمت وبدا في شدة الاحترام بشكل استثنائي للمكان المقدس الذي كنا فيه.

سألته برفق: "جوليان، لمن هذا القبر؟".

أتى الجواب: "لك".

لم تكن لديّ أدنى فكرة على الإطلاق عما كان يعنيه جوليان بهذا التعليق. بينما نسير في حياتنا، يخبرنا الناس بأشياء أو يتصرفون بطرق معينة. ومعظم المعاناة التي نمر بها كبشر ينشأ من حقيقة أننا نضع افتراضات معينة عما يحدث لنا. مثال ذلك، نحن نسير إلى العمل

ولا يلقي زميل التحية. فنفترض أنه غاضب منّا. وهذا هو افتراضنا الخاطئ. قد تكون الحقيقة أن طفله مريض وأنه مشغول للغاية بهذا الأمر. والطريقة الوحيدة لاختبار حقيقة افتراضنا هي أن تكون لدينا الشجاعة لنسأل أسئلة توضح فهمنا. كل المطلوب هو أن تكون أفضل في التواصل. غير أن معظم الناس لا يفعلون ذلك أبدًا. خلال الأسابيع القليلة الماضية، التزمتُ باكتشاف الحقيقة في كل المواقف. أدركتُ أنني، في الماضي، كثيرًا ما أسأت فهم مواقف معينة وقررتُ أن أقول الصدق حين أحتاج للمزيد من الإجابات.

"جوليان، ما الذي تقوله؟ كيف يكون ذلك قبري أنا؟ أنا لست ميتًا. ولم أكن أكثر صحة أو سعادة مما أنا عليه الآن. لم أكن حيًا أبدًا بهذا القدر من قبل. ما الذي توحي إليّ به؟ إنني مشوش بعض الشيء".

"استرخِ يا صديقي. هذا القبر هو تشبيه لآخر درس سأشاركه معك. ربما يكون هذا القبر قبرك. وربما يكون هذا القبر قبري *أنا*. وربما يكون قبر أي شخص. المهم في الأمر ببساطة هو: *حتى توقظ أفضل حياة لك، من المهم أن تموت بينما تعيش*".

"ما الذي تعنيه بذلك؟"

"معظم الناس يعيشون وكأن لديهم كل الوقت في العالم. يتمنون لو كان لديهم المزيد من الوقت في حياتهم ورغم ذلك يضيعون الوقت الذي لديهم. يؤجلون الحياة إلى أن يظهر حدث ما في المستقبل. مثل هؤلاء الناس يقولون 'سأقضي المزيد من الوقت مع أسرتي حين أحصل على هذه الترقية الكبيرة' أو 'سأحصل على المزيد من المتعة في حياتي حين يكبر أبنائي' أو 'سأتبع أحلامي بمجرد أن أحصل على المزيد من المال' أو 'سأحسن من صحتي بمجرد أن أمر من ذلك الوقت المجهد'. *الحياة لا تنتظر أحدًا*. وأحد أهم الأشياء التي يمكنني أن أعلمكَ إياها

هي أن تتصل بموتك بشكل منتظم. ذكّر نفسك بأن الوقت هو سلعتك الأكثر قيمة. وإخبار نفّسك أنك ستكون أفضل ما يمكنك في وقت ما في المستقبل يفترض الكثير. فأنت، أو أنا، قد نموت اليوم. كما أخبرتك حين التقينا في فندق الكيو، لا أحد منّا يعرف متى ينتهي وقتنا. يجب أن نعيش كل يوم وكأنه آخر يوم لنا على الأرض. عامل كل شخص تقابله وكأنك لن تراه مرة أخرى. اقبل المخاطرات الكبرى وأنت تتحرك خلال ساعاتك واستغل كل الفرص للعظمة الشخصية حين تكشف نفسها لك. وأنا أقترح أن تصحو كل أحد مبكرًا -أو حتى كل عدة آحاد- وتأتي إلى هنا. قم بذلك وحدك. واجعل ذلك طقسًا منتظمًا".

"وما الذي عليّ القيام به بالضبط حين آتي إلى هنا؟"

"تواصل مع موتك. فكر في الحياة التي تعرف أنك تستطيع خلقها وذكّر نفسك بأنك تهين نفسك لو لم تعشها وتتنفسها في كل يوم. إن كل لحظة على الأرض فرصة هائلة. أخبرتك بذلك يا دار. كل يوم تستيقظ فيه هو هدية تحتفل بها. أنت مقدر لك أن تسطع يا دار. تعالَ إلى هنا لتتصل مع رقة الحياة. فقط فكر في الأمر: بعض الناس على الأرض ممن سيستيقظون اليوم سيكونون موتى مع غروب الشمس. معظمهم لن يتخيلوا أن مثل ذلك الشيء على وشك الحدوث لهم. كانت لديهم كل هذه الخطط العظيمة عندما يحين الوقت المناسب. ولم يخطط أحد لموته قط".

هذه العبارة الأخيرة صدمتني. كنتُ أعرف أنني أعيش بوعي أكبر وبشعور أكبر بالمتعة والحماس أكثر مما عشته من قبل. لكنني كنتُ لا أزال خائفًا. كنتُ لا أزال خائفًا من بعض حبي لساشا. كان يمكنني أن أكون أكثر كثيرًا من أجلها. وحين فكرتُ بأكثر بعمق، أدركتُ أن خلف هذه المقاومة كان الخوف. خفتُ من أنني لو فتحتُ قلبي بشكل كامل لها،

قد أتعرض للجرح أو حتى الاستغلال. لم يكن لِخوفي أساس في الواقع - فقد كانت ساشا امرأة رائعة، من جميع النواحي. غير أن المخاوف في الحقيقة غالبًا ما لا يكون لها أساس: إنها مجرد أوهام نصنعها نحن. وهي في الواقع بعمق ست بوصات فقط.

كنتُ أتعامل بشكل ضئيل أكثر مما كان عليّ أن أتعامل به مع أطفالي. كنتُ أعرف أنه يمكنني أن أصبح أبًا رائعًا، وفي تلك اللحظة، قمت بوعد ذاتي للقيام بذلك. وكلما فكرت في الأمر، أدركتُ أنه كان هناك الكثير الذي كان يمكنني أن أقوم به وأن أكونه. لمَ لم أستطع أن أكون أحد هؤلاء القادة العظماء في مجالي؟ لمَ لم أستطع أن أضيف قيمة رائعة للمئات إن لم يكن الآلاف من الناس؟ لمَ لم أتمكن من الاقتراب من حالة التنور الشخصي أكثر مما تخيلت نفسي فيه؟

"هل تتذكر التمرين الذي طلبتُ منكَ القيام به وقتما التقينا في مبنى المدرسة؟" سألني جوليان.

رددت: "كيف يمكنني أن أنسى؟. طلبت مني أن أكتب نعيي. طلبتَ أن أكتب قصة حياتي لكي تكون لديّ الحكمة والوعي لأعيش حياتي بشكل عكسي. بمعرفة أين أحلم بأن أكون في النهاية، كان يمكنني أن أصنع الخيارات المطلوبة في كل لحظة وكل ساعة وكل يوم لأصل إلى هناك".

"تمامًا".

"وأنا كثيرًا ما أقرأ نعيي بصوت عال خلال ساعتي الصباحية المقدسة. بمجرد أن أستيقظ، فهذا بشكل عام أحد أول الأشياء التي أقوم بها. هذا الفعل وحده قد أحدث اختلافًا عميقًا في الطريقة التي أفكر وأشعر وأسلك بها خلال أيامي".

"يقودني ذلك على نحو ممتاز إلى المرحلة السابعة والأخيرة من عملية إيقاظ الذات. فبعد أن تتخلى عن الكذبة التي كانت عليها حياتك

ذات يوم، وتتخذ القرار بأن تنطلق على مسار الحقيقة عند نقطة الاختيار..."

"المرحلتان الأولى والثانية من العملية" قاطعته.

"صحيح. حسنًا، بعد أن تتحرك خلال هاتين المرحلتين، تصل إلى المرحلة الثالثة والتي تبدأ عندها في الرؤية بأعين جديدة. تبدأ في اكتشاف الحقيقة. تدرك كم من القوة كان ينام بداخلك. تبدأ في إدراك كيف كنتَ تخدع وتقيد نفسك. تبدأ في رؤية كم عالمنا هذا رائع وكم من المتعة في انتظارك. فما الذي يأتي بعد ذلك يا صديقي؟" سألني جوليان.

"المرحلة الرابعة. وهذه حيث يتقدم الباحث على امتداد الطريق، يتوق للأجوبة للعديد من الأسئلة التي تبدأ في الظهور. وعند هذه المرحلة، يفتش الباحث عن مرشدين أو أساتذة ليساعدوه على إيجاد طريقه. كل ما يستقبله الباحث من تعلم جديد ووعي عال يؤدي بعد ذلك للارتباك".

"نعم. فالأساسات التي كان يقف عليها الباحث تبدأ في الانهيار. كل المعتقدات والافتراضات عن كيفية سير العالم وكيف يعيش هو داخله يتم التساؤل عنها وإعادة تقييمها. والمرحلة الخامسة هي وقت الثورة والتغيير العظيم. وهي وقت النمو الشخصي الرائع كذلك. قد تمر الدودة بالظلمة في الشرنقة، لكن تخيل ما يحدث بالفعل؟"

"هناك فراشة تولد"، أجبتُ بثقة.

"لقد فهمتَ الأمر. *كل شيء على ما يرام.* بعدها يأتي الاختبار الحتمي الذي سيمر به كل باحث على الطريق. فمباشرة قبل النصر الكبير، دائمًا ما ترسل الحياة اختبارًا كبيرًا للمسافر. والطريقة التي نستجيب بها في تلك الأوقات، بطرق عديدة، تحدد مصائرنا. إن

اختيارك أن تكون شجاعًا والاستمرار إلى الأمام هو أفضل خطوة لك. وبالطبع يجلبني ذلك للمرحلة النهائية وهي يقظة النفس الكبرى. لقد مررت بأجزاء من كل مرحلة خلال الوقت الذي كنا فيه معًا. نعم، لقد اختلقتُ لك بعض السيناريوهات بحيث يبدو كل جزء حيًا. فعلتُ ذلك لكي أساعدك على التعلم والفهم أكثر. غير أن الكثير مما مررت به أتى بشكل طبيعي. فحين تركت الكذبة واخترت أن تستيقظ، انتقلتَ أنت نفسك إلى الكتب والمرشدين ليساعدوك على تعلم وبناء أساسك الخاص من الحكمة. وعندما فعلتَ ذلك، فأنت بنفسك مررت بالتشوش والتحول اللذين تقدمهما المرحلة الخامسة. ولأنك لم تستسلم، فقد ظهر التحول الحقيقي في حياتك. كل شيء يبدو مختلفًا عما كان منذ فترة، أليس كذلك؟"

"بلا شك. لقد أصبحت حياتي جميلة يا جوليان. لم أكن أكثر سعادة من قبل. إنني شديد الامتنان لك".

"على الرحب والسعة يا دار. وبعدما أرحل، ستجلب لك الحياة السيناريوهات والتجارب الخاصة بها وستمر خلال بعض المراحل دون وجودي بالقرب منك. ستصبح الحياة هي مرشدك ومعلمك الأفضل - لو أنك سمحتَ لها".

مسح جوليان بإحدى يديه على التطريز الخاص بردائه.

"المرحلة السابعة هي الغاية النهائية. ولكي تصل تمامًا إلى هذه النقطة على الطريق يعني أن تصبح متنورًا. كما ذكرتُ لك، قليلون وصلوا لهذا المكان النبيل. لكن ذلك سوف يتغير. أريد منك أن تساعدني بنشر فلسفتي لكل هؤلاء الذين تلمس حياتهم. لديّ شعور قوي بأنك تريد أن تمنحني شيئًا في مقابل ما منحتكَ إياه. أرجوك اعلم أنني لستُ في حاجة لأية أشياء مادية. بالطبع استمتعتُ بقيادة سيارتي الفيراري

القديمة وارتداء تلك البذلة الرائعة في المحكمة. لكن هذه الأشياء ليست أكثر ما يهمني. أنا أريد أن أغير العالم يا صديقي. أريد أن يكون لي تأثير على أكبر عدد من الناس يمكنني التأثير عليهم. لقد كنت محاميًا غير سعيد، أصارع في الحياة - أقصد من الناحية الروحية. كانت حياتي بلا توازن على الإطلاق وخارج التحكم بشكل كبير. لكن انظر إلي الآن فقط"، قال جوليان بشكل مثير. "لقد نجح ما تعلمته فوق هذه الجبال وأريد من كل شخص أحصل على فرصة التأثير عليه أن يكتشف ما اكتشفته أنا هناك مع هؤلاء الحكماء المتنورين. إن الشيء الوحيد الذي أطلبه منك هو أن تخبر الآخرين عما شاركتك إياه. أفضل طريقة للتعلم هي أن تُعلّم، لذا ستقدم لنفسك خدمة بينما تقوم بذلك".

سار جوليان نحوي ووضع كلتا يديه على كتفيّ. نظر إلى السماء الزرقاء كمرة أخيرة، وأغلق عينيه.

"دار، لقد كنتَ تلميذًا ممتازًا. إنني في شدة السعادة لأجلك، من حيث كيف أصبحت الأشياء تبدو في حياتك اليوم. إنك تتجه إلى أماكن رائعة ولا يمكنك أن تتخيل العجائب التي تنتظرك. وقد استمتعتُ بوقتنا معًا للغاية. لقد عاملتني بطيبة شديدة واحترام وحب. أرجو أن تستمر في الإنصات إلى ذلك الصوت الخافت الذي ينمو بداخلك. إنه صوت قلبك ولو بقيتَ على الوثوق فيه فسيقودك إلى حيث تحتاج أن تذهب. استمر في ترك المواهب التي منحتُ لك ترى ضوء النهار. استمر في إيجاد قيمة لكل شخص في حياتك. واستمر في السير على هذا الطريق، مهما ظهرت أشياء أمامك. وبقيامك بذلك، ستصبح حياتك عظيمة وتراثك سيكون كبيرًا".

فتح جوليان عينيه. وجرت دمعة وحيدة على وجنته ثم على ردائه. ونظر لأسفل إلى البقعة التي تركتها الدمعة وضحك.

قلتُ مازحًا: "كل نهاية هي بداية جديدة. لقد علمتني ذلك منذ قليل - فلا تنسَ ذلك يا معلمي".

"قول سديد يا صديقي. كل الأمر أنه من الصعب عليّ أن أترك الأشخاص الذين أحببتهم. أنت وبقية الأشخاص الذين أرشدتهم منذ عودتي من الهند، أبطالي. أتمنى لو كان بإمكاني أن أظل هنا وأرشدك طوال الطريق. لكن ليس ذلك ما أنت في حاجة إليه. وليس ما يجب أن أقوم به. قبل أن أرحل، أريد أن أقوم بشيء لو سمحت؟" سألني جوليان.

"بالطبع يا جوليان، لا مشكلة معي مع أي شيء تريد أن تفعله".

خلع جوليان حقيبة ظهره وفتحها. وسحب جريدة مربوطة بالجلد وفتحها على صفحة محددة. كان يقف على طرف القبر ويتحدث بصوت قوي ومرتفع، قال جوليان: "أريد أن أفعل شيئًا لم أقم به من قبل. أريد أن أقرأ نعيي بصوت عال". بعدها توقف قليلًا قبل أن يقول الكلمات التالية:

نعي جوليان مانتل

لقد كان جوليان مانتل رجلًا يؤمن بأن الروح الإنسانية قوة للخير على الأرض. وكان شخصًا مثاليًا يؤمن بصدق بأن كل شخص على قيد الحياة يمكنه أن يصنع اختلافًا حقيقيًا لو اختار أن يقبل دعوة حياته له لفعل ذلك.

كان جوليان رجلًا بسيطًا. أحب الكتب العظيمة والغروب والليالي المليئة بالنجوم وقطعة سميكة من كعكة الشوكولاتة كل فترة. وأهم من كل ذلك، أحب جوليان الناس وأمضى حياته مساعدًا إياهم على اكتشاف حقيقتهم.

لقد وقع في العديد من الأخطاء في حياته. غير أنه تعلم منها. واجه الكثير من الألم الشخصي، لكنه نما من خلاله.

لم يركض جوليان أبدًا من مخاوفه. على العكس، ركض إليها، وبقيامه بذلك، استعاد حريته. لقد كان حقيقيًا وشجاعًا ومحبًا.

توفي جوليان في الليلة الماضية عن عمر ١٠٨. لقد لمس العديد من الحيوات وسيُفتقد وجوده.

على إثر سماع كلمات جوليان، بدأت في البكاء. وحين نظرتُ، وجدت أنه قد رحل. نظرت عبر الساحة لكن جوليان لم يكن هناك. كنت لا أزال أستطيع سماع الإنشاد من المبنى الصغير على التل، وكانت الشمس مضيئة بسطوع. لم تكن هناك ولا سحابة واحدة في السماء.

وبينما سرت في طريقي متجاوزًا القبور، تألق شيء بين العشب. انحنيتُ لأسفل وذهلتُ مما رأيت. لقد كان تمثالًا ذهبيًا صغيرًا تم ربطه بقطعة طويلة ونحيلة من الجلد بحيث يمكن ارتداؤها حول العنق. وفي ظهر التمثال المصنوع بحرفية كانت الكلمات البسيطة التالية، مكتوبة بخط صغير للغاية:

أيقظ نفسك الفضلى واستمر في السطوع.

مع حبي، جيه. إم

وضعت هدية جوليان حول عنقي وسرتُ نحو سيارتي. لم أستطع التوقف عن الابتسام. لقد أصبحت حياتي جميلة.

المراحل السبع
لإيقاظ الذات

المرحلة ١: عيْش الكذبة (مرحلة خداع الذات)

المرحلة ٢: نقطة الاختيار (مرحلة التحرر من التحكم وكسر قيودك)

المرحلة ٣: الوعي بالعجائب والاحتمالات (مرحلة الرؤية بعيون جديدة)

المرحلة ٤: تعليمات الأساتذة (مرحلة التعلم، الفشل، الاستعداد)

المرحلة ٥: التحوّل والميلاد الجديد (مرحلة الإفراغ وإعادة التعبئة)

المرحلة ٦: الاختبار (مرحلة الاختبار والتأكد)

المرحلة ٧: اليقظة الكبرى للذات (مرحلة انعدام الخوف)

التكريسات الخمسة اليومية

١. استيقظ كل صباح في الخامسة. فمن يستيقظون مبكرًا هم من يحصلون على أفضل ما في الحياة.

٢. ضع جانبًا أول ستين دقيقة من يومك كـ "ساعتك المقدسة". هذا هو وقتك المقدس للقيام بالعمل الداخلي (الدعاء، التأمل، التدوين، القراءة من أدب الحكمة، التفكر في حال حياتك) والذي سيعينك في عيش حياتك الكبرى.

٣. أظهر قدرًا من الاهتمام والشفقة والأخلاق أفضل مما قد يتخيله أي شخص منك. فبقيامك بذلك، تكون قد قمتَ بدورك في المساعدة على بناء عالم جديد.

٤. أظهر قدرًا من التميز في العمل أكثر بكثير مما قد يتوقعه أي شخص منك. وسوف تعود إليك الوفرة والإنجاز.

٥. كرس نفسك لأن تكون أكثر شخص تعرفه محبة وأن تفكر وتشعر وتتصرف وكأنكَ أحد أعظم الأشخاص على الأرض (لأنك كذلك بالفعل). لن تعود حياتك كما كانت أبدًا وستبارك حياة العديدين.

عن روبن شارما

روبن شارما واحد من أهم خبراء العالم في القيادة والنجاح الشخصي. وقد اعتلت كتبه، بما فيها "الراهب الذي باع سيارته الفيراري" و "دليل العظمة"، أفضل المبيعات عبر العالم وتم نشرها في ست وثلاثين دولة، وقد ساعدت الملايين من البشر على صنع حياة استثنائية. وقد تبنى فلسفته أشهر رؤساء مجالس الإدارة ونجوم الروك ورجال الأعمال الكبار والنبلاء. وإلى جانب كونه متحدثًا مطلوبًا للغاية، فإن روبن مرشد نجاح شديد الاحترام لرجال الأعمال الكبار المستعدين لأن يكونوا متميزين في كل ما يقومون به.

روبن هو رئيس مجلس إدارة شركة شارما العالمية للقيادة، وهي شركة لها السبق في التدريب والإرشاد تساعد الناس والمنظمات على الوصول إلى درجة العالمية. ويضمّ عملاؤه نايك، بريتش بتروليم، جينرال إلكتريك، ناسا، فيديكس، آي بي إم، مايكروسوفت.

وموقع robinsharma.com هو أحد المصادر الأكثر شهرة لأفكار القيادة والنجاح على الإنترنت، وهو يقدم مدوّنة روبن وقناة روبن شارما إلى جانب صحيفته الإخبارية: The Robin Sharma Report.

لكي تحجز روبن ليتحدث في المؤتمر الخاص بك أو لتكتشف المزيد من أفكاره، زُر robinsharma.com اليوم.

مصادر للعظمة الشخصية

تقدم شركة شارما العالمية للقيادة نطاقًا كاملاً من الأدوات التعليمية والخدمات الإرشادية لكي تساعدك على إدراك أقصى إمكانياتك وتعيش حياة رائعة. مهمتنا هي أن نصل بك إلى مستوى العالمية في مهنتك وأيضًا في حياتك الشخصية.

robinsharma.com
ELEVATE YOUR LIFE. TRANSFORM YOUR WORLD™

في هذا الموقع الثريّ ستجد مدونة روبن، وقناة روبن شارما، وملفات صوتية مجانية لكي تبقيك متحمسًا وفي أقصى استعداداتك، وستجد تقرير روبن شارما (خطاب إخباري إلكتروني يصدر مجانًا بصفة شهرية)، وستجد اقتباسات يومية ملهِمة، وبرامج صوتية تعليمية قابلة للتحميل الفوري، ودورات إلكترونية عند الطلب، واسطوانات دي في دي وقمصانًا تحفيزية، هذا إلى جانب كتب روبن الأخرى. كما أن موقع robinsharma.com يضم منتدى للنقاش يضم مستخدمين من مختلف أنحاء العالم، حيث يمكنك تبادل الأفكار مع أناس آخرين خصصوا أنفسهم للعظمة، إلى جانب قوائم مكتملة من الفعاليات القادمة مع روبن.



إيقاظ النفس الفضلى في عطلة نهاية الأسبوع

كل عام، يحضر أناس من حول العالم إحدى أروع ورش التنمية الشخصية وأكثرها تأثيرًا على الإطلاق. هذه الورشة هي خبرة تحولية ستساعدك على الانتصار على مخاوفك وإعادة الاتصال بأعلى إمكانياتك، واستيضاح ما تريد لحياتك أن تمثله واكتشاف نظام يغيّر حياتك ويساعدك لتكون أفضل ما يمكنك. هذه الورش ناجحة (كما أنها من أكثر التجارب التعليمية التي يمكنك خوضها إمتاعًا). للمزيد من التفاصيل وشهادات الفيديو وللتسجيل لورشة نهاية الأسبوع المقبلة، تعالَ وزُر robinsharma.com اليوم.

ملفات صوتية مجانية لقرّاء كتاب اكتشف مصيرك مع الراهب الذي باع سيارته الفيراري

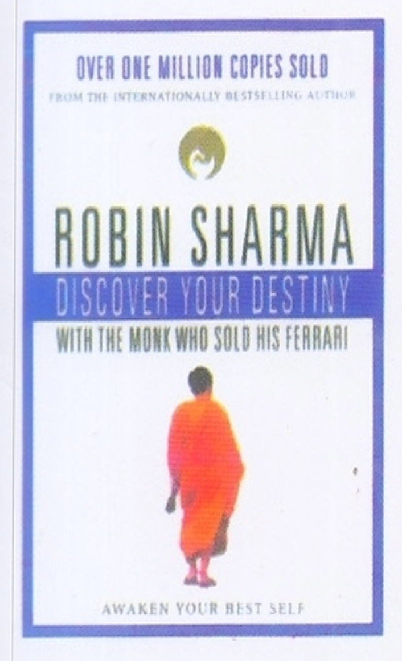
لمساعدتك على الوصول إلى عظمتك بسرعة، يمكنك الآن أن تستمع إلى ملف Extraordinary Leadership مجانًا – وهو من أكثر البرامج الصوتية شهرة لروبن (قيمته ٢٤,٩٥ دولار أمريكي). وفي هذا التقديم المحفز للتفكير والذي يتميز بأنه فعال وعملي، سوف تتعلم أفكارًا فريدة عن كيفية الوصول إلى المستوى العالمي في كل من مهنتك وفي حياتك. ببساطة زر robinsharma.com، واشترك في الخطاب الإخباري ونزّل نسختك. ولا نسألك سوى شيء واحد: أن تشارك بهذا البرنامج مع آخرين بحيث نستطيع معًا أن نؤثر على حياة العديدين.

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون



التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي



"إكتشف مصيرك مع الراهب الذي باع سيارته الفيراري" **هو دليل مبتكر لتحويل رغبات قلبك إلى حقيقة يومية وعيش الحياة التي تستحقها بصدق.** والرسالة التي يحتويها هذا الكتاب **ألهمت بالفعل أناسًا حول العالم** لكي يتحرروا من معتقداتهم المقيّدة ويسموا فوق مخاوفهم ويشعروا بالسعادة الحقيقية التي طالما تاقوا إليها.

وقد أضاف إليه روبن شارما **البصيرة والعاطفة والرؤية** التي يشتهر بها، ولذلك فإن **إكتشف مصيرك** يقدم لك إجابات للعديد من أسئلة الحياة الكبرى وفي نفس الوقت يشجعك على **الرقي تجاه الإمكانيات الكامنة لحياتك المثلى.** إنه كتاب ستعتز به للأبد.

روبن شارما هو واحد من أفضل خبراء القيادة والنجاح الشخصي على مستوى العالم. وهو مؤلف ثمانية من أعلى الكتب مبيعًا عالميًا، بما فيها **الراهب الذي باع سيارته الفيراري** (والذي نشر بأكثر من أربعين لغة) و **دليل العظمة**، وهو رئيس مجلس إدارة شركة شارما العالمية للقيادة، وهي شركة تدريب ذات مهمة بسيطة: مساعدة الناس والمنظمات على الوصول إلى المستوى العالمي. يتضمن عملاؤه مايكروسوفت، ونايكي، وجينرال إليكتريك، وفيديكس، وناسا، وبريتش بتروليم. موقع الويب الخاص بروبن هو **www.robinsharma.com** وفيه يقدم مدونته وفيديو إرشاداته وملفات صوتية.


ISBN 628-1072-07-406-7
6 281072 074067
282205341


مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة


Exclusive
For
www.ibtesama.com